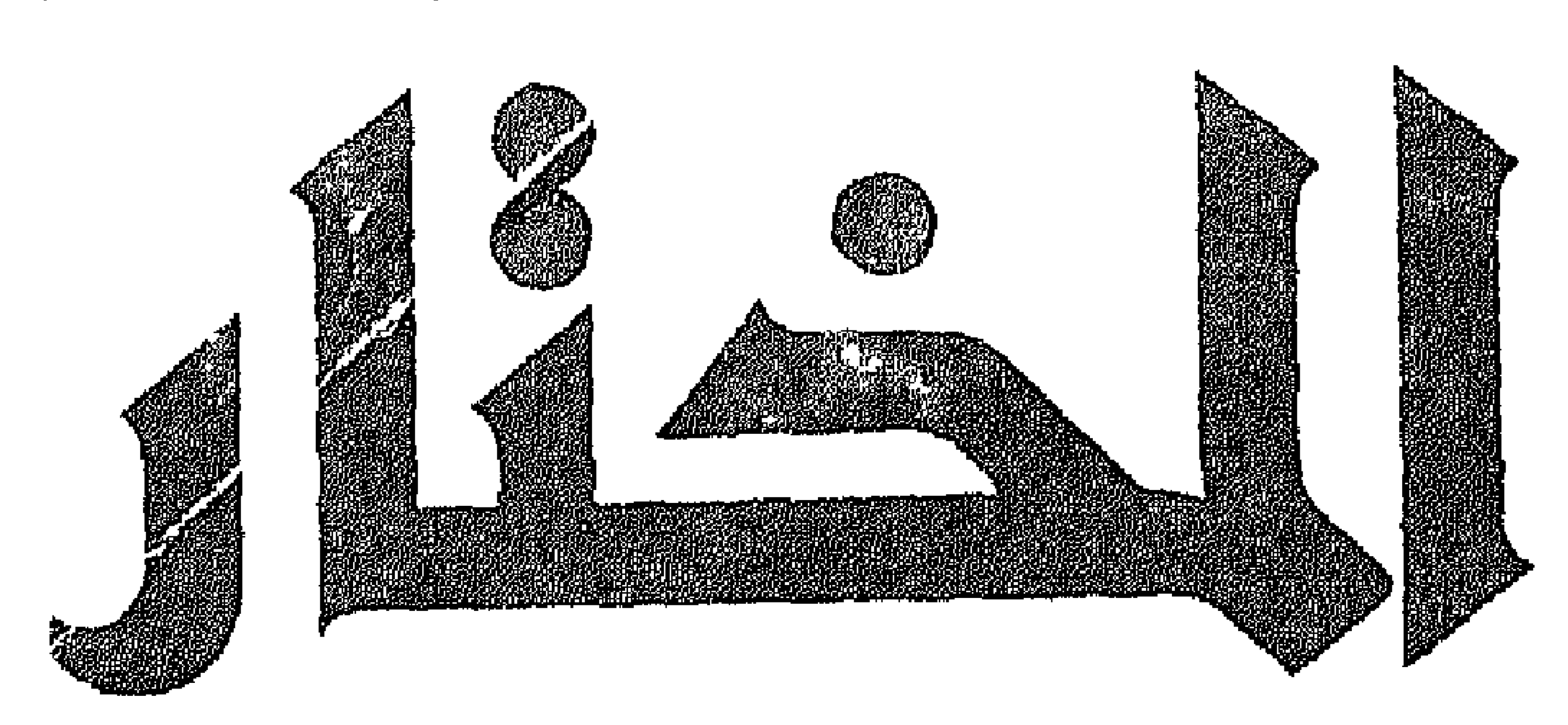
يوليو (تموز) ١٩٨٧، ذو القعدة ١٤٠٧

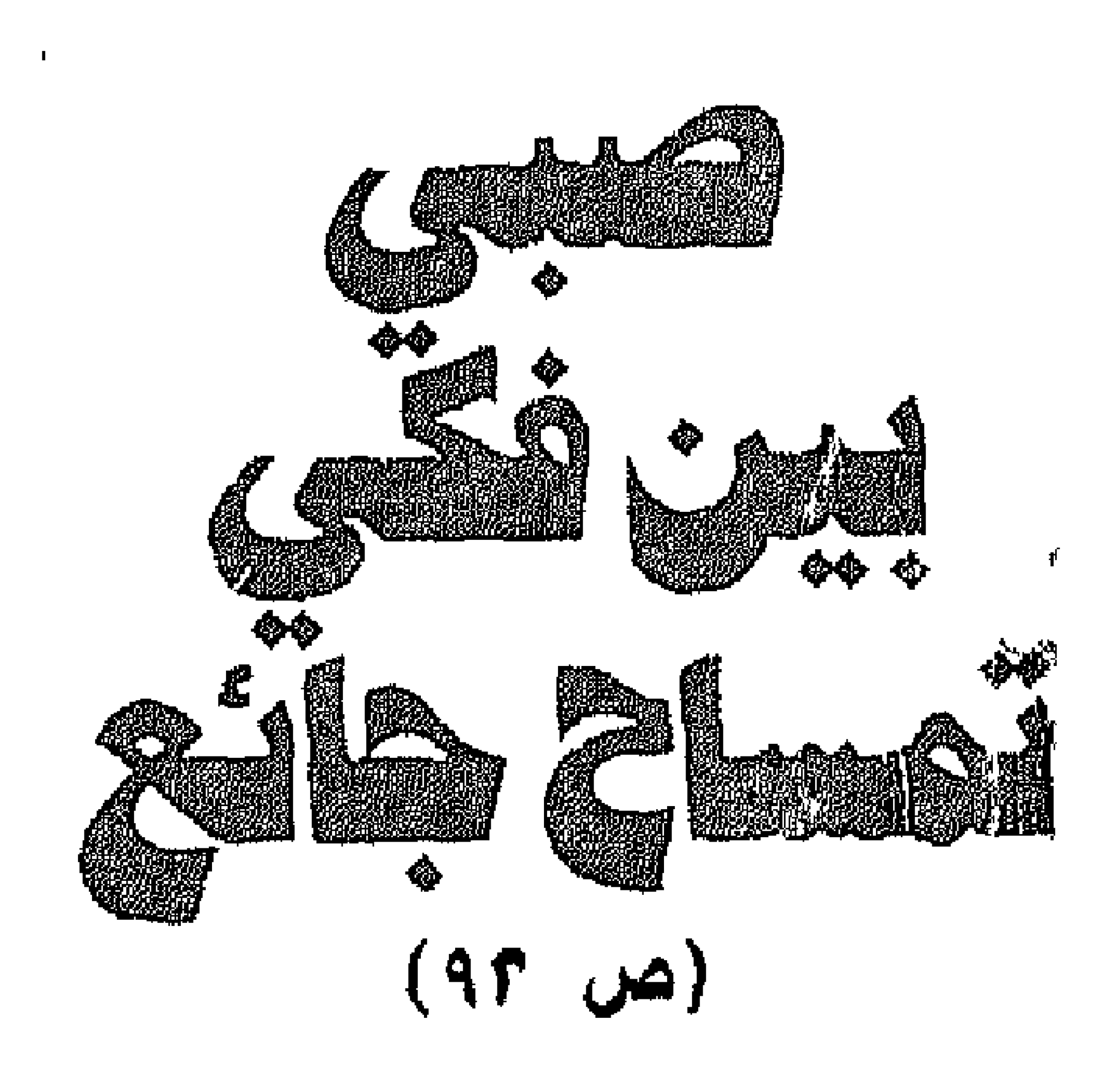


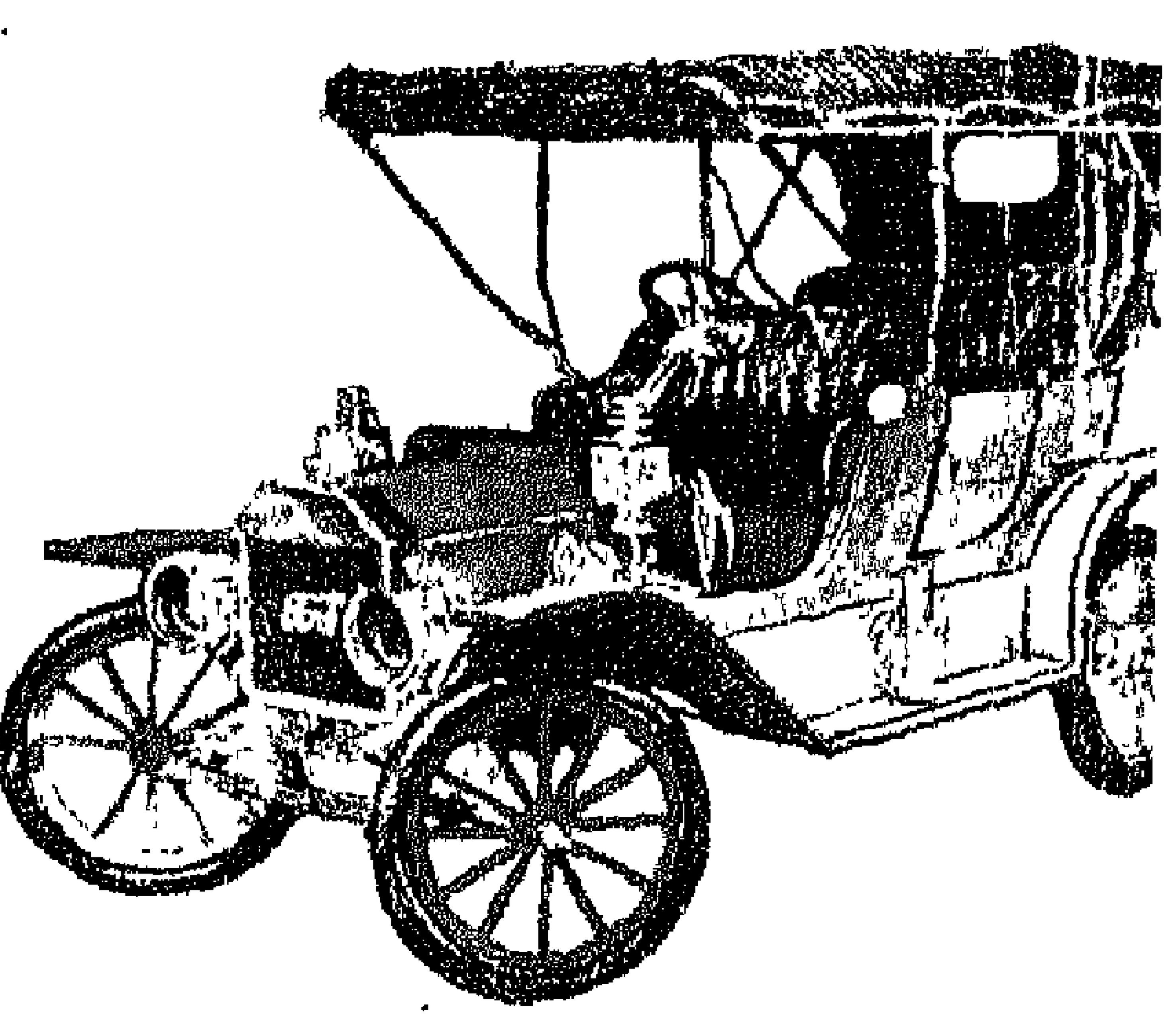
من ريدرز دايجست

AL MUKHTAR min Readers's Digest July '87 N° 104

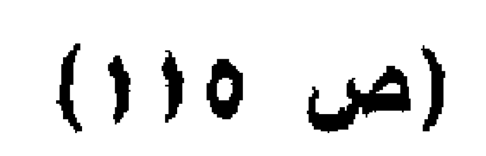
الفتور الجنسي سحابة صيف

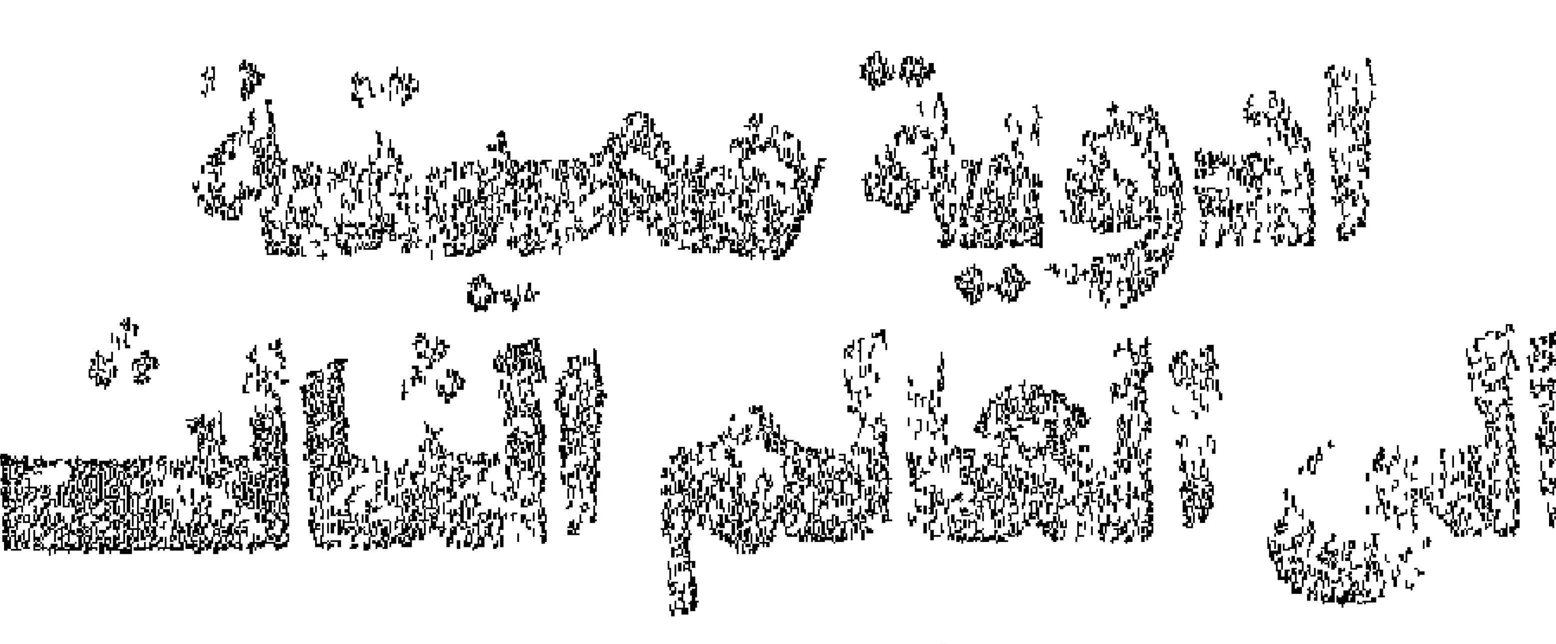
(ص ٦٠)











(ص ١٨)

اوسع المجلات انتشاراً في العالم
٣٩ طبعة، ١٥ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً



المختار
من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
امانة التحرير: راغدة حداد. الاخراج: جورج غالي. الخطوط: جبران مطر.

لامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.
التحرير والادارة: مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٢٢٨ المتن الشمالي – لبنان.
الهاتف ٤٩١٦٣٠ – ٤٩٢٦٧٠ التلكس MUKTAR 44615 LE
الاعلانات: الشركة اللبنانية لادارة حصر الاعلانات انترناسيونال (راجع الصفحة ١٤٤)
الاشتراكات: فريال علاف، بناية الشرتوني، شارع المقدسي، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
الهاتف ٣٤٥٧٣١ – ٣٤٩٤٧٧ التلكس MUKTAR 44615 LE, MEM 22288 LE
صف والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
لطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.
لتوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest.



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Centre Myrna Chalouhi, Blvd. Sin el-Fil, P.O. Box 55228, El-Metn, Lebanon.
Tel: 492670 — 491630. Telex: MUKTAR 44615 LE.

MEMBRE INSCRIT A L'O.J.D.

July 87 N° 104 (New Series) Vol. 9

ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلي اتشيسون والاس.
الطبعات الدولية

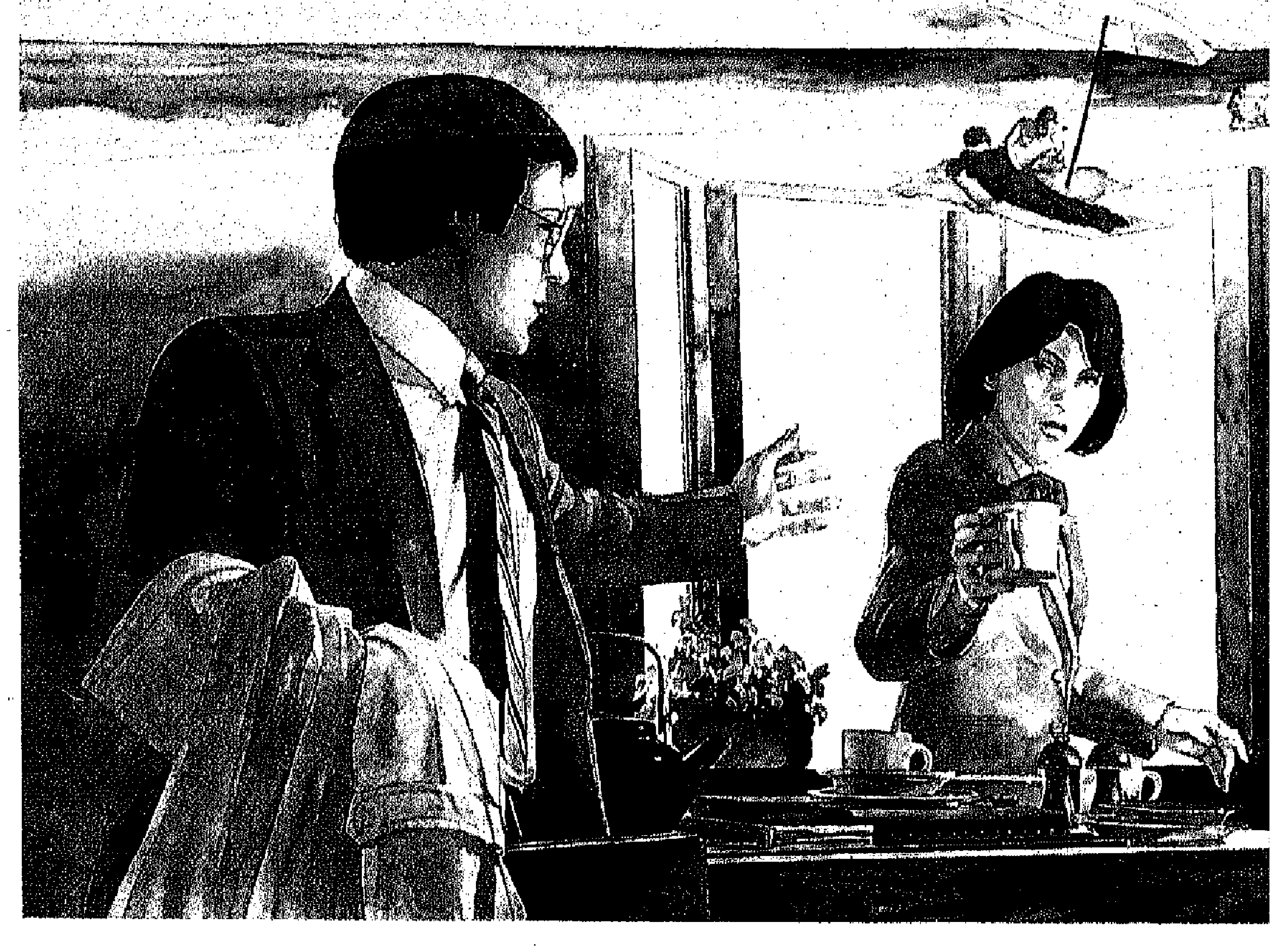
رئيس التحرير: كين غيلمور. مدير التحرير: جيريمي هـ. دول. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والكورية والهندية، الى العربية.

ثمن العدد

ن ٤٠ل – سورية ١٠ل – الأردن ٧٠٠ف – الكويت ٧٠٠ف – الامارات العربية المتحدة ٩د – قطر ٨ر – البحرين ٨٠٠ف – عودية ١٠ر – مصر ١ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – ج.ع. اليمنية ٥ر – مسقط ٨٠٠ب – العراق ٨٠٠ف – قبرص ٧٥ب – س ٦٠٠م – المغرب ٥د – الجزائر ٧د – فرنسا ١٠ف – انكلترا ١ج – اليونان ١٣٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

الاجازة الحقيقية



الافلات من العمل والبيت والرتابة ضروري لراحة الجسد والفكر. هنا ارشادات مفيدة

مع حلول موعد الاجازة الجديدة نعود لنواجه المشكلة التقليدية. فهناك الكثير من الأعمال المتأخرة في المنزل والمكتب، وكلما سنحت لنا دقيقة فراغ ترانا نستغلها لانجاز كل عمل مؤجّل. هذا هو الواقع الذي لا مفر منه.

غالباً ما ينجح المرء في الفترة الأولى من حياته العملية في تحقيق توازن سليم بين العمل والتسلية، لكن الأمر يختلف بعدئذ إذ يضيع الوقت في الاجازات وعطل نهاية الأسبوع والرحلات النهارية والأمسيات خارج المنزل بحيث تنعكس

التأثيرات السلبية على سعادتنا وصحتنا.

ويفترض تمتعك بالحياة اقتطاعك الوقت الكافي للراحة والاسترخاء والعزلة عند الحاجة. فالراحة ضرورية لتجديد النشاط الجسدي، في حين أن الاسترخاء لازم لنتعافى نفسيا من ذلك الشعور بالارهاق الذي لا نستطيع زحزحته. أما الاعتزال فهو للهرب الاجتماعي وتوفير فترة من الهدوء نلقي خلالها نظرة من بُعد الى ما نحن عليه وما نصبو اليه.

وقد تكون الاجازة نعمة أو مصدر خيبة. وهنا خمسة قواسم رتيبة مشتركة بين الاجازات.

الرتابة الأولى: اليأس. على غرار كثيرين، قد تكدّ وتجهد في سبيل شراء منزل جميل لتكتشف في ما بعد أنك غير قادر على الاستراحة فيه. فالمنزل يطرح متطلباته وضغوطه الخاصة ويصبح امتداداً نفسياً للضغوط في المكتب. فتغدو الاجازة مجرّد هروب يائس.

الحل: إنزع إسمك من أسفل قائمة الأشخاص الذين يجب أن يعنى بهم. أدرك أن ما عليك القيام به (العناية بالحديقة أو ترتيب القبو) سينجز عاجلا أم آجلا. واجعل من الضرورات البديهية لك ولعائلتك الافادة من الأوقات الجيدة. تعلّم الاسترخاء على مدار السنة بدلا من أن تقصره على فترات الاجازة.

الرتابة الثانية: هَدُّ الأيام الأربعة. يسافر الزوجان لقضاء إجازة. لكنهما مهما تمتعا فسرعان ما يلاحظان أن شعوراً بالقلق ينمو داخلهما الى أن يبلغ نقطة تحوّل بارزة بعد مضي ٩٦ ساعة على بداية الرحلة. ويختلق كل منهما أعذاراً للآخر ويعودان الى المنزل. بالنسبة الى هذين الزوجين، يشكل المحيط العائلي والأعمال اليومية رديفاً للأمان. وهما لاشعورياً، يجدان في التغيير مصدر تهديد لا أساساً لتنشيط الخبرات.

الحل: إذا بدا لك هذا الأمر مألوفاً فلا بد من أن تنزع من نفسك ذلك الشعور عبر إطالة فترة الاجازة تدريجياً. أطِلها أسبوعاً أو أكثر. بدِّل الأعمال العادية في منزلك ولا تعتمد عليها في رفاهيتك العاطفية.

الرتابة الثالثة: الوقت الضائع. يجد الفرد الذي يدمن العمل صعوبة بالغة في الانفصال عن عمله، حتى إنه في بعض المرات، إرضاء لعائلته، يجد نفسه قد وافق على أخذ إجازة لكنه لا يسرّ بها.

الحل: إعترف بأنك أهم من العمل الذي تؤديه. فالعائلة تريد منك وقتاً تمضيه معها أكثر مما تريد أشياء مادية. خذ اجازات أكثر. ودَعْ فترات الراحة هذه تساعدك في تكوين هوية خاصة تجعلك أكثر من مجرد صاحب دور عملي ناجح.

الرتابة الرابعة: طابخ الضغوط. يعدّ بعضهم برامج لرحلات مكثفة الى حد انه يعود منها مرهقاً وفي حاجة الى استراحة من عنائها. فهو يعتبر ان كل لحظة من الاجازة لا تكرّس لنشاطات ذات معنى هي بمثابة وقت ضاع. ونظراً الى تكاثف النشاطات تزداد خيبات الأمل ويفسد فرح العائلة على نحو مثير للسخط.

الحل: تقبل حقيقة أن الاسترخاء الحقيقي يكمن في التمتّع بالتجربة التي ليست إنتاجية حُكماً. وإذا كان للتخطيط موضعه المميّز فإن البرمجة المكثفة للنشاطات قد تنطوي على ردود فعل عكسية. لذلك ننصحك بالاستماع الى أفراد العائلة وتحقيق نوع من الاتفاق وحاجاتهم.

الرتابة الخامسة: البيت أيضاً وأيضاً. يختلف الأمر بين زيارة الأهل والأقرباء من حين الى آخر، وتمضية العطل في زيارتهم. وفي هذه الحالات غالباً ما تنبع الزيارات من مشاعر سلبية خاطئة كالذنب والواجب والاعتبارات المالية.

الحل: زر الأنسباء من حين الى آخر، ولكن خصّص بعض العطل لعائلتك. واجه الشعور بالواجب أو الذنب لأنك تخرق تقليداً، واعلم أنك تنمو.

بعد حل الرتابات السابقة، خذ في الاعتبار النقاط الآتية:

١. **إختر ما يرضي الجميع.** قد تحتاج الى إجازة زاخرة بالحركة فيما زوجتك تتطلع الى الهدوء وأولادك يتطلبون حفزاً مستمراً. خذ في الاعتبار حاجات كل منهم وأشركه في عملية التخطيط.

٢. **وضّب الحقائب باكراً.** قد تكون الترتيبات الضرورية للرحلة مرهقة والأيام الأخيرة مسعورة. فالاستعداد المبكر، وان اقتطع يوماً من الاجازة، ضروري لانطلاقة متفائلة ومرتاحة.

٣. **حطم الرتابة.** إذا كنت جلوسياً فإن زيادة النشاط ترضيك حتماً. أما إذا كنت من النوع الكثير النشاط فإن بعض الابطاء لن يضرّك.

٤. **قل "لا" للأعمال.** قاوم رغبتك الملحة في اصطحاب حقيبة العمل معك الى الاجازة. لا تتّصل بالمكتب ولا تجعل "إجازات العمل" بديلا من الاجازات الحقيقية.

٥. **عد الى الينابيع.** إن التمتّع بجمالات الحياة ومباهجها الصغيرة ضروري لضمان رفاهيتك العاطفية. خطط لنزهة على الشاطىء عند شروق الشمس أو لأخرى هادئة في غابة.

٦. **تجنب المواعيد المخبأة.** في أحيان كثيرة يأمل أحد أفراد العائلة تحقيق أمر ما في الاجازة: تجديد علاقة قديمة أو تمضية فترة رومنسيّة. لكنه لا يبوح بهذه التوقعات. إعلم أن هذه الأحلام لا تتحقّق إلّا إذا أشركنا فيها الآخرين.

٧. **لا تنسَ البعوض.** كن واقعياً. قد تحرق أشعة الشمس بشرتك على الشاطىء. وقد يتخاصم الأولاد. إستعد للواقع وإلّا فانك تتجه مختاراً الى خيبة.

٨. **أمض بعض الوقت منفرداً.** يحتاج الكثيرون من العاملين باستمرار

الى الاختلاء بأنفسهم بعض الوقت في المنزل وإن لم يتجاوز ذلك العشرين دقيقة. تدبّر الأمر بحيث تتدبر مثل هذا الوقت أثناء الاجازة، أو حض أفراد العائلة على مجاراتك. إستغل هذه الدقائق الثمينة في استعادة رؤيتك الصحيحة واتخاذ قرارات في شأن ما تريده في الحياة.

فأنت تستحق هذه الراحة بعد سنوات من الكد والتضحية، لكنك مع ذلك مضطر الى مواجهة بعض الخيارات، وهذا يعني تقديم إرضاء الذات على المال والوضع الاجتماعي، وتكريس بعض من الذات للعائلة، والاهتمام بالذات جسدياً وعاطفياً للاستمرار أطول فترة ممكنة.

وحين تدرس حقيقة الأمر بجدية تستجد أن لديك وقتاً لتمضية إجازة جيدة، وأن متطلباتها ضمن امكاناتك. فلا تضع لنفسك قيوداً دون السفر والاسترخاء.

بروس بالدوين

رعشات خوف

أتبحثون عن الاثارة والتشويق؟ من يحتاج الى روايات خيالية حين توفّر الحياة الحقيقية لحظات ارتياع يومية تفوق كل ما حاكه ألفرد هيتشكوك في حياته؟ تلك اللحظات التي تشل نبضات قلبك وتجمّد الدم في عروقك. أليكم بعضاً منها:

- رب العمل: "ألديك بعض الوقت؟"
- مزين الشعر: "قبل أن تنظري الى شعرك من خلف، تذكري أنه سيبدو أطول كثيراً متى نفش قليلا."
- صديق: "هذا الكتاب الذي استعرته منك، عساه لم يكن طبعة أولى او موقعاً أو مهدى!"
- طبيب الاسنان: "آه!"
- ضيف وصل لتوّه: "من هو صاحب السيارة الفضية المتوقفة بعيداً عن حافة الطريق؟"
- "مرحباً. أنا شاكر الشربيني، محامي جيرانكم."

ش.ب.

فئران الشتاء

اعتدت وزوجي ابقاء درجة الحرارة في بيتنا معتدلة في فصل الشتاء. وذات يوم قارس البرد جاءت أمي وأختي لزيارتنا. واذا بالفئران تغزو المطبخ. فهرعت لنصب الفخاخ وسألت زوجي: "أتعرف لماذا تغزونا الفئران؟" عندئذ سمعت أمي تهمس لأختي: "حسناً، من المؤكد انها لم تدخل بقصد الاستدفاء."

ك.ب.



بصمات وراثية تكشف المجرمين

هناك حالياً اختبار بيولوجي جديد يؤمل أن يغيّر جذرياً الطريقة التي يكشف خبراء الجريمة بواسطتها القتلة والمغتصبين والسفّاحين. هذا الاختبار يتيح تحديد هوية أي شخص بالبحث عن "بصمات" وراثية في عينات بالغة الصغر من الدم والمني وجذور الشعر. والاختبار الذي ابتكره الدكتور أليك جفريز في جامعة ليستر ببريطانيا يدعى "كشف بصمات الـ DNA" والـ«DNA» حمض نووي موجود في كل خلية.

ويعتمد الاختبار مسابر خاصة وأدوات جديدة للبيولوجيا الجزيئية لتحديد طول خيوط الـ«DNA»، علماً ان لكل شخص خيوطاً منها مميزة.

ويقدر العلماء أن احتمال وجود شخصين تأتي نتائج هذا الاختبار متطابقة لديهما لا يعدو واحداً في المليار. ويشذ عن هذه القاعدة التوائم المتماثلون. ويتوقع الخبراء أيضاً أن تساعد بصمات الـ «DNA» يوماً في كشف هويات الاطفال الذين يختلطون خطأ في المستشفيات بعد الولادة، كذلك معرفة هويات الاشخاص الضائعين وتحديد الابوّة.

صحيفة "نيويورك تايمس"

عوالم جديدة؟

اكتشف العلماء حلقة من المواد الصخرية حول النجم "فيغا"، الأمر الذي قد يشير الى أن نظاماً شمسياً آخر هو في طور التكوّن. وفي رأي الاستاذ كارل ساغان من جامعة كورنل في نيويورك أن هذا "اكتشاف رئيسي في تاريخ علم الفلك."

وقد تم الاكتشاف من طريق العالمين فريد غيليت من أريزونا وهـ. اومان من كاليفورنيا بينما كانا يحللان معلومات أرسلها قمر اصطناعي. وتبين لهما أن النجم "فيغا" يبثّ حرارة من نوع معين تفوق ما توقّعاه. والأرجح أن تكون هذه الحرارة صادرة عن مكان تقل حرارته عن ١٨٤ درجة مئوية. وهذا ينطبق على نوع من المادة الصلبة أكثر من انطباقه على نجم يحترق.

ويقول ساغان ان اكتشاف نظام شمسي آخر يبعد عنا ٢٦ سنة ضوئية فقط يعني أن طريق المجرّة اللبنية قد تحوي ملايين الانظمة الشمسية المجاورة للأرض نسبياً.

مجلة "نيوزويك"

جديد الطيران

يعكف مهندسو الفضاء والطيران على مراقبة احدى أقدم الحشرات الطائرة، وهي اليعسوب أو السرمان. فهذه الحشرة تستطيع التحليق وهي مائلة، كما تحلّق الى الوراء أيضاً. وتحليقها الأمامي يحصل بسرعة فائقة تتجاوز حجمها. وقد وجد الباحثون في جامعة كولورادو في بولدر أن اليعسوب هذا يولّد حركة رفع تتجاوز ثلاث مرّات حركة الطائرة. والسرّ أن شكل أجنحته يتبدل وهو يطير محدثاً دوّامة هوائية.

ويقول المهندس مارتن لوتغيس ان حركة اليعسوب هي المبدأ الذي سيعتمده علماء الطيران في المستقبل. وربما استطاع هؤلاء، عبر تثبيت قطعة معدنية خفّاقة في جناح الطائرة، صنع طائرات أسرع وقادرة على الهبوط على مدرج اصغر أربع مرّات من المدارج الحالية.

مجلة "نيوزويك"

من منافع الثوم

الغاز الرديء الرائحة الذي تفرزه بعض الاجسام بعد أكل الثوم قد يردّ أذى الغزلان البرية والحيوانات الاخرى عن أماليد الأشجار النامية. والثوم يحوي عنصر السيلينيوم الذي تنضحه بعض الأجسام غازاً. وقد بيّن العالم ديفيد غوستافسون من جامعة واشنطن في سياتل أن هذا الغاز يردّ الغزلان البرية عن أشجار التنوّب الصغيرة. والأذى الذي تلحقه الغزلان باشجار التنوّب يكلف الحكومة الامريكية ملايين الدولارات سنوياً في ولايتي واشنطن وأوريغون وحدهما.

وقد صمم غوستافسون كبسولة تحوي مادة السيلينيوم وتعتقها على مهل اذا هي غُرست مع الأشجار. وما ان يسقط المطر حتى تذوب الكبسولة وتتشرّبها جذور الغرسة، ثمّ تستحيل غازاً يخرج من أماليدها. وهذا يردّ أذى الغزلان عن الأشجار بنسبة ٨٠ في المئة سنوياً.

مجلة "اخبار العلم"

مطبّات علم الآثار

لا ينفكّ علماء الآثار يتسكعون بفضول حول أكوام النفايات علّهم يجدون فيها ما يقودهم الى فهم أشكال الحياة الغابرة. الا أن عالماً من جامعة راتغرز الامريكية اسمه نورمان هاموند بدأ يشك في قيمة النفايات الأثرية.

وبمساعدة ابنه غاوين ذي العام الواحد جمع هاموند كومة قمامة وأجرى عليها ثلاثة اختبارات دام كل منها نصف ساعة.

بدأ الطفل ازاحة أكبر الاشياء ودحرجتها عن رأس تلة. ثم ملأ قارورة فارغة بالاماليد ولحاء الشجر ورماها الى أسفل. وبعد ذلك أعاد أبوه تصفيف تلك الاشياء بسرعة في شكل دائريّ.

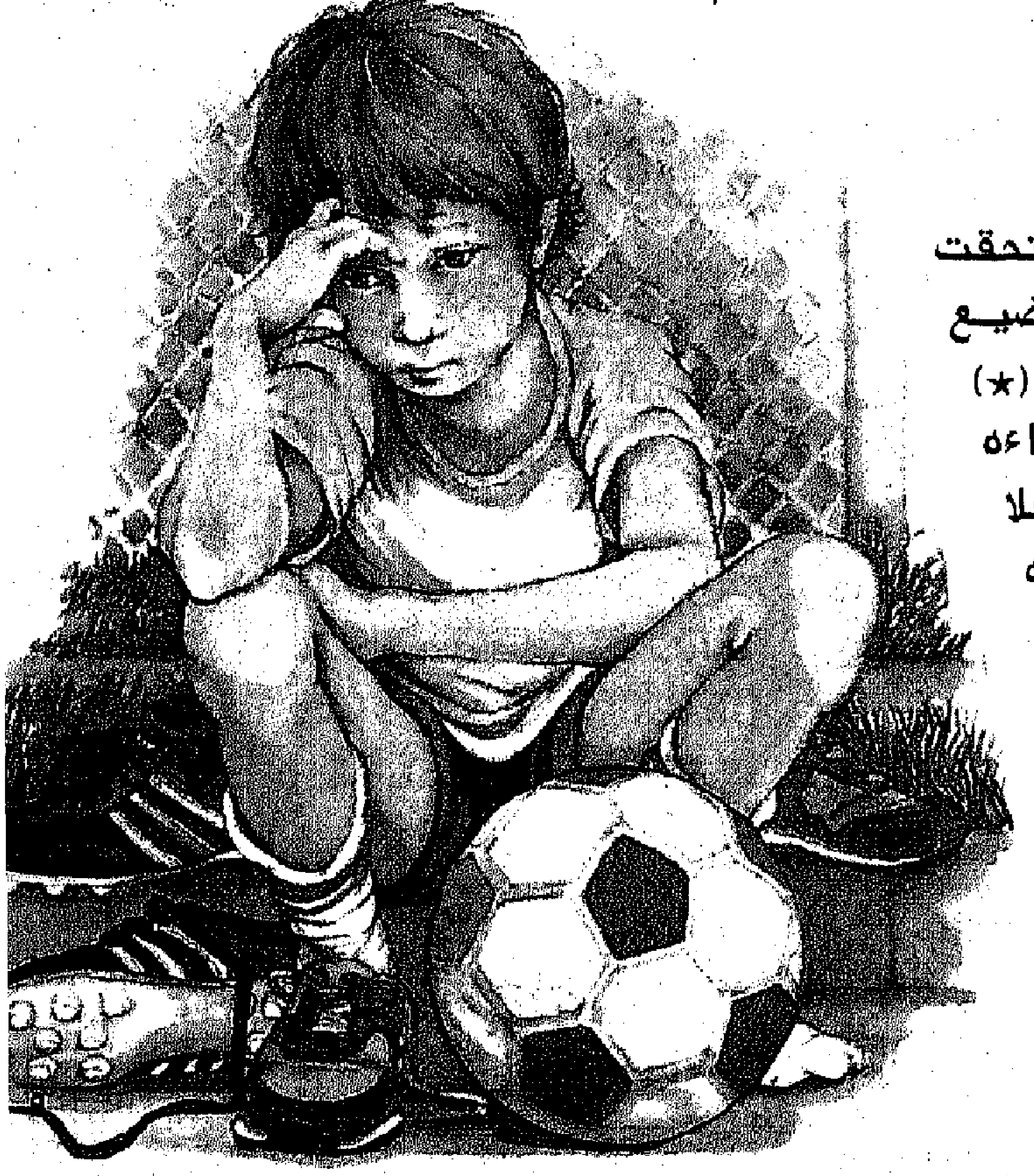
واذا عثر علماء الآثار في المستقبل على هذه الاشياء، فهم قد يدرسونها على أنها اكتشاف كبير. ويخلص هاموند الى القول ان النفايات ينبغي ألّا تُقدر أكثر مما هي.

مجلة "العلم"

المختار
من ريدرز دايجست
يوليو (تموز) ١٩٨٧ — السنة التاسعة (سلسلة جديدة)
مقالات مقتبسة توفر لكم متعة دائمة

ازرعوا الثقة في أطفالكم

تقدير الذات يمنح أطفالكم القوة الداخلية التي تجعلهم يتغلبون على الصعاب والآلام في مراحل النضج فلا تبخلوا عليهم بالرعاية



□ لم يحدث قط أن استحقت فروض الرياضيات ومواضيع الانشاء التي يقدمها سامر(★) كلمة ثناء. وهو يسمع رفقاءه يومياً يقولون انه غبي، فلا يجادلهم. لانه هو نفسه مقتنع بذلك وبأن الاخفاق سيكون نصيبه في أي عمل يؤديه. ان سامراً ابن التاسعة يئس من الحياة.

□ نجاة فتاة بدينة في الصف الابتدائي الخامس.

(★) الاسماء مستعارة.

ليس لها أصدقاء، ويلقبها أترابها "بوركي." وبوركي حيوان يشاهده الاطفال في بعض الرسوم المتحركة. وعندما يكلمها رفقاؤها . فانهم يتأتئون مثل بوركي ويقلدون صوته. كرهت نجاة الدنيا وكرهت نفسها.

□ كتب صبي في السابعة من عمره رسالة الى الطبيب النفساني رينشارد غاردنر جاء فيها ، اضافة الى بعض أخطاء التهجئة:

عزيزي الدكتور غاردنر

ما يزعجني هو أن أحد الصبية يسميني "السلحفاة." وأنا أعرف أن ذلك سببه جراحتي التجميلية. أظن أن الله يكرهني بسبب شفتي العجيبة.

مع حبي، كريس

هؤلاء الاطفال هم ضحايا المقاييس الخاطئة التي يعتمدها مجتمعنا في تقويمهم. اننا نكيل المديح للقلة التي حباها الله منذ الولادة بعض الصفات التي نعتبرها خطأً، الاكثر أهمية، كالجمال والذكاء والثراء. ولا يحظى جميع الاطفال بقبول وتقدير متساويين. انه نظام فاسد وعلينا أن نواجه تأثيراته السلبيـة فنساعد الاطفال في اكتساب المقدرة على تحقيق الذات وتقديرها.

جميع الاطفال جديرون بالتقدير، ولهم علينا حق الاحترام وصون الكرامة. ولكن كيف يمكننا كآباء أن نساعد أطفالنا في اكتساب الثقة بالذات وبناء شخصية قوية وحصينة في ظل الاجواء الاجتماعية السائدة؟ هناك تدابير يمكن من خلالها أن نبث شعوراً بالثقة والكفاية حتى في الاولاد المحاصرين وسط أترابهم.

التدبير الاول

راجع القيم التي توجه سلوكك. هل تشعر سراً بالخيبة لان طفلك عادي؟ هل حصل أن نبذته لأنه أخرق أو لأن السحر ينقصه. هل تعتقد أن طفلك غبي؟

جزء كبير من صورة الذات التي يكونها الطفل مستمد من صورته التي يعتقد أنك تحملها في رأسك. وهو يلتقط المشاعر والمواقف النفسية بشفافية مدهشة، حتى ما خفي منها. ويكفي ان يلمس الطفل أنه موضع حب والديه واحترامهما حتى يصبح على استعداد لتقبّل قيمته كشخص.

عدد كبير من الاطفال يعلمون مدى تعلّق ذويهم بهم ومع ذلك يفتقرون الى الشعور بأنهم موضع تقدير. قد يعلم الطفل أنك على استعداد لان تضحي بحياتك لأجله، ومع ذلك يبقى قادراً على التقاط الشك الذي يساورك سراً في مدى تقبّل الآخرين اياه. انه يلاحظ اضطرابك وهو يرّد على الضيوف، وكيف تسرع بمقاطعته وبشرح قصده وما يرمي اليه، وكيف تضحك عندما تبدو ملاحظاته سخيفة.

يجب أن يتحفظ الاهل في الكلام أمام أولادهم. أحياناً يستشيرني والدان في مشكلة تتعلق بأحد أولادهما، وذلك في حضوره وعلى مسمع منه. وتروح الأم تسهب في سرد التفاصيل المحرجة بصراحة تامة فيما موضوع المشكلة واقف بالقرب منها لا يفوته حرف من الوصف الدقيق الذي يتناول عيوبه كلها.

على الاهل أيضاً أن يخصصوا وقتاً كافياً لتعريف أولادهم بالكتب الجيدة

وتطيير طائرات الورق واللعب بالكرة معهم والاصغاء الى قصصهم وأخبارهم عن الركبة المجلوفة والعصفور المكسور الجناح. تلك هي الحجار التي يُبنى بها احترام الذات.

التدبير الثاني

علّم أطفالك سياسة غير هدامة. من صفات الاشخاص الذين يعانون شعوراً بالنقص نزوعهم الى عرض عيوبهم أمام أي شخص يظهر رغبة في الاستماع. فالمرأة التي تؤمن بأنها غبية تقول ذلك صراحة. قد تقول مثلا: "انني حقاً ضعيفة في الحساب، حتى انني لا أعرف كم يساوي اثنان زائد اثنان!" وفيما تروح تصف قصورها ونقاط الضعف لديها، يكوّن المستمع انطباعاً خاصاً عنها، ولا بد من أن تكون معاملته لها في المستقبل وفقاً لهذا الانطباع. عندما يعبّر المرء عن شعوره بكلمات، تتجسد تلك الكلمات حقيقة يختزنها العقل.

يتوجب علينا أن نعلّم أطفالنا سياسة غير هدامة، لان انتقاد الذات باستمرار قد يتحول عادة انهزامية.

التدبير الثالث

ساعد طفلك على التعويض. ان مهمتنا كوالدين هي تأدية دور الحليف الواثق بنفسه الذي يمنح التشجيع في الضيق ويتدخل عند الاقتضاء ويوفر الوسائل التي تساعد الطفل في التغلب على العقبات.

التعويض احدى أهم هذه الوسائل. فبواسطته يوازن الفرد مواطن الضعف لديه بتحويل نقاط القوة رأس مال يوظفه لمصلحته. ومهمتنا كوالدين هي مساعدة أولادنا في التعرّف الى مواطن القوة لديهم والافادة منها.

ربما وجد أحد الاطفال في الموسيقى مجالا يبرز فيه. أو ربما لمع في بناء نماذج للطائرات أو في تربية الأرانب أو ممارسة الكرة الطائرة. حرام أن ندع الطفل يصل الى سن المراهقة وليس في يده وسيلة يعوّض بها، كمهارة ما أو معرفة فريدة تميزه عن سواه، بحيث يستطيع القول: "ربما لست التلميذ الاكثر شعبية في المدرسة، لكنني بالتأكيد أفضل عازف بوق في الفرقة الموسيقية."

وصيّتي للآباء أن يدرسوا جيداً نقاط القوةعند أطفالهم ثم يختاروا لهم مهارة تناسب كفاياتهم بحيث يتمتعون بحظ كبير في النجاح فيها. ولأن المرحلة الاولى في التدريب هي الأصعب والأهم، فعلينا أن نساعد الطفل في اجتيازها باصرار وبمختلف الوسائل، كالمكافأة والحض وحتى الرشوة إذا لزم الامر. قد يخطىء الآباء في اختيارهم المهارة المناسبة، وفي هذه الحال يجب أن يختاروا حقلا آخر ويبدأوا من جديد.

عزم والدي وأنا في الثامنة من عمري على تعليمي لعبة كرة المضرب، مع انني كنت أفضل البقاء مع أصحابي. وكان يقذف الكرة في اتجاهي فأردّها طائرة فوق الشبكة. وحاولت أن أبدو منغمساً وراغباً في اللعب. واذا سألته: أتظن أنني بدأت أتقدم في اللعب يا أبي؟ كان جوابه كرة أخرى تئز في اتجاهي.

وذات يوم طلب مني أحدهم أن ألعب معه، ففعلت وهزمته. سرّني ذلك كثيراً، ومنذ ذلك اليوم أصبحت لعبة كرة المضرب مصدر ثقتي بنفسي خلال دراستي الثانوية والجامعية. والفضل في ذلك يعود الى والدي الذي مدّني بوسيلة للتعويض.

التدبير الرابع

علّم طفلك المنافسة. حتى الآباء والامهات الذين يعارضون تعليق أهمية كبرى على الجمال والقوة الجسدية والذكاء يدركون تماماً أن أولادهم يتحركون في عالم يمجد هذه الصفات. ماذا يمكن المرء ان يفعل في هذه الحال؟ هل يساعد طفله ليبدو جذاباً مقدار المستطاع؟ هل يشجع ابنه "العادي" على التفوق في المدرسة؟

أنا لا أملك سوى ابداء رأيي في هذا الموضوع. أشعر بأنني ملزم مساعدة طفلي كي ينافس بما أوتي من امكانات. فاذا كانت أسنانه غير منتظمة، مثلاً، فعلي أن آخذه الى طبيب أسنان لتقويمها. واذا كان متعثراً في دراسته فعلي أن أوفر له دروساً خصوصية. فهو وأنا حليفان في معركته من أجل البقاء.

غير أن انغماسي في تعليمه أصول المنافسة يجب ألا يحول دون اظهاري له القيم الحقيقية في الحياة، مثل حب الناس والنزاهة والصدق والايمان بالله.

التدبير الخامس

فرض النظام في جو من الاحترام. هل من شأن العقاب، وخصوصاً الضرب، أن يحطم نفسية الطفل وكبرياءه؟

الاجابة تتوقف على شكل العقاب والغرض منه. فاذا كان الضرب رداً على عناد وتحدّ، فإنه في هذه الحال أداة صالحة. على أنه لا يجوز اطلاقاً أن نأخذ من ايماننا بجدوى العقاب الجسدي ذريعة لتنفيس شعورنا الشخصي بالاحباط. فذلك لا يجيز لنا معاقبته أمام زملائه أو معاملته بقلة احترام.

من الاهمية أن ندرك أن التخلي التام عن فرض النظام هو طريقة مؤكدة لزعزعة الثقة بالنفس عند الاطفال. فالأهل هم في أنظار أطفالهم رموز العدل والنظام، وإذا كان الوالدان يحبان أولادهما حقاً، فلماذا يتعاميان عن أفعال مخلة بهذا النظام؟ هكذا يتساءل الاولاد.

التدبير السادس

راقب الصف جيداً. مهم جداً أن يكون الطفل تعلّم القراءة في نهاية السنة الثانية في المدرسة. ولطالما كانت مادة القراءة سبباً في تحطيم الثقة بالنفس عند الطفل.

الدروس الخاصة تساعد الطفل في اجتياز مرحلة صعبة في دراسته. كما ان تغيير المدرسة أو المدرّس ربما كان في مصلحة الطفل.

يواجه التلميذ البطيء التعلم مشاكل أكثر من سواه. فما دور الأهل في هذه الحال؟

يمكنهم أن يقللوا من التركيز على أهمية التحصيل المدرسي. وعموماً، يجب التقليل من شأن أي أمر يقصّر الطفل عن تحصيله على رغم جهوده. وكما انه ليس من المنطق أن تطلب من طفل

مقعد أن يصبح نجماً رياضياً، فليس معقولا أن تطلب من طفل عادي أن يتحول نابغة.

التدبير السابع

تجنب الحماية المفرطة. يبدأ التحضير لسنوات الرشد المسؤولة منذ الطفولة. ويجب تشجيع الطفل على التدرج في المسؤوليات المناسبة لسنة.

مع مرور السنوات يجب أن يُشجّع الطفل على اتخاذ عدد أكبر من القرارات المتعلقة به. على ابن السابعة مثلا أن يكون قادراً على اختيار الثياب التي سيرتديها يومياً وترتيب غرفته وسريره.

الأهل الذين يوفرون لاولادهم حماية مفرطة يسمحون لهم عادة بالتخلف عن بلوغ المراحل الطبيعية المحددة في الجدول. فيصل الولد الى السن العاشرة، مثلا، وهو غير مؤهل لاتخاذ القرارات وممارسة الانضباط الذاتي. وبعد سنوات قليلة يغدو صعباً عليه ممارسة الحرية والمسؤولية اللتين تواجهانه في فترة المراهقة.

ان ضرورة اهتمام الاهل بتنمية احترام الذات لدى أطفالهم أكدتها دراسات كثيرة، منها واحدة أجراها ستانلي كوبر سميث، وهو أستاذ سابق لعلم النفس في جامعة كاليفورنيا في ديفيس، وتناولت ١٧٤٨ طفلا وعائلاتهم من الطبقة الوسطى.

أظهرت نتائج الدراسة ثلاث خصائص مهمة تميّز الاطفال الذين يتصفون بأعلى درجات احترام الذات. أولا، ينعم هؤلاء بمقدار كبير من الحب والاحترام من ذويهم. ثانياً، يعتمد آباؤهم وأمهاتهم قواعد ثابتة للسلوك. ثالثا، يسود منازلهم جو من "الديموقراطية" والانفتاح.

تلك هي الاساليب التي من خلالها يحقق الطفل ذاته ويدرك قيمة نفسه، بصرف النظر عن شكل أنفه أو حجم أذنيه أو توقد ذهنه.

لكل طفل كامل الحق في أن يقف مرفوع الرأس عالي الجبين بثقة واطمئنان. وهذا أمر ممكن التحقيق.

جايمس دوبسون

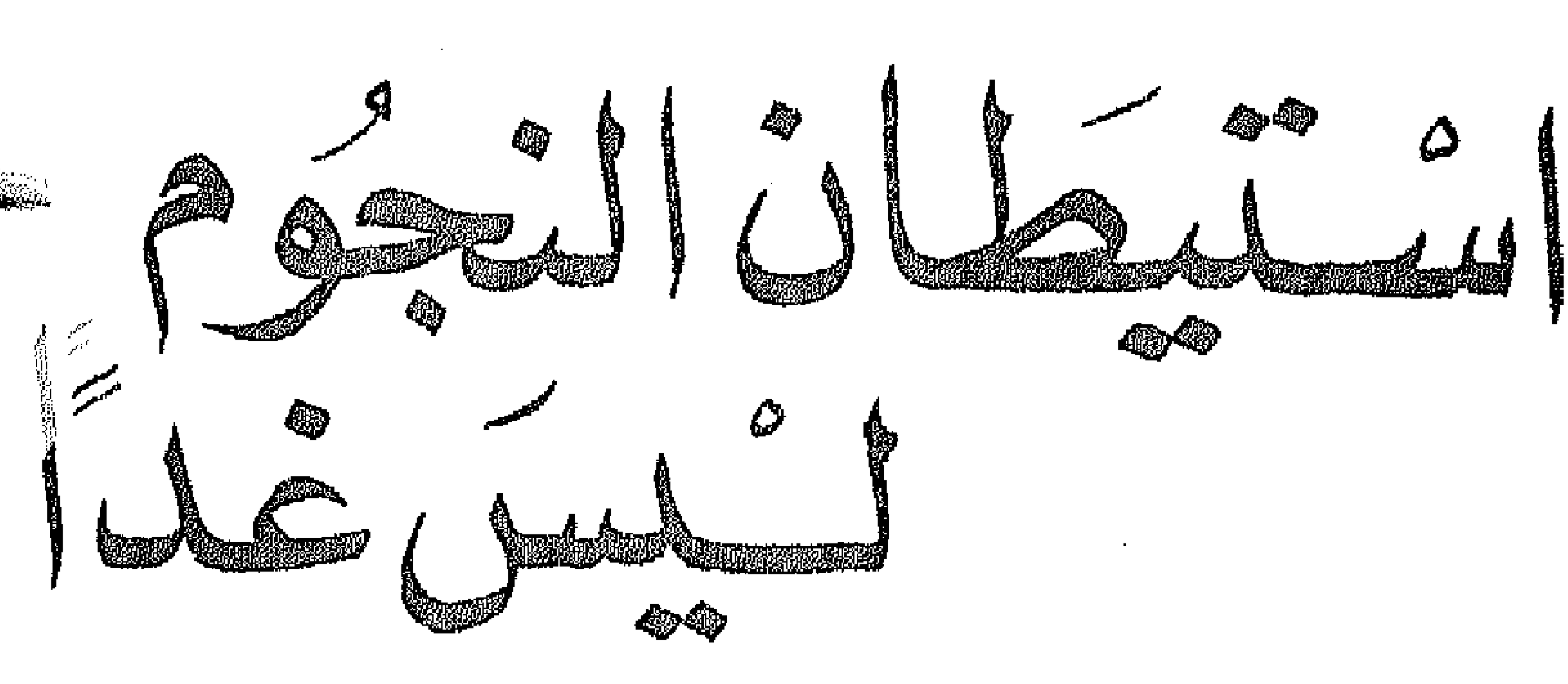


حذاء موسيقي

اعتاد ابني المراهق ان يستمع الى موسيقى الروك بصوت عال يكاد يمزق الآذان. وذات يوم سمعت قرع طبول معتادة آتياً من المرأب: بوم! بوم! بوم! فطلبت من ابني ان يخفض الصوت. فأجابني متبرماً: "جميع آلات الطرب متوقفة يا أمي، انني أغسل ثيابي."

ثم غادر البيت، لكن الضجيج لم يتوقف. فدخلت المرأب. وهناك وجدت حذاءه الرياضي يدور في الغسالة: بوم! بوم! بوم!

ن.ك.



استيطان النجوم ليس غداً

مقابلة مثيرة مع عالم مرموق في الفيزياء الفلكية

عالم الفيزياء الفلكية هيوبرت ريفز له عينا طفل بريئتان ولحية رجل بارّ ولهجة كيبيك الكندية. وفي كتابه "الصبر في الزرقة" (١) المنشور عام ١٩٨١ بيّن لمئات الالوف من القراء المسحورين سبب زرقة السماء. وأشار في كتابيه الآخرين "الغبار النجمي" و"دوامة الزمن" (٢) الى العلاقة الوثيقة بين الاضطراب والهيجان في الفضاء النجمي ونشوء الحياة في أعماق محيطاتنا.

ان التعامل اليومي مع المجرات، و"الدوار" الذي تسببه الرؤية المطردة والمتزامنة للامتناهيات الثلاثة: اللامتناهي في الكبر، واللامتناهي في الصغر، واللامتناهي في التعقيد، يبدو أنهما منحاه الصفاء الذي نتوق إليه ولا نبلغه.

يتحدث عن ميلاد نجم وكأنه مولد طفل. ويخبرنا عن تبدل مفهومنا للعالم واتساعه اذ نتفرس على نحو أبعد غوراً في الزمن والفضاء المجرّيّين.

س. أين نحن من استكشاف الفضاء؟

ج. اننا نحيا في عصر شبيه بفترة الانتقال من العصر الحجري القديم الى العصر الحجري الحديث، الذي حصل قبل عشرة آلاف عام. كان انسان العصر الحجري القديم سلبياً تجاه الطبيعة، قانعاً بالصيد وقطف النباتات البرية. وباكتشاف الزراعة وتربية الماشية، شرع انسان العصر الحجري الحديث في السيطرة على هبات الطبيعة.

وفي ما يتعلق بالفضاء، اكتفينا لآلاف السنين بتلقي ما ترسله الينا السماء: الضوء والحرارة من الشمس، والنيازك

(١) Patience in the Blue

(٢) Stardust; Swirling Time

التي يتفق أن تقع علينا. أما الآن، وللمرة الاولى، فقد غدونا فاعلين.

وللمثال، فاننا نتصور جني المنافع من النيازك والكويكبات السيارة التي تشتمل على معادن نافعة. بعض تلك الكويكبات يمر بالقرب من الارض، على مبعدة بضع مئات آلاف الكيلومترات فقط. في وسعنا أن نذهب ونجمع الشظايا، أو نوثقها الى صواريخ كابحة (٣) ونحضرها الى الارض. هذه المشاريع يرجح أن يبدأ الاعداد لها بحلول العام ٢٠٠٠.

س. ثمة أقاويل عن بناء محطات مدارية مأهولة. ماذا يعني ذلك تحديداً؟

ج. ان ارسال محطات علمية الى الفضاء أمر فائق الاهمية. سيتم وضع منظار فضائي في مدار، مزوّد مرآة يزيد قطرها على مترين. وستتلوه مناظير كثيرة. قبل بضع سنوات عمد فريقنا في ساكلاي، بالاشتراك مع عدد من المختبرات الأوروبية، الى إرسال منظار في مدار، مما أحدث انقلاباً أساسياً في معرفتنا بأشعة "غاما" المنبعثة من الاجرام السماوية.

لن تكون الحياة في المحطات الفضائية المأهولة مثيرة كما نظن. انها على الأرجح مشابهة لحياة البشر على منصات التنقيب عن النفط في البحار.

س. ما الأهمية العملية لهذه المحطات؟

ج. الرصد يغدو أكثر دقة خلف نطاق جو الأرض، اذ ان السماء اكثر قتامة هناك. ويرى المرء عدداً اكبر من النجوم والاشياء التي يحجبها تألق الكرة الأرضية.

س. أي الاشياء تقصد؟

ج. نعلم حقاً كيف تنشأ النجوم، لان في وسعنا أن نشاهدها. يظهر نجمان أو ثلاثة في مجرتنا سنوياً. لكن المجرات كلها نشأت في الوقت نفسه تقريباً، قبل ١٥ مليار سنة. ولا يعتقد بوجود مجرات جديدة.

وكي نشاهد نشوء مجرة ولدت قبل أمد بعيد، ينبغي أن ننظر بعيداً جداً. يمكننا حاضراً أن نرقى ما بين عشرة مليارات واثني عشر مليار عام إلى الوراء. وينبغي أن نرتد اكثر قليلا، لعلنا ندرك النجوم لحظة نشوئها.

الاشياء النائية تكون معتمة بالضرورة. لذا يلزم توافر ظروف مثلى لرؤيتها. والمحطات المدارية توفر مثل هذه الظروف.

س. أتكون المحطات المدارية أماكن مختارة لمحاولة الاتصال بكائنات خارج الأرض؟

ج. ليس بواسطة الراديو على نحو مخصوص، باستثناء بعض الموجات التي يمتصها الجو. لكن هذه المحطات ذات فوائد جمة كنقاط انطلاق لارتياد الفضاء.

س. أي مدى سيبلغه ارتياد كهذا؟

ج. عام ١٩٨٩ سيدرك القمر الاصطناعي "فويجر ٢" كوكب نبتون بعد رحلة تدوم ثلاث سنوات ونصف سنة. وإلى ذلك تم ارسال خمسة مسابر فضائية إلى

---

(٣) الصاروخ الكابح «retro-rocket» صاروخ مساعد ذو قوة دفع عكسية لتخفيف سرعة الصاروخ الرئيسي أو المركبة الفضائية.

كوكبي الزهرة والمريخ، وأطلقنا أقماراً اصطناعية قرب الشمس (على بعد بضع عشرات الملايين من الكيلومترات) وثمة قمر اصطناعي انطلق خارج المجموعة الشمسية قبل سنوات.

غير أن زيارة النجوم أمر مختلف. فالضوء يصل إلى أقرب نجم في أربع سنوات، لذا يمكننا الاستنتاج أن الوصول الى هناك يستغرق القمر الاصطناعي مئات آلاف السنين.

س. أثمة امكان لبعث رواد الى كواكب النظام الشمسي؟

ج. هناك أحاديث وافرة عن انزال بشر على المريخ. ولزحل قمر تابع اسمه "تيتان" يحوي غازي الميثان والامونيا، أي الجزيئات الضرورية للحياة. وتيتان هو أحد الاقمار القليلة ذات الاجواء. ومن المحتمل أن تكون فيه أشكال أولية للحياة ورواسب نفطية ضخمة، اذ ان الميثان هو هيدروكربون (٤) كالنفط.

س. كيف غيّرت المناظير الضخمة فكرتنا عن العالم؟

ج. نحن نبتعد أكثر فأكثر عن الفكرة الموروثة من القرن التاسع عشر التي تعتبر الانسان غريباً في الكون، وتنظر الى نشوء الحياة كظاهرة طبيعية بعيدة الاحتمال. وقد بتنا ننزع الى الاعتقاد أننا أولاد هذا الكون وناشئون منه.

س. ناشئون من الكون؟

(٤) الهيدروكربون مركّب عضوي يحتوي فقط على كربون وهيدروجين.



Photo: Photo D.F

ج. نحن مكونون من خلايا مكونة من جزيئات هي بدورها مكونة من ذرات متشكلة من جسيمات أولية. واذا ما اقتفينا "نسبنا" فعلينا ان نرجع الى الجزيئات والذرات والنوى، الى بدء الكون قبل ١٥ مليار سنة. كان الكون متجانساً(٥) . وتاريخه هو تاريخ نمو وتعقيد. انه يشبّه الابجدية الى حد ما، حيث تصف الاحرف في كلمات وجمل.

س. أثمة رابط بين هذا التعقيد المتنامي واتساع الكون؟

ج. بلا ريب. لا يكون تعقيد إن لم يتسع الكون. بادىء الأمر كان الكون شديد الحرارة وكانت المادة منحلة تماماً. والحرارة تفصل، وتحول دون تنظيم المادة. اضرموا ناراً في بيت ولن يتبقى منه شيء. التمدّد يتسبب في تبريد تدرجي يتيح تشكيل البنى.

والى ذلك، فان تنظيم المادة ينطوي بداهة على انتاج نفايات. وتوسع الكون يوفر حيزاً لهذه النفايات المؤلفة من فوتونات (٦) اي من حرارة، كي تتمدد وتبرد. والفضاء يبرد، اذ ان الفسحة بين المجرات تأخذ في الاتساع، وذلك ما يجعل لون السماء أدكن. لو لم يتمدد الكون، ووُجدت النجوم المضيئة دوماً، لأشرقت السماء في الليل كما في النهار.

(٥) homogeneous أي من جنس واحد أو طبيعة واحدة.
(٦) الفوتون (photon) هو وحدة الكم الضوئي.

س. في ظنك، أهناك كواكب آهلة؟

ج. ان كنت تطلبين مني أن أبسط رأياً، فأجيب نعم. ثمة آخرون في مهنتي لا يعتقدون ذلك. انها مسألة رأي. لماذا أعتقد بوجود مثل تلك الكواكب؟ مهما نظرنا بعيداً في ماضي الكون، فسنجد العناصر نفسها: ذرات وجزيئات ونجوماً ومجرات. وفي وسعنا التدليل على أن قوانين الفيزياء لم تتبدل خلال ١٥ مليار سنة.

هذا التجانس في سلوك الكون يتيح لنا أن نعتقد أن الحياة ليست ظاهرة بعيدة الاحتمال، بل خاصية طبيعية للمادة في أعلى درجات تنظيمها. لذا في مقدورنا الإفتراض أن الحياة تنشأ حيث تجيزها الشروط.

ثمة ١٠٠ مليار نجم في مجرتنا، وما يربو على مليار نجم أصفر كشمسنا. لا ندري اذا كانت جميعها ذوات كواكب، لكن ثمة سبباً وجيهاً يدفعنا الى الاعتقاد أن الانظمة الكوكبية مشتركة.

افترضي وجود كوكب واحد فقط كالأرض لكل عشرة نجوم صفر، هذا يعني وجود ١٠٠ مليون عالم مشابه لعالمنا في مجرتنا فقط، وثمة مليارات المجرات.

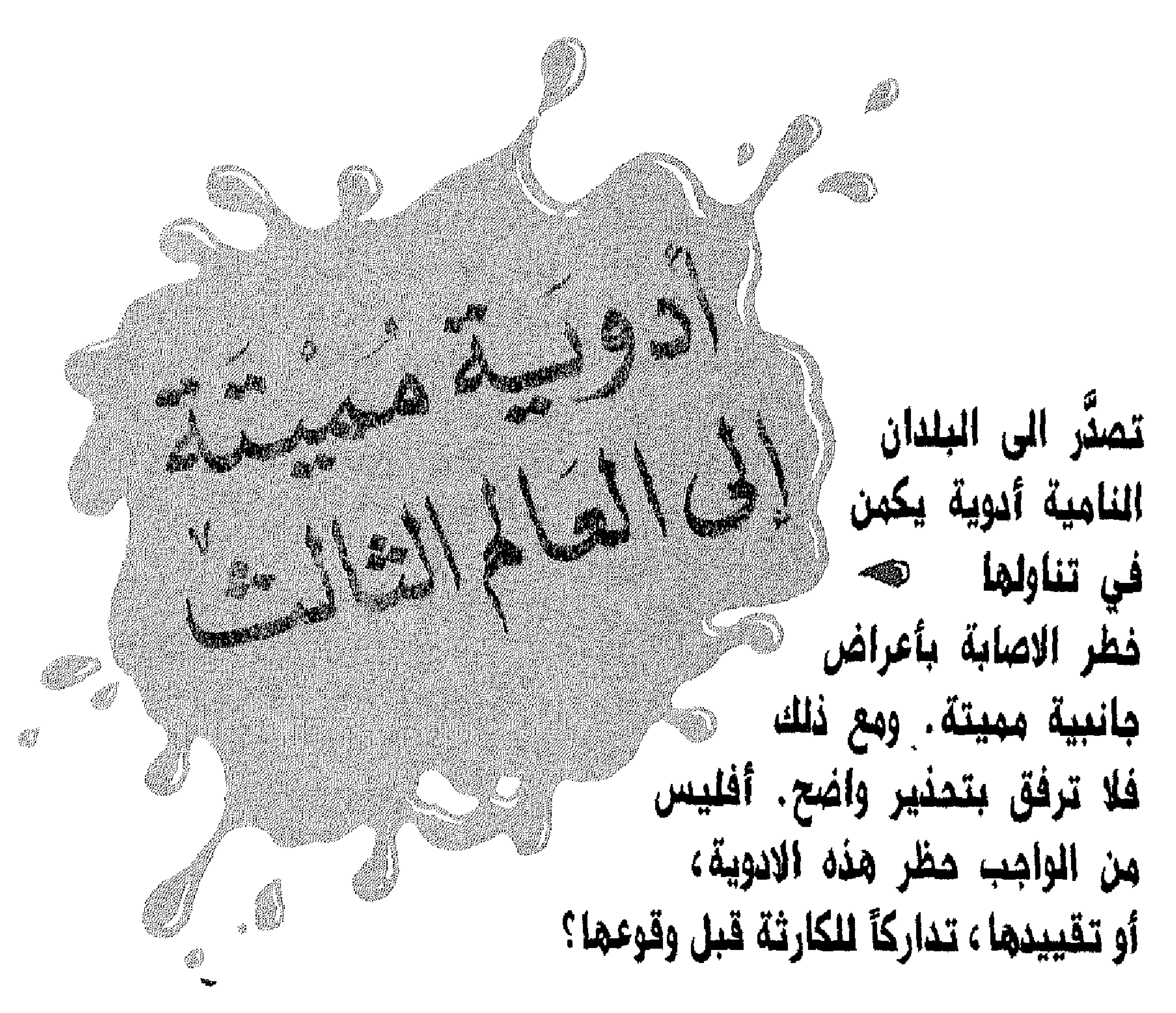
لذا يبدو غريباً حقاً ألّا توجد في مكان ما من الكون صحافية أخرى تستجوب عالم فيزياء فلكية عن الحياة في الفضاء!

كاثرين ديفيد



عليك ان تخطو خطوات صغيرة كثيرة لتصل الى هدفك البعيد.

هلموت شميت، المستشار السابق لالمانيا الغربية



تصدَّر الى البلدان النامية أدوية يكمن في تناولها خطر الاصابة بأعراض جانبية مميتة. ومع ذلك فلا ترفق بتحذير واضح. أفليس من الواجب حظر هذه الادوية، أو تقييدها، تداركاً للكارثة قبل وقوعها؟

في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٥ بعثت شركة "هوكست" الالمانية الجبارة المنتجة للادوية الى الاطباء في أنحاء ألمانيا الغربية رسائل تحذرهم من أن العقار "نوميفنسين" المضاد للانحطاط قد يكون تسبب في أعراض جانبية مميتة لدى بعض الاشخاص. وأبلغت السلطات الصحية في بريطانيا وألمانيا الغربية ستة حوادث نتج منها ارتداد جهاز المناعة في الجسم على ذاته مما أدى الى قتل خلايا الدم الحمر.

في نهاية ١٩٨٥ كان هذا العقار لا يزال قيد البيع في بلدان كثيرة في افريقيا وأمريكا الجنوبية وآسيا، مدعوماً بشهادات من شركة "هوكست" على أنه علاج موثوق به ضد الانحطاط. وروجت الشركة للعقار في اعلان نشر في عدد ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٥/ يناير (كانون الاول) ١٩٨٦ من الدليل الاوسترالي للعقاقير، "ميمس"، تحت اسم "مريتال." ونسبت اليه أنه "وسيلة جديدة ضد الانحطاط" معلنة للاطباء انه "يساعد المرضى كي يعملوا طوال النهار." وفي أمريكا الجنوبية وسعت الشركة نطاق استخدامه ليشمل "الضغوط الاقتصادية والمهنية والاجتماعية والعائلية والسياسية."

وفي وقت مبكر من العام ١٩٨٦ قررت "هوكست" سحب الـ"نوميفنسين" من الاسواق في أنحاء العالم. لكنه كان لا

يزال قيد البيع في باكستان في فبراير (شباط) ١٩٨٦ وفي تايلند في مارس (آذار) ١٩٨٦.

ليس هذا سوى مثال على الادوية الخطرة التي تسوّقها الشركات المنتجة من دون ارفاقها بالتحذيرات اللازمة من الاعراض الجانبية التي ربما انطوت على اضطرابات في الدم وعاهات وشلل وعقم، وحتى على الموت. ويغلب أن تبقى الادوية المحظورة أو المحددة بقيود أو التي يعتبر خبراء الطب في البلدان الصناعية أنها تجاوزت التاريخ المحدد لاستعمالها، قيد البيع في البلدان النامية.

أصناف مميتة – تصدَّر سنوياً الى بلدان العالم الثالث أدوية حديثة تربو قيمتها على أربعة مليارات دولار، حيث يمكن الحصول عليها من دون وصفة طبية من التجار المحليين وصغار الباعة وفي القرى. وهذه البلدان هدف سهل، اذ ليست لديها بنية صحية تحتية، ولان فيها ربما طبيباً واحداً لكل مئة ألف من السكان!

يقول الدكتور جون دون رئيس وحدة الادوية في منظمة الصحة العالمية: "عندما يمرض المرء في البلدان النامية يلجأ الى بائع الادوية أو الى مطبّب غير رسمي أو الى مشعوذ في القرية."

وخلافاً للغرب، معظم هذه البلدان لا يطبق أنظمة صارمة على مبيعات الادوية ووكالاتها من أجل مراقبة ردود الفعل السلبية. ونتيجة ذلك لا يعرف أحد كم من الارواح زهقت أو تعرضت للخطر بسبب التوافر غير المسؤول للعقاقير غير الملائمة. ويحذّر أنور فزال الرئيس السابق للمنظمة الدولية لاتحادات المستهلكين: "الحقيقة الباقية هي أن كثيراً من الادوية التي حظرت في الغرب أو قُيِّد استعمالها تسوَّق بحرِّية في البلدان النامية. بعضها قد يكون مفيداً جداً، كالمضادات الحيوية. لكن الترويج لها يؤدي الى اساءة استعمالها."

لنلق نظرة على بعض هذه الادوية:

الستيرويدات الابتنائية (١).

ابتكرت هذه العقاقير لمعالجة بضع حالات خطيرة تشمل الدم والعظام والكلي. لكنها تسبب أحياناً أعراضاً جانبية تصعب معالجتها مثل: وقف النمو لدى الاولاد، الاسترجال (نمو الشعر في الجسم وخشونة الصوت) واضطرابات الدورة الشهرية لدى الاناث، نمو الثديين والعجز الجنسي لدى الذكور، اليرقان واحتباس الصوديوم مما يؤدي الى قصور القلب أو وقوفه.

في الدول المتقدمة يحظر اعطاء الدواء للاولاد، أو يضبط استعماله بدقة، لان الاولاد هم اكثر تعرضاً للتفاعلات السلبية من الكبار. الا أنه بحسب المنظمة الدولية لاتحادات المستهلكين، هناك ست شركات عالمية كبرى، منها "اورغانون" الهولندية و"سيبا – جايجي" السويسرية و"تيرافارما" الايطالية و«ICI» البريطانية و"ونثروب" الامريكية، سوّقت الستيرويدات الابتنائية في آسيا لسنوات عدة كعلاج لسوء التغذية ونقص النمو لدى الاولاد.

(١) Anabolic steroids

في ماليزيا قدمت شركة "اورغانون" عقارها "فيرتابولين" في شراب مطعّم بنكهة النعناع لجعله مقبولا لدى الاطفال. وفي الفيلبين حُضّر العقار "سيتابوم" الذي تنتجه "تيرافارما" في شكل سائل أعد خصوصاً للاولاد. وفي بنغلادش أعلنت «ICI» أن عقارها "أنابولون" "ينشط نمو الاولاد المتخلفي النمو."

في الاسواق الوطنية وفي أوروبا تتضمن النشرة التي ترفقها الشركات بعلب الدواء تحذيراً من الاعراض الجانبية المحتملة.

أما في اندونيسيا، مثلا، فان شركة "أورغانون" تروج لعقارها "اورغابولين" على أنه "لا يؤدي الى الاسترجال، وتجوز المعالجة به لمدة طويلة. وفي الفيلبين أرفقت التعليمات باستعمال عقار "فيرتابولين" بالتأكيد: "في حال تناول الصغار زيادة على الكمية المعينة لا تقلق. ان فيرتابولين مأمون تماماً."

في مدينة دكا ببنغلاديش كان الصبي عبد الحميد احدى ضحايا الستيرويدات الابتنائية. فقد وجدته أمه ناقص الوزن، فأعطته العقار لمدة ثلاثة أشهر عام ١٩٧٦، وكان عمره آنذاك أربع سنوات ونصف سنة. واليوم، نسبة الى القياسات المحلية، يعتبر عبد الحميد عملاقاً. ويشرح عبد المنّان أستاذ الطب في معهد دكا للابحاث والدراسات الطبية العليا: "ان العقار أثر في الغدد النخامية والدرقية والكظرية فغدت افرازاتها غير طبيعية." ويعتقد الاطباء أن عبد الحميد أصبح عاقراً أيضاً.

في شهر مارس (آذار) ١٩٨٣ عمدت مجموعة هولندية متخصصة بالشؤون الصحية في العالم الثالث الى رفع دعوى ضد شركة "أورغانون" لدى "نيفارما" وهي المنظمة الشاملة لصناعة الادوية في هولندا. وعينت لجنة خاصة لدرس القضية. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤ دينت "أورغانون" لعدم كفاية عنايتها بتسويق الستيرويدات الابتنائية في العالم الثالث. وأوصتها منظمة "نيفارما" بأن ترفق منتجاتها في العالم الثالث بالارشادات ذاتها كما في هولندا. فوافقت "أورغانون" على العمل بموجب التوصية.

كلورمفنيكول. انه مضاد حيوي يستعمل في معالجة اصابات خطرة كحمى التيفوئيد، لكنه يسبب أحياناً أمراض دم مميتة، بما فيها فقر الدم اللاتكويني(٢). في الولايات المتحدة وأوروبا الغربية ومعظم البلدان الصناعية يعطى العقار بموجب وصفة طبيب ومع ذلك أوردت "المجلة الدولية للخدمات الصحية" في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦ تقريراً تضمّن أن منتجات الـ"كلورمفنيكول" لا تزال تروج لها في المكسيك وأمريكا الوسطى شركات مثل "لايكسايد" و"ماكيسون" الامريكيتين و"فارميطاليا كارلو اربا" الايطالية و"بوهرنجر - مانهايم" الالمانية الغربية وشركات محلية عدة. والشركات في اندونيسيا والفيلبين وتايلند تنصح به لمعالجة الالتهاب الشعبي والامراض التناسلية وذات الرئة والتهاب اللوزتين.

(٢) Aplastic anaemia

ديبيرون. هذا العقار المسكن للالم قد يسبب الاصابة بندرة الكريات الحبيبية(٣) وهي حالة مميتة تؤدي الى تقليص عدد كرات الدم البيض الدفاعية في الجسم.

في السنوات الاخيرة حظر هذا العقار، أو قيّد بيعه، في بلدان عدة مثل أوستراليا والولايات المتحدة واليابان وكثير من بلدان أوروبا الغربية. ولكن تبين من مسح أجري في البيرو عام ١٩٨٤ أن ٧٣ في المئة من الادوية المستخدمة في تلك البلاد لتسكين الالم أو معالجة الحمى تحتوي على الـ"ديبيرون"، فيما أظهرت دراسة أخرى نشرت في الفترة ذاتها في البرازيل أن ١٥٠ صنفاً تحتوي على هذه المادة هي قيد البيع في السوق البرازيلية.

في العام ١٩٨٥ وزعت شركة "هوكست" على البرازيليين كتيباً نسبت فيه الى عقارها "نوفالجينا" أنه "يزيل بسرعة كل أنواع الالم،" وليس ذلك فحسب، بل انه ايضاً "يناسب جميع الاشخاص بمن فيهم الاطفال الرضع والاولاد." وفي اندونيسيا زعمت شركة "تاكيدا" اليابانية أن عقارها "بونبيرين" يشفي من "الحمى والصداع." وفي ماليزيا أفاد الدكتور مارتن كور من بينانغ أنه شهد موت ولدين بسبب الاعراض الجانبية المميتة للعقار "بونبيرين." ومع ذلك كان العقار لا يزال قيد البيع عام ١٩٨٦.

يقول البروفسور بيتر شونهوفر الرئيس السابق لمعهد علم العقاقير السريري في بريمن بألمانيا: "يقدّر أن هناك سبعة مليارات ونصف مليار جرعة من الـ"ديبيرون" تباع سنوياً في أنحاء العالم، ومعظمها في العالم الثالث. وينتج منها ما لا يقل عن ١٥ ألف اصابة بندرة الكريات الحبيبية. في البلدان النامية لا يحظى المريض بأي فرصة للنجاة من هذا الداء المميت."

كليوكينول. بدأت شركة "سيبا - جايجي" تسويق هذا العقار عام ١٩٣٤ لمعالجة الزحار الاميبي(٤). وفي أواسط الخمسينات أفاد الاطباء اليابانيون عن اصابة بداء يدعى حالياً "سمون"(٥) يصيب الجهاز العصبي ويمكن أن يؤدي الى العمى وشلل الاطراف. وفي غضون خمس عشرة سنة ظهر نحو عشرة آلاف اصابة بهذا الداء في اليابان وحدها.

وعندما أثبت الاطباء أن "كليوكينول" هو القاسم المشترك في جميع الحالات، عمد المصابون الى رفع دعوى ضد شركة "سيبا - جايجي" وسواها من منتجي الادوية وعلى الحكومة اليابانية أيضاً. والى الآن بلغت التعويضات التي دفعت ١٤٠ مليار ين ياباني (مليار دولار) لـ٦٣٩٠ مدعياً هم الاكثر تضرراً، بما فيها ٥٣ ملياراً دفعتها شركة "سيبا - جايجي."

وفي السبعينات وأوائل الثمانينات حظر بيع العقار، أو سحب من الاسواق، في اليابان والولايات المتحدة ومعظم بلدان أوروبا والعالم الثالث. وفي العام

(٣) Agranulocytosis
(٤) Amoebic dysentery
(٥) SMON

١٩٨٥ سحبته "سيبا - جايجي" من جميع بلدان العالم. لكن الادوية التي تحتوي على الـ"كليوكينول" والتي تنتجها شركات أخرى لا تزال متوافرة في كثير من بلدان العالم الثالث.

التغاضي الرسمي - ظهرت هذه الممارسات من خلال حملة عالمية مركزة قامت بها مجموعات عمل لحماية صحة المستهلكين وهدفها مراقبة نشاط شركات الادوية. والضرر الذي لحق بسمعة الصناعة حفز المنتجين أنفسهم على العمل. وفي العام ١٩٨١ أقر الاتحاد الدولي لجمعيات صانعي الادوية، ومركزه جنيف، شرعة طوعية غايتها الحد من التجاوزات في التسويق.

وحدد الاتحاد حاجات العالم الثالث على نحو خاص، معلناً أن المعلومات الصحيحة عن الادوية هي "جوهرية للبلدان النامية." ولحظ أنه فيما صانعو الادوية أنفسهم هم المصدر الاساسي للمعلومات عن منتجاتهم، فان "فائدة تلك المعلومات وايجابيتها كانتا غالباً موضع شك."

اذاً، لماذا تستمر مخالفة هذه الشرعة الطوعية؟

تلقي الشركات اللوم على فروعها التي تأخذ مبادرات لم يوافق عليها المركز الرئيسي. لكن قادة الصناعة يقرون ضمناً بأن المنافسة حادة في العالم الثالث، حيث يباع عشرون في المئة من الادوية في العالم كله، مما يحمل الشركات على تجاوز الانظمة. ويرى ديفيد تاكر مؤلف "سوق الصحة العالمية" أن "معظم أبحاث الادوية وانتاجها هو حالياً، وسيظل، في أيدي رجال التسويق وليس في أيدي هؤلاء الذين أقسموا على التزام يمين أبوقراط."

أما ديفيد تايلور، المتكلم باسم صناعة الادوية البريطانية، فله نظرة مختلفة: "الشركات تخطىء في بعض الاحيان. ولكن علينا ألا ننسى الاحوال البالغة الصعوبة التي يعمل فيها منتجو الادوية في البلدان النامية."

فالثابت أن مجموعة متنوعة ومذهلة من الادوية، بما فيها تلك التي يحظر بيعها من دون وصفة طبيب، تباع في العالم الثالث من دون وصفة. هناك ٣٥ ألف صنف من الادوية في تايلند وعدد مماثل في البرازيل وما يزيد على ١٥ ألفاً في الهند و٨٠٠٠ في اندونيسيا، بالمقارنة مع ٢٢٠ صنفاً تعتبرها منظمة الصحة العالمية "أدوية أساسية."

حجم الكارثة - المشكلة اذاً لا تكمن في نقص المعلومات. وبموجب خطة منظمة الصحة العالمية الخاصة بشهادات الجودة للادوية التي تباع في الأسواق العالمية، بات في وسع الدول المستهلكة أن تعرف فوراً اذا كان دواء ما محظوراً أو مقيَّداً في بلد المنشأ، والأسباب الداعية الى ذلك. لكن معظم البلدان النامية لا يتوخى الافادة من هذه المعلومات.

وهناك وسائل أخرى لمراقبة الادوية أقرتها منظمة الصحة العالمية ولا تفيد منها الدول المعنية. لنأخذ مثلا نشرة المنظمة الخاصة بالمعلومات عن الادوية والتي تصدر كل ثلاثة أشهر وترسل الى

الدول الاعضاء البالغ عددها ١٦٦. فلو عُنيت سلطاتها الصحية بالاطلاع على المعلومات والعمل بموجبها، لعمدت قبل زمن بعيد الى سحب كثير من الادوية الخطرة المتوافرة حالياً في الاسواق.

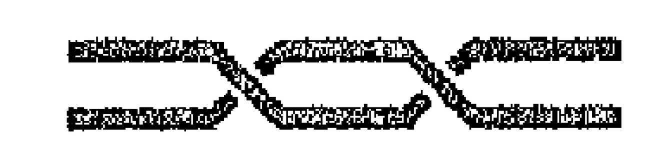
وضمن المجموعة الاوروبية تشريع يؤكد على أن تكون الادوية المنتجة رفيعة المستوى وحائزة ترخيصاً قانونياً قبل تسويقها. ويعتقد خبراء كثيرون أن هذه القوانين يجب أن تطبق على الادوية المصدّرة أيضاً. وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٦ اتخذ البرلمان الاوروبي قراراً يدعو الأعضاء في السوق الاوروبية المشتركة الى سن قوانين تحرّك تصدير الادوية المحظورة أو المسحوبة أو المقيدة ضمن المجموعة. وحتى إن أصبح القرار قانوناً، فسيبقى ممكناً تصدير هذه الادوية بناء على طلب خاص من حكومات البلدان المستهلكة. في ذلك تقول ماري بانوتي، العضو الايرلندي في البرلمان الاوروبي، في تقرير قدمته الى البرلمان حول مبيعات المجموعة الاوروبية من الادوية الى بلدان العالم الثالث: "ان الحظر يؤدي الى سحب هذه الادوية من الاسواق المحلية، ويلقي على حكومات العالم الثالث مسؤولية تنظيم استخدامها."

وهنا تكمن العقدة. اذ يتعذر احراز أي تقدم ما لم تعِ البلدان النامية الخطر وتتداركه. ويناشد ديفيد تورلي الاستاذ في جامعة لندن وخبير التغذية في العالم الثالث وصحة الاولاد في البلدان الاستوائية: "على حكومات البلدان التي لم تعتمد تشريعاً ينظم بيع الادوية أن تسن قانوناً لذلك. وعلى تلك التي اعتمدت التشريع أن تتحقق من تطبيقه."

المهمة ملحة. يقول غراهام ديوكس محرر "الكتاب السنوي" عن الاعراض الجانبية للادوية، وهو كتاب مرموق ويتمتع باحترام دولي: "يجدر بنا أن نتذكر أن كوارث كبرى حلت بالدول الصناعية بسبب الادوية، دفعتها الى اصدار قوانين مشددة لتنظيم تسويقها. فهل علينا أن نكابد كوارث لا يعرف مداها، في حجم كارثة عقار "تاليدومايد"(٦)، قبل ايجاد حلول؟" نأمل ألا يكون الامر كذلك.

بول مارتن

(٦) الـ"تاليدومايد" مركّب عضوي حضّر في سويسرا أساساً كعقار مسكن، وسُحب لاحقاً من الاسواق لارتياب الاطباء من أن تعاطي الحوامل اياه يتسبب في تشوهات خلقية لدى مواليدهن.



الجيوب والبطون

نظم خريجو احدى الجامعات عشاء لجمع التبرعات وحددوا ثمن التذكرة بخمسمئة دولار للشخص. ثم راحوا يتبادلون الافكار لاختيار شعار يرفق ببطاقة الدعوة على سبيل الدعاية.

لا أحد يذكر الشعار الرابح الذي اعتمد في الدعوة. ولكن جاء في أحد الشعارات الخاسرة: "في امكانك تناول كل ما تقدر عليه، بخمسمئة دولار."

ش.ب.



برونا صديق الأطفال

أعمال هذا الرسام والكاتب الموهوب أسعدت ملايين الاطفال في انحاء العالم

سألت الام ابنها في محل لبيع الكتب: "من تحب اكثر من اي شخص آخر؟" تردد الصغير في الاجابة وارتسمت على انفه علامة تجهم ثم قال: "احبك انت بالطبع اكثر من الجميع، ولكن هناك نيجنتجي ايضاً."

نيجنتجي، الارنب الخرافية التي أوجدها كاتب رسام يدعى دِك برونا، مشهورة في اوساط ملايين الاطفال في انحاء العالم. ومنذ ظهرت في العام ١٩٥٥ نشرت عشرة كتب اضافية عنها، كما يتوقع نشر كتب اخرى. يقول برونا: "انا حقاً معجب بها كثيراً." وفي السنوات الثلاث والثلاثين الماضية طبع ما يزيد على ٤٠ مليون نسخة من كتب برونا للاطفال، بما فيها سلسلة نيجنتجي، في ثمان وعشرين لغة.

فما الذي يجعل اعمال المصمم

الهولندي ابن الستين مادة يحبها الاولاد في ارجاء العالم؟

تقول إيفون زيلن من ماسبري ولها ستة اعوام: "نيجنتجي صديقتي، وأنا احلم بها ليلا." اما غييوم نيفارد، وهو مدير محل لبيع كتب الاطفال في امستردام، فيؤكد ان "نيجنتجي صديقة قرّاء كثيرين تراوح اعمارهم بين الثانية والسابعة. لقد اصبحت مألوفة لديهم، والصغار يحبون التعلق بما هو مألوف فذلك يمنحهم شعوراً بالاطمئنان. لقد اقترن اسم نيجنتجي بالاطفال."

دولف كوهنستام استاذ علم النفس في جامعة لايدن أجرى دراسة على اعمال برونا، وهو يعتبر أن أدق التفاصيل في رسومه عوامل مهمة. فبالنسبة الى اطفال دون الرابعة من اعمارهم، ليست هناك كتب اخرى تتميز بمثل هذه الرسوم غير المعقدة. ويضيف كوهنستام ان فن برونا فريد من نوعه بحيث يرسم ببساطة كلية ومن ثم يُدخل، على نحو عرضي في الظاهر، خطاً مائلا يضفي نفحة هزلية او يلفت الانتباه الى وجه معين لشيء او حركة ما.

ويشير كوهنستام ايضاً الى العلاقة المباشرة بين شخصيات برونا والقراء. ففي النص قد تؤدي هذه الشخصيات جميع الأنشطة، لكنها في الرسوم تبدو كأنها جالسة امام مصور قديم تنظر مباشرة الى آلة التصوير.

ويقول برونا: "غالباً ما حاولت رسم وجوه من زاوية جانبية، لكنها لم تبد جميلة. فأهم شيء هو الاتصال المباشر، اي تطلع العين الى العين." كذلك الامر بالنسبة الى استعمال الالوان. وهو يفسر ذلك: "أستعمل اللون الازرق لأوحي البرودة. فاذا مشت نيجنتجي على الثلج، رسمت فوقها سماء زرقاء صافية. واذا أظهرت اولاداً في منزل رسمت خلفية باللون الاحمر او الاصفر لأنني اريدهم ان يشعروا بالدفء في الداخل."

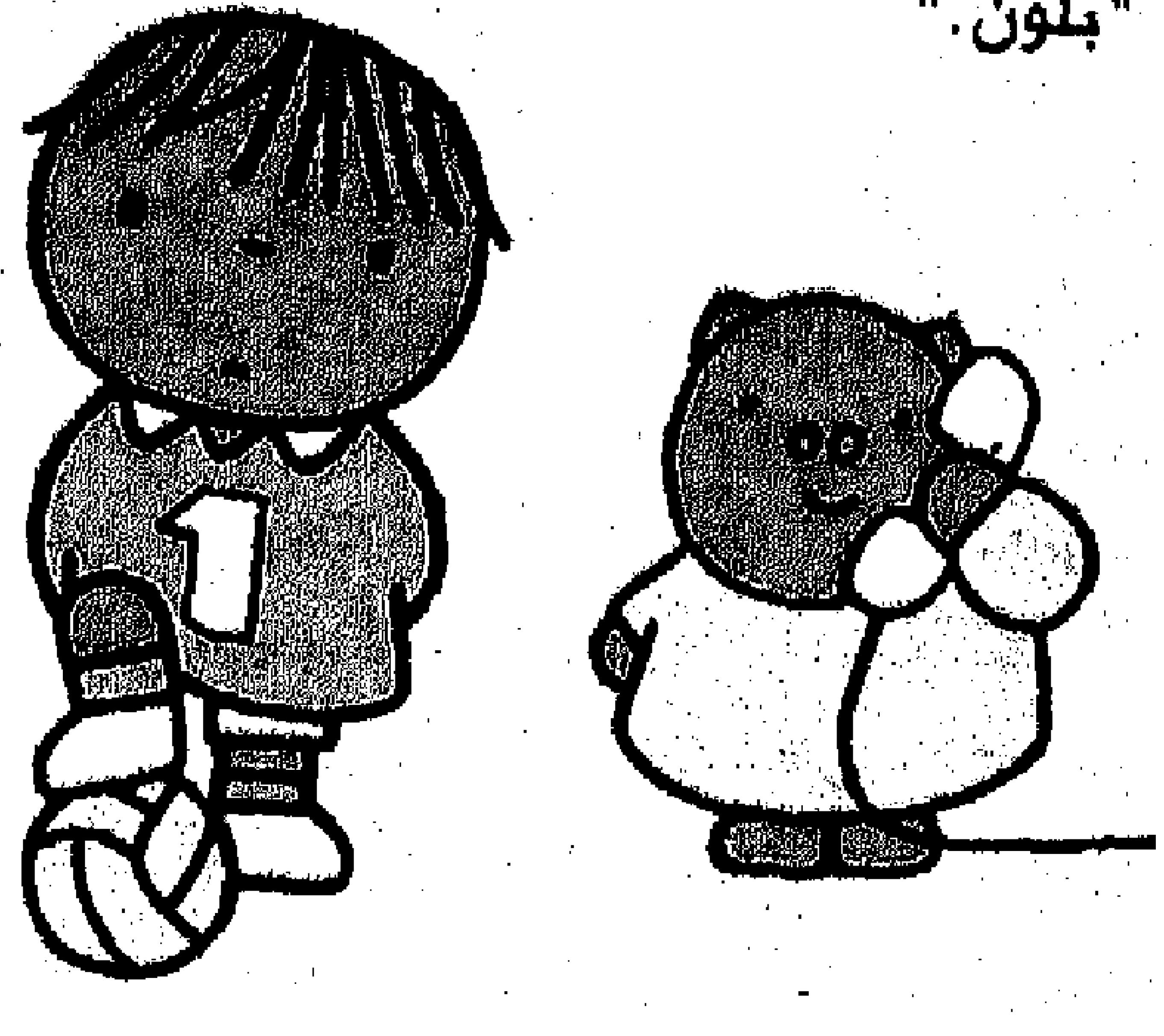
يقرأ ويرسم – دأب برونا على الرسم منذ نعومة اظفاره. ففي المدرسة الابتدائية في زايست، حيث عاشت عائلته، وفي المدرستين الثانويتين في بلتوفن وهيلفرسم، كان يرسم لمجلة المدرسة.

وبما ان عائلته عملت في مجال النشر، فان معظم زائريها كانوا فنانين: كتاباً ومصممي ورسامين. فالجو الذي عاش فيه دك عزز طموحه ليصبح فناناً. اما المصمم رين فان لويج فغالباً ما زار العائلة حاملا كتباً عهد اليه والد دك في تصميم غلافاتها. فأتاحت تلك الزيارات للصبي فرصة تعلم أول دروسه في الرسم. وأخذه فان لويج الى بحيرات لوسدرخت وعلّمه كيف يرسم الطبيعة. ويتذكر برونا: "كان رجلا مرهفاً، وانا مدين له بالكثير."

وفي السنوات الاولى التي اعقبت الحرب العالمية الثانية اختبر برونا تقنيات رسم مختلفة. كان طالباً في التاسعة عشرة من عمره عندما رسم اول غلاف لكتاب هو قصة بقلم أرنولد كليركس. ولم يمض وقت طويل حتى رسم الغلاف الخلفي لكتاب اعده الكاتب الهولندي المعروف هافانك وظهر فيه رسم شرطي فرنسي. ويعلق دك على ذلك:

"كنت محظوظاً. ففي ذلك الحين بدأت مؤسسة برونا سلسلة كتب الجيب التي دارت حول الدب الاسود، وكنت احب هذا النوع من الرسوم."

لكن والد دك لم يكن مسروراً برغبة ابنه الاكبر في ان يصبح رساماً، بل كان يريده ان يخلفه في رئاسة مؤسسته. لذلك ارسله الى لندن لمدة سنة ليعمل في مؤسسة "و.هـ سميث" التي تملك اكشاكاً لبيع الكتب في محطات السكك الحديد في بريطانيا، ومن ثم الى باريس لسنة اخرى في دار النشر الفرنسية "بلون."



قضى دك معظم وقت فراغه في الرسم. لكن والده ألحقه بمحل "بروز" لبيع الكتب في أوتريخت. وعندما أظهر دِك إخفاقاً في التعامل بالامور التجارية استسلم والده للامر الواقع وقال له: "لتكن فناناً." وهكذا أخذ دك دروساً في الرسم عام ١٩٤٩ على معلم خصوصي في امستردام، لكنه لم يعجب بالطريقة التي تعلمها فقال لوالده: "أريد ان افعل شيئاً ذا فائدة او هدف." فما كان من الوالد الا ان اجابه: "افعل ما تشاء."

وسرعان ما اصبح دِك ينتج ١٥٠ غلافاً في السنة، وهو اداء جيّد نظراً الى انه يقرأ دائماً الكتب التي يرسم غلافاتها. ويقرّ: "من حق المؤلف ان يطّلع على الغلاف، لأن الغلاف يجب ان يكون متناسقاً مع المضمون." جميع تصاميم غلافات الترجمة الهولندية لكتب جورج سيمنون عرضت على المؤلف، كما كان هافانك يراجَع ايضاً.

النجاح التجاري الذي لقيته "سلسلة الدب الاسود" أدى الى ظهور رسمه في غلافات كتب مؤلفين



آخرين منهم جان بول سارتر وسيمون دو بوفوار وكلير لينار ومارنيكس جيجسن، وقد رسم دِك برونا غلافات هذه الكتب. وفي معرض فرانكفورت للكتاب عام ١٩٥٧، ذاع صيت دك برونا وتخطى حدود هولندا.

بعدئذ تولى اعمالا دعائية تناولت ملصقات لمعارض ومفروشات واجبان والبان وغير ذلك.

تزوج برونا في العام ١٩٥٣، ومنذ ذلك الوقت اخذ يعرض كل رسومه على زوجته ارين. وفي السنة ذاتها ابتكر اول كتاب

اطفال له بعنوان "التفاحة" لانه اعتبر ان معظم كتب الصغار معقدة جداً. ويقول في هذا الصدد: "كلما كان عرض الكتاب بسيطاً، توصلنا الى الغاية على نحو اكثر ارضاء. وأفضل الطرق هو ايصال ما تبتغيه باقل مقدار من التفاصيل. واذا قدمت الاشياء مباشرة فسحت في المجال للاولاد كي يستخدموا ملكة الخيال لديهم."

من اين يستقي برونا افكاره؟

انها تأتي اليه بكل بساطة، كما يأتي عدد منها مع الرسائل والرسوم التي يرسلها اليه اولاد من انحاء العالم. فهم يخبرونه بتجاربهم الخاصة ويقدمون اليه اقتراحات ويرسلون انتقادات في بعض الاحيان. ويضع ذلك جميع هذه الافكار في علبة احذية حيث يمضي بعضها سنوات قبل ان يستعمله.

اما السبب الذي أوحى اليه اكثر شخصياته شعبية، اي نيجنتجي، فلا يذكره برونا على الاطلاق. يقول: "أظن ان ولدنا البكر المولود في العام ١٩٥٤ كانت لديه ارنب صغيرة من صوف. ربما من هنا انطلقت فكرة وضع قصة عن ارنب."

الناشر الياباني لكتب نيجنتجي نشر، ايضاً طبعة "برايل" (للمكفوفين) لكتاب برونا "أستطيع ان اقرأ" وهو كتاب يفسر الاشياء المألوفة ببساطة. ولما كان الاولاد العميان يعرفون الطاولات، مثلاً، بخبرتهم، ففي وسعهم تمييزها من طريق وصفها بلغة برايل. وينوي برونا نشر كتابه بلغات اخرى.

كذلك الامر في ما يتعلق بالاولاد الذين يعانون مشاكل في السمع. فقد نشر كتاب لهم في بريطانيا بعد استشارة اطباء في مستشفى فيكتوريا الملكي بنيوكاسل. عنوان الكتاب "قارب أزرق"(★) واختير هذا العنوان لأن الولد الاصمّ يستطيع "قراءة" حركة الشفاه بسهولة لدى لفظ هاتين الكلمتين. ويطلب من الاهل والمربين النظر الى الاولاد مباشرة لدى التكلم معهم، لأن ذلك يساعدهم في معرفة الكلمات الملفوظة.

"أفكر مثلهم" – اما كتاب برونا للاولاد الذين يعانون النزف المزمن فاقترحه اطباء المستشفى عينه. وبالتعاون مع اطباء الاطفال المصابين بهذا المرض وأهلهم، وضع برونا كتاباً ضمّنه رسوماً تبين لهم ما ينبغي عمله لدى اصابتهم بنزف، اذ ان اصغر جرح او خدش قد يؤدي الى نزف خطير. ويروي الكتاب قصة صبي صغير أصيب في حادث بسيط فأخذ الى المستشفى ليحقن دواء يوقف النزف. ولدى تعرضه لحادث آخر لم يلزم نقله الى المستشفى لأن والدته تعلمت كيف تحقنه الدواء. وفي نهاية المطاف اصبح الصبي قادراً على حقن نفسه كي يتسنى له ان يعيش حياة طبيعية.

وبغية تحسين عمله وترويجه يسافر برونا الى هونغ كونغ او نيوزيلندة او كاليفورنيا او اي مكان آخر حيث يتسنى له لقاء قرائه الصغار. يقول: "انهم لا يترددون في توجيه النقد وابلاغي ما يريدون وما لا يريدون. فبصرف النظر عن البلد الذي ينتمون اليه، يضحك هؤلاء الصغار او يبكون للامور ذاتها." ويشعر

(★) Blue Boat

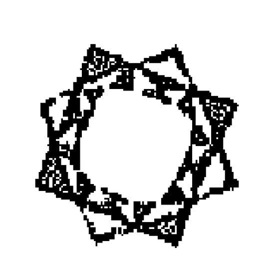
دك بسرور ازاء ذلك، ويزيد اقتناعاً بأن جميع بني البشر متشابهون.

وعلى رغم اصداره ٦٨ كتاباً فما زال دك يعتبر ان مباشرة كتاب جديد تشبه التمهيؤ للقفز في مياه باردة. ويضيف ان "كل كتاب جديد ينطوي على صعوبة تعادل صعوبة أول كتاب اصدره، لا بل هو اصعب منه. فكلما تقدم المرء في السن اصبح اكثر انتقاداً." وهو يعتبر رسومه الاولى ضعيفة جداً، "اما الآن فقد تحسنت، اذ اني استغرق وقتاً اطول لرسم العينين والانف بغية اظهار مسحة اضافية من حزن او فرح او غير ذلك."

عندما بدأ دك برونا ابداع كتب للاطفال لم يكن لديه اولاد، بيد انه علم بالحدس ما يريده الاولاد وكيف ينظرون الى ما يريدون. هل يستطيع وضع نفسه مكان الاولاد او التفكير مثلهم؟ من دون تردد يجيب: "أفكر مثلهم. انا لا احاول ارضاء الاولاد، بل احاول ابتكار شيء احبه. فأنا أعمل ما اريد."

وهو يعمل شيئاً "ذا فائدة وهدف،" فيفرح ملايين الصغار في انحاء العالم.

فريسو إندت



حب الارض

عمل ابي مزارعاً حتى الرمق الاخير من حياته. فبالنسبة اليه، ما من أمر يضاهي الزراعة قيمة أو معنى. كانت جذوره ضاربة في التربة السوداء الخصبة كما تضرب جذور النباتات التي غرسها عاماً بعد عام.

لم تكن الزراعة بالنسبة الى أبي وسيلة يحصّل بها لقمة عيشه او يحسن وضعه المالي، بل كانت هي الحياة. انها وهبته كل شيء: المأكل والملبس والمأوى والعمل القاسي والراحة والحب والاولاد والحزن والجزع والخطر والانتصار والامل.

كان أبي واقعاً في غرام أمنا الارض. ومع انها كانت احياناً تحبط آماله وتغيّر أفكاره وتهزم امانيه فقد أحبها بشغف. ولم يكن يشعر بالانتصار العظيم وأداء انجازات كبرى الا حينما تدر عليه ارضه محصولا وافراً تعجز مخازنه عن احتوائه.

أعترف بأن رأيي في ابي جاء شاعرياً، لكن الموسيقى والادب والطب لم تكن لتوجد لولا الزراعة. فالزراعة تهبنا ضماناً وأماناً يتيحان لنا متابعة الأمور الأخرى.

أ.غ.

مطعم "حديث"

ذات مساء دخلنا مطعماً صغيراً في احدى ضواحي لندن. واذ وقفنا ننتظر خلو طاولة لنجلس اليها، رحنا نراقب بدهشة طراز المبنى التاريخي. ولما أرشدنا النادل الى طاولتنا اعتذر لاضطراره الى اجلاسنا في الجناح الجديد للمطعم.

فسألته بخيبة: "ومتى شيّد الجناح الجديد؟"

فأجاب: "قرابة العام ١٦٤٠."

ج.ل.



نزهة بحرية في الشرق الساحر

تنعطف السفينة في اتجاه مضايق ملقة فتستمتع الصحافية الشابة بترف الرحلات البحرية

ركبت وصديقتي أورثودوسيا متن السفينة الشرقية الفخمة "سوتلج" المنطلقة من هونغ كونغ الى لندن. كان ذلك في يناير (كانون الثاني) ١٨٨٩، وكانت الرحلة البحرية ساحرة. عنبر السفينة عبق بأصناف الشاي والحرائر والفضة وأنياب الفيلة والأناناس المحفوظ. سحر الشرق كله انبعث من رائحة التوابل الفواحة.

أيام الابحار الاستوائية تبدأ في حوض استحمام كبير من الرخام. ثم إذا أردت ان تتمادى في أداء التمارين قبل الفطور، فيمكنك أن تذرع سطح مؤخر السفينة العريض الابيض، عاليه وسافله، تحت ظُلّة فوق رأسك وعلى الجوانب. وتحدق

دهشاً عبر جانب السفينة الى حيث ينصهر صبح السماء والبحر. ولكن من الأيسر أن تتمدد على كرسي هناك متفكراً.

واذ نتبع أحد المسافرين الى السلم لدى سماعنا رنين جرس الفطور، نجتاز حاملي مراوح البنكة(١): أربعة أو خمسة من صغار البنغاليين الوسيمين تشع شمس الهند في عيونهم البنية البراقة، حفاة يلبسون رداء أبيض من قطعة واحدة يبلغ منتصف سيقانهم السمراء الصغيرة، ويعقدون أحزمة قطنية حمراء، وعلى رؤوسهم عمائم. أربعة منهم يلوحون البنكة الضخمة في الأسفل. ويأتي "ريّس" من وقت الى آخر ليتثبت من أدائهم العمل المسند اليهم. لكنهم اذ يكون الريس غافلا يعمدون الى ربط الحبل بأصابع أقدامهم الكبيرة ويقفون على قدم واحدة فيما يجذبون الحبل بالأخرى.

فطور ملكي – المكان رحب وبارد في الاسفل حيث تعد الطاولة الطويلة البيضاء ويقف الخدم مأخوذين بجلال المأدبة الآتية.

الجدران مكسوة ببلاط أزرق وأبيض. وخارج الابواب الكبيرة المربعة يتلألأ البحر تحت الشمس مطلقاً رذاذاً، فيما ينحرف مقدم السفينة صوب مضايق ملقة. أشجار الكرز الغريبة القزمة في أوج تفتحها، وغرسات البرتقال محملة الثمار الوامضة في حجم كرة بلور(٢). تحوز أشجار الكاميليا الشمعية الباسقة عجاب أورثودوسيا من النظرة الاولى.

في الأعلى فتحة كبيرة بيضوية مسيجة بحاجز يفضي الى غرفة الموسيقى وعبرها تمتد جسور من سعف النخيل والسرخس باردة وأنيقة. تخبر أورثودوسيا القبطان أن ذلك أشبه بفطور في ضواحي الفردوس.

على المائدة يتجه اهتمام المرء الى ضباط السفينة. هناك دوماً من يفوز بحظوة لديهم فيشير إليهم مسمياً: هذا "القبطان" والى جانبه "الضابط الاول" و"الثاني" و"الثالث" و"الطبيب." انهم ضباط متحدرون من سلالة عريقة.

وثمة ضابط عاشق على الدوام، ذو نظرة ذاهلة، لا يهمه ماذا يأكل، وضابط موسيقي يغني "ملكة قلبي" ترافقه العروس الجديدة الجالسة الى يمين القبطان، وضابط مغازل لديه قمرة جميلة يعرض فيها الميداليات التذكارية المطلية يدوياً أو المغزولة صوفاً وقد جلبها من رحلات أخرى.

يدقق القبطان وورستر في تفاصيل البذلات النظامية، كي تظهر كوكبة طاقم "سوتلج" متناسقة. لا يظهر الضابط الأول أبداً في البذلة النظامية اذا ما ارتدى رئيسه بذلة العمل، ولا يلبس "الثاني" رداء أبيض ان كانت السترات السود البراقة هي اللباس المقرر ذلك اليوم.

تقليد في الشرق – بعد الفطور يعثر المسافر على البقعة الاكثر نسيماً على متن السفينة، مستريحاً في الكرسي الصيني الطويل الذي ثبت عليه أحدهم

---

(١) البنكة مروحة هندية شبيهة بالستار تدلى من سقف.

(٢) كلّة او بلّة.

بطاقة مُلكية. قد تتحلق مجموعة من البحارة حول النار فيغدو الصبح مفعماً بالحيوية. ونراقب البحارة الهنود ينفذون التعليمات فيفرغون دلاءهم على سطح السفينة، فيما يُخرج الضباط القوارب ويمضي المضيفون بالمؤن الى المطبخ.

وقد تعرض للسفينة محطات اثناء ابحارها. عندئذ يتجمع طاقم السفينة المؤلف من الضباط ذوي البزات المزررة والريّس البحري الذي يرتدي بذلة زرقاء والمضيفين في معاطفهم السوداء المحكمة التفصيل والبحارة الهنود في ملابس مبهرجة والوقّاد الافريقي في ثياب طويلة نظيفة بيضاء، كلهم يتجمعون في طابور على سطح مؤخر السفينة مؤدين التحية فيما القبطان والضابط الأول يمران في جولة تفتيش. ثم اذ يسمع الجميع صفرة الريس البحري يختفون في الاعماق عائدين من حيث أتوا.

ويحضر طعام الغداء: فواكه ومثلجات في زوارق من ورق، وأطايب استوائية أخرى، فيما أهداب قماش الكانفا الطويلة لمراوح البنكة تتمايل بتكاسل غادية رائحة فوق المائدة.

وينقضي العصر بطيئاً ومذهباً بلعب الكريكيت وشاي "الساعة الخامسة" ترشفه السيدة التي تحمل آنيتها الخاصة على الدوام وكعكة خوخ (برقوق) وهو التقليد الشائع في الترحال الى الشرق.

غرابان ورسالة – ذات عصر نمر على بعد ٨٠٠ متر من يخت بخاري. يعلن الضابط الأول أنه يخت سلطان جوهور. نلمح في مؤخر السفينة رجلا بديناً في لباس أبيض يلوح منديله بقوة، لابساً ثياباً نظيفة ومتزيناً بسلاسل جواهر ومبدياً لطفاً وكياسة. سلطان جوهور، انه لمسة السحر الضرورية لاضفاء واقعية على دنيا الخيال التي أطبق عليها بحر وسماء.

لا يتوقع المرء أن تحتفظ أقاصيص القبطان وورستر بنصف هزليتها اذا كتبت. وهو يروي الصدام المروع مع رئيسه ذات مرة حين كان ضابطاً أول، ومع عضوين ساخطين من الادارة المدنية في بومباي أمطراه في الميناء بأسئلة عن عروسيهما فأخبرهما أن الشابتين تسكعتا وقتاً طويلا في الأسواق الشرقية الفاتنة في جبل طارق، واذ لم تعودا في الوقت المحدد اضطر القبطان الى الابحار بسفينته وتركهما هناك.

وثمة قصة عن الضابط الشاب الساذج الذي أرسله بعض الظرفاء لاصطياد غربان تقتات بالقمامة قرب يوكوهاما، بعد ايهامه أنها صنف من الطرائد اليابانية. اصطاد الضابط زوجين من الطيور وأرسلهما مبتهجاً الى زوجة وكيل السفر في يوكوهاما مع رسالة لطيفة تبين أنهما أولى ثمار صيده بالبندقية. وحين كشف له عن الدعابة ذعر وأرسل خادمه لاسترداد الغرابين وشراء بطتين من السوق وفاء بالوعد المذكور في الرسالة.

سرت السيدة لدى تسلمها الرسالة وطلبت احضار الطريدتين الى قاعة الاستقبال. كان ثمة تأخير وبعض فوضى في المطبخ. وبعد قليل كانت الطريدتان

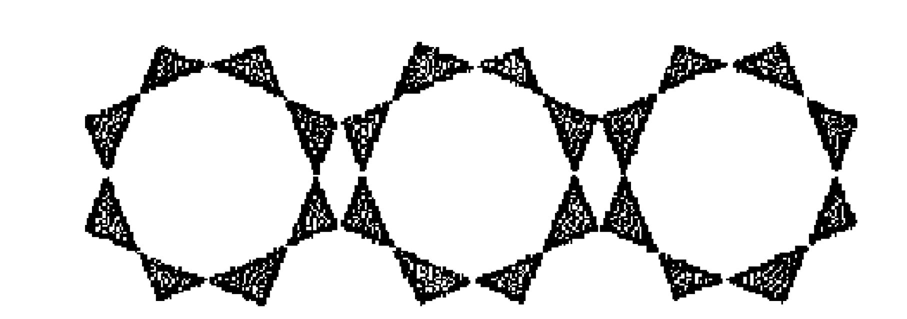
تصفقان أجنحتهما داخل الغرفة وقد لحق بهما الطباخ. لقد قرر الخادم الغبي أن يدلل على الرياضة التي يمارسها سيده فاشترى غرابين حيين. وهو لم يدرك أبداً سبب العقاب الذي نزل به لاحقاً.

تختم رحلة كل يوم، كرحلة اليوم السابق، بهبوط الظلمة الباردة الندية فجأة، تواكبها ألوف النجوم الغريبة.

مراقبة كوكب الزهرة منزلقاً الى البحر، الاصغاء الى انكسار المياه وانحسارها فيما السفينة، ذلك الكائن المهيب الأسود، تتذبذب نحو اللامتناهي حولنا: هذا كل ما كنا نفعله خلال الليل. ومع ذلك فحين يسترجع المرء الماضي تبدو له كل ليلة مستقلة بأحداثها. وهي أحداث تتلاشى اذا كتبت وتخرس اذا رويت.

سارة جانيت دنكان

الكاتبة (١٨٦١ - ١٩٢٢) كانت أول كندية تعمل في الصحافة. تزوجت إثر جولة حول العالم عام ١٨٨٩، وعاشت في الهند حيث ألفت كتباً في الرحلات والخيال.



المعلمة والتلميذ المتهاون

سامر تلميذ متهاون يجب حضه دائماً على الدرس. فعندما علّمت في روضة الاطفال كان سامر في صفي. وعندما علمت الصف الابتدائي الاول في السنة التالية كان سامر معي ايضاً. لكنه لم يغير شيئاً من عاداته. وانتهرته يوماً اذ وجدته متأخراً جداً في دروسه وأنذرته: "اذا لم تكمل كتابة هذه الصفحة فلن أسمح لك بالخروج للعب في فترة الاستراحة."

فأكب على الكتابة. ثم رفع بصره بعد برهة وسألني: "هل تعلّمين الصف الابتدائي الثاني ايضاً؟"

م.ا.م.

ألسنة شكسبير

في المشهد الخامس من مسرحية شكسبير "ضجة صاخبة من أجل شيء تافه" تجمعت الممثلات على خشبة المسرح والشموع في ايديهن. وكان على احداهن ان تقول: "لقد قتلتك الألسنة الخبيثة." ولكن ران عليهن صمت محرج قطعه المدرب بهمس خافت مرتين من جانب المسرح مردداً لهن الجملة. وفي المرة الثالثة رددها بهمس مسموع فأجابته احداهن بهمس مسموع أيضاً: "اننا نعرف الكلمات، لكننا لا نعرف من تقولها!"

ا.س.

الضحك خير دواء

الراعي والطبيب

أُدخل مزارع عجوز المستشفى بعدما شوهد مشوش الفكر. ولكي يحكم الطبيب على حاله سأله: "ان كان لديك مئة خروف في المرعى وهرب منها سبعة، فكم يبقى لديك؟"
فرد المزارع: "لا شيء."
قال الطبيب: "لا، الجواب ثلاثة وتسعون."
عندئذ علا صوت المزارع: "يا أخي، انك لا تعرف شيئاً عن الغنم. فعندما يهرب أحد هذه الحيوانات الغبية يتبعه سائر القطيع."

س.م.

سرّ أبيها

أخذ الاب الشاب يتبجح بطفلته الوليدة قائلا ان بينهما أشياء كثيرة مشتركة. فسأله أحد زملائه: "وما عسى أن تكون هذه القواسم بين والد بالغ وطفلة لها من العمر ثلاثة أسابيع؟"
"حسناً،" أجاب الوالد، "أحد الاشياء هو أننا نأكل كل أربع ساعات."

ب.م.

المهندس والثور

اشتد البرد على مهندس الكهرباء ومساعده وهما في طريقهما بالسيارة وسط الثلج لاصلاح خلل في أحد المعامل. فبسط المساعد غطاء من جلد الجاموس على ركبهما للتدفئة. عندئذ قال له المهندس: "أقلب الناحية المكسوة بالشعر الى أسفل لان الشعر ابعث على الدفء." فأطاع المساعد وهو يحاول كبت نفسه عن الضحك.
فسأله المهندس: "وما المضحك في الأمر؟"
اجاب: "إني افكر في ذلك الثور المسكين. كم كان مغفلا حتى فاته التنبه لمثل هذا الامر البسيط!"

ك.و.

خوف الابناء

قال مراهق لرفيقه: "اني شديد القلق. فأبي يرهق نفسه في العمل لكي يؤمن لي كل ما احتاج اليه. وأمي تقضي نهارها في غسل ملابسي وكيها وتنظيف الأوساخ التي أخلفها في البيت، وتهتم بي عندما أكون مريضاً."
فسأله رفيقه: "اذاً لماذا القلق؟"
أجاب "اخشى عليهما أن يلوذا بالهرب."

ج.م.

الداء والدواء

المحامي: "ما الذي أغراك كي تتزوج هذه المرأة؟"
الزوج: "جرأتها وصراحتها."
المحامي: "وما الذي يدعوك الى الطلاق الآن؟"
الزوج: "جرأتها وصراحتها."

ر.د.



عائلة سويسرية "تبنّت" قرية هندية بائسة وصنعت منها مجتمعاً مكتفياً



زهرة الصّباح

في مدرسة ذات بناء أبيض نظيف صفوف من التلاميذ تتلو أمثولاتها بلغة بنغالية رتيبة. وفي منزل مجاور يضمّد الدكتور موليك جرحاً في وجه طفلة في الرابعة من عمرها. وفي الجوار نساء ثرثارات ينتشلن الماء النقي من خمس عشرة مضخة ذات ألوان براقة، وأخريات يرمين علفاً لمئات من الدجاج المقوقى".

هذه هي "اوستي" القرية التي تبعد ٤٢ كيلومتراً عن جنوب كلكوتا المكتظة بالسكان. قبل سنوات قليلة كانت هذه القرية صورة مصغرة للمدينة المجاورة المثقلة بالفقر. كثيرون من أطفالها السيئي التغذية ماتوا نتيجة أمراض التقطت من مياه الشرب المأخوذة من آبار ملوثة، والذين بقوا احياء نموا من دون عناية طبية ولا علم ولا غذاء كاف، وواجهوا مستقبلا مظلماً يائساً.

Illustration: Martin Eberhard

أما اليوم فالحياة هنا تختلف تماماً، والسبب وجود عائلة جاءت من بلاد بعيدة: القبطان السويسري كورت بوركي وزوجته إدلترود (ترودي) وأولادهما الخمسة. هذه العائلة "تبنت" أوستي وبعثت فيها أملاً.

مغامرتها الكبرى بدأت عام ١٩٧٥ حينما كان كورت عائداً الى موطنه من الشرق الاقصى. هبطت طائرته في بومباي وحمّلت ستة عشر ولداً مشرداً من كلكوتا الى سويسرا للتبني. ولما كان هؤلاء الاولاد لم يعتادوا الطعام الغربي، فانهم طفقوا يعانون تقيؤاً واسهالاً. واذ راح كورت يساعد فريق الطوارىء في العناية بهم، وجدهم متجاوبين معه.

"إفعلوا شيئاً!" – بعدما عاد كورت الى منزله في جونا التي هي احدى ضواحي زوريخ أبلغ زوجته ما حدث. ومع أن للزوجين ثلاثة اولاد هم باتريك (٩ سنوات) وغبرييلا (٦ سنوات) ورفائيل (٤ سنوات) فقد كانا يحاولان تبني ولد من كولومبيا. ولكن في اليوم التالي اتصل كورت هاتفياً بمؤسسة "أرض البشر"(١) وهي مؤسسة عالمية لاغاثة الاطفال مركزها الرئيسي لوزان في سويسرا، وأبلغها أنه وزوجته يسعدهما أن يستقبلا طفلا من الهند أو بنغلادش. وبعد مرور ستة أشهر تبنيا ديبتي (٤ سنوات) وهي لقيطة سوداء العينين من كلكوتا. قال كورت: "رأينا أننا سنكون خير أبوين اذا ما زرنا مسقط رأسها." ثم طارا الى الهند ليصطحباها.

كانت رؤية كلكوتا مفجعة. تقول ترودي: "رأينا الاطفال هناك مضطجعين على حجارة كبيرة ولا قوة لهم على الجلوس. وكان في امكاننا احصاء كل ضلع في أجسادهم."

وسألت عائلة كوربي عن ذوي ديبتي فلم تُجب الا بهز الاكتاف. قيل لها في كلكوتا ان الآباء الذين يقنطون من تغذية أطفالهم يتركونهم أحياناً في الشوارع.

بعد رجوع عائلة بوركي الى سويسرا اتصلت بادموند كيزر رئيس مؤسسة "أرض البشر" ونقلت اليه تأثرها وألمها العميقين. فرد كيزر: "عندما ترون الاطفال يموتون في الشوارع فلا تقفوا حيالهم متفلسفين، اذهبوا الى هناك وافعلوا شيئاً."

بادىء ذي بدء لم تكن العائلة واثقة بقدرتها على أيّ التزام أو تضحية. يقول كورت: "نحن عملنا بمشقة لنصنع حياة مريحة لانفسنا." فهو نشأ في عائلة فقيرة كثيرة العدد. وبدأ في الخامسة عشرة من عمره يعمل ميكانيكياً متمرناً. ثم تزوج وانتقل الى الدراسة في كلية صناعية تقنية بينما كانت ترودي تعول العائلة. وتعلّم الطيران في "مدرسة الطيارين،" وعام ١٩٦٦ انضم الى الخطوط الجوية السويسرية.

الآن، وقد أصبح في الخامسة والثلاثين، وجد أنه يكسب ما يؤمن حياة مريحة.

أما ترودي التي جاءت مثله من عائلة كبيرة فتتذكر: "أخبرته اني لا أهتم للرفاهية." فهي نشأت في المدينة المتاخمة رابرسفيل. وعملت خادمة، ثم كاتبة في مكتب بريد، ثم مضيفة في الخطوط الجوية السويسرية. وبحثا في

(١) Terre des Hommes

امر حياتهما العائلية واتفقا على العمل معاً.

مدرسة وماء – في سبتمبر (أيلول) ١٩٧٧ رجع كورت وترودي الى كلكوتا والتقيا ملتون ماكان الرئيس المؤسس لجمعية الخدمات البنغالية وهي مؤسسة تشدد على مساعدة الفقراء، ولاسيما أطفال الاحياء البائسة في المدينة وضواحيها، وتعليمهم المهارات اللازمة لكسب عيش أفضل. اقترح أن تركز عائلة بوركي جهودها في الريف، اذ ان المهمة الاكثر الحاحاً في كلكوتا هي العمل على وقف تدفق الفقراء الذي يزيد من فوضى المدينة.

أخذ ماكان العائلة الى اوستي وهي بلدة تضم ١٢ ألف نسمة، يتفشى فيها المرض والجوع، لا مدرسة فيها، والاعمال قليلة. لكن ماكان اوضح أنه بعشرة آلاف فرنك سويسري (٦٩٠٠ دولار) تمكن تغذية ثمانين من أطفال المدينة العجاف وتعليمهم.

تفقدت عائلة بوركي بلدة أوستي بانفعال وحماسة. قال كورت: "حسناً، هذه هي بلدتنا." واستأجر منزلا متصدعاً مبنياً من الطين بأحد عشر دولاراً ونصف دولار شهرياً لتحويله مدرسة. هنا سيُعلَّم الاولاد المهارات الاساسية وتقدم اليهم ثلاث وجبات يومياً. وهذه هي أولى خطوات المشروع الذي سمّي "زهرة الصباح."

بعد عودة كورت وترودي الى جونا وقفا قسماً من دخلهما لتمويل البناء. وفي ١٨ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٧٧ افتتحت رسمياً المدرسة الاولى في أوستي.

وضع آل بوركي وماكان جدولا بالخطوات الواجب سلوكها لانجاح مشروع "زهرة الصباح"، مدركين أن تقدمهم في العمل يجب أن يكون تدريجياً. يقول كورت: "عمت البلدة ريبة واضحة." وتعين عليهم أن يكسبوا ثقة القرويين.

رأوا أن تكون الخطوة الثانية تأمين أكبر كمية ممكنة من الماء النقي. في القرية بئران، احداهما غير صالحة. وكان السكان يأخذون مياه الشفة من الاحواض القذرة التي تستعمل للغسل. البلدة في حاجة الى اثنتي عشرة بئراً على الاقل، انما عائلة بوركي اكتفت بخمس.

تدفق الامال – كان الهدف التالي ايجاد طرق مؤدية الى دعم اقتصاد البلدة. اتفقت عائلة بوركي مع حرفيّ لتعليم صناعة الخزف. وأخذت بعض المصنوعات الى سويسرا لبيعها في "مخزن أوستي" في رابرسفيل. ساعدت أيضاً في التنظيم لتعليم الفتيان والفتيات ادارة سوق محلية بغية التقليل من الاعتماد على الوسطاء الذين يتقاضون أجوراً باهظة لنقل الانتاج المحلي الى كلكوتا.

وسرعان ما تحولت ريبة القرويين امتناناً ثم محبة. وفي سويسرا بدأ المشروع يكسب دعماً. شركة الخطوط الجوية السويسرية منحت كورت وترودي تذكرتين مفتوحتين للسفر الى الهند ساعة يريدان، كما أن عمدة جونا والمجلس البلدي في رابرسفيل ونوادي الخدمات المحلية ساعدوا في جمع التبرعات. وتبرع برلمان كانتون سان غالن بمبلغ من المال. وفي العام ١٩٨٢

بادرت مؤسسة "العدائين العالميين" في سويسرا، المنادية بوقف المجاعة العالمية، بتنظيم سباق قرب زوريخ يعود ريعه الى مشروع اوستي. أما النتيجة فكانت توافر الامكانات لنبش آبار عدة في اوستي. وفي العام ١٩٨٤ عمدت منظمة لتنمية وضع موظفي القطاع الخاص في ساندوز، وهي مركز الادوية الجبار في سويسرا، الى جمع تبرعات تكفي لزيادة الآبار الى خمس عشرة، موجودة حالياً، ولاستيعاب المشروع عدداً أكبر من اطفال البلدة.

اليوم، في مكان ظاهر داخل حدود أوستي، بوابة تحمل الشعار الآتي: "زهرة الصباح، ربيبة رابرسفيل – جونا. انشئت بعناية ادلترود وكورت بوركي، مؤسسة أوستي، الهند."

في الداخل المدرسة الاساسية التي أصبحت الآن مركز حرف وهوايات. بقربها يزرع الرز والخضر. وثمة ٦٠٠ دجاجة تؤمن لتلاميذ "زهرة الصباح" اللحم والبيض الغني بالبروتيين. وفي مجمّع طبي يعالج الدكتور موليك والممرضة ميناكشي موندال ٨٥ مريضاً يومياً. والى ذلك تزور الممرضة موندال بيوت البلدة لتقديم المعالجة الطبية والنصائح الى النساء حول تنظيم الاسرة، علماً أن نصف سكان القرية أطفال وأولاد.

وهناك مصنع للغاز الحيوي(٢) ينتج الطاقة اللازمة لوقود المركز. وهناك أيضاً مستوصف للاطفال دون الخامسة يعاين يومياً عدداً من المرضى يراوح بين ٤٠ و٥٠، ودار حضانة تضم ٥٠ طفلاً. أما المدرسة الرئيسية المؤلفة الآن من طبقتين فتضم ٣٥٠ ولداً، من الروضة الى الصف المتوسط الثالث.

قرى أخرى؟ – هذا المشروع يعني لمعظم الاولاد تغييراً جذرياً في حياتهم. ماهاراني بيك، الطفلة الصغيرة في الصف الابتدائي الخامس، تنتمي الى فئة المنبوذين من سكان أوستي، ولولا "زهرة الصباح" لأرسلت الى العمل كخادمة، وتزوجت في الثالثة عشرة، وأصبحت أماً في الخامسة عشرة، وعجوزاً هزيلة في الثلاثين. بروبر ماندال تلميذ في الصف المتوسط الثاني، كان سيرسل للعمل في حقول ملّاك غني. لكنه الآن سيتخرّج ولديه مهارة، وقد يذهب الى مدرسة ثانوية في بلدة قريبة.

يقول كورت: "كل ولد يجب أن يترك المدرسة وهو يتقن مهارة واحدة على الاقل يكسب بها معيشته. واتقان حرفة أو صناعة أمر اجباري، سواء أكانت صناعة خزف أم خياطة أم زراعة. وكل الفتيان يجب أن يتابعوا دروساً في الزراعة الحديثة. وثمة حديقة يمارسون فيها ما تعلموه.

اليوم يسافر كورت وترودي وبعض أولادهم مرتين في العام الى الهند، بمن فيهم شونو وهي فتاة من كلكوتا لا منزل لها تبنتها عائلة بوركي في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣. أوستي هي الموطن الثاني. تقول ترودي: "أصدقاؤنا هناك يتعامل بعضهم مع بعض بفرح طبيعي قلما نمارسه نحن في الغرب. لقد

(٢) Biogas، وهو غاز ينتج من تحلل المواد العضوية كالفضلات المنزلية.

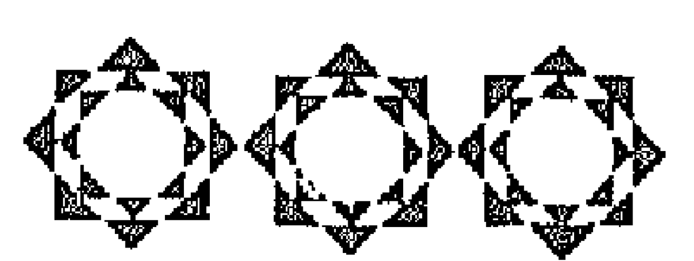
تعلمنا أن ننظر الى حياتنا الخاصة بمنظار مختلف."

ويشعر آل بوركي بأن التطور الحديث لن يبرّد هذه الحرارة اذا صممت كل خطوة منه بعناية بحيث لا تمزّق الحياة القروية. هناك أفكار جديدة وخطط ممكنة التحقيق لا تناقش ضمن العائلة فحسب أو مع ملتون ماكان، الامين العام للمؤسسة، بل تناقش أيضاً مع سكان أوستي للحصول على الموافقة النهائية. وقد اشترت عائلة بوركي أرضاً قرب مجمّع "زهرة الصباح"، في وسطها حوض كبير. وبموافقة سكان البلدة سيحول هذا حوض أسماك يجعل منه التلاميذ المدربون على الزراعة المائية مورد رزق لهم ومصدراً لمؤونة غذائية ثابتة لبلدتهم. أخيراً على سكان أوستي أن يكسبوا مالا كافياً لتغطية موازنة المشروع التي أصبحت الآن ٣٥٠ ألف فرنك سنوياً.

ماذا ستفعل عائلة بوركي عندما تنتهي مهمتها؟

اتصل بها مواطنون مسنون من قرى هندية أخرى يستوضحون بلطف ما اذا كانت العائلة السويسرية قد تنظر في أمر تبني قراهم أيضاً. ويقول كورت: "أحياناً أسرّ الى نفسي: حسناً، قد تكون هناك بلدة ثانية أو حتى ثالثة. في أي حال، لم نعمل شيئاً لا يستطيع الآخرون تقليده. لقد رأينا في الهند ما يكفي لنؤمن بأن الناس يستطيعون تحريك الجبال اذا هم أرادوا أن يحاولوا."

لورنس شيري



سيارة للعائلة

ذهبت لشراء سيارة جديدة وقدمت الى الوكيل قائمة طويلة بالمواصفات التي أطلبها. قلت له: "يجب الا تكون غالية الثمن، وان تتسع لثمانية أولاد مع عدتهم اللازمة للتخييم، وأن يكون سقفها عالياً مريحاً، والا يكون فيها مكيف هواء لان النسيم الطبيعي احب الي. ولست مهتمة لقوة المحرك ولا للسير الناعم السهل."

فحدجني الوكيل بنظرة حادة وقال لي: "يا سيدتي المحترمة، عربات الجياد لم تعد لها سوق اليوم."

س.ب.

الجرو اليتيم

ما من شيء نجح في وقف عواء جرونا الجديد الذي كان يحنّ الى أمه، لا التربيتات الاضافية ولا كيس الماء الساخن في سريره ولا بسكويت الكلاب. وبعدما استنفدت جميع الوسائل وضعته في الخارج. وسمعته يعوي على نحو يثير الشفقة ثم ما لبث عواؤه ان توقّف. فدنوت من النافذة على رؤوس أصابعي لأرى ما الذي أحدث تلك الأعجوبة. فرأيت بائع الحليب جالساً على علبة حليب يرنم للجرو المسرور تهويدة للأطفال.

ج.ش.

نهر بيفر يسرع صوب الشاطىء الشمالي للبحيرة
ثمة ٢٠٠ نهر يغذيها ما يزيد على ١٢٠٠ رافد تص
مياهها في حوض سوبيريور الوسيع



سوبيريور البحيرة الاسطورية

منبسط أزرق لا يحدّه نظر هو أكبر تجمّع للمياه العذبة في العالم

بحيرة سوبيريور ذاك المحيط الواسع، لا يرى المرء وهو في وسطها أثراً لليابسة على امتداد الجهات الاربع. العواصف الهوجاء التي تهب فيها شبيهة بعواصف المحيط الاطلسي، كذلك الرياح الباردة التي تتدنى حرارتها تحت الصفر ولها زخم إعصار وتصاحبها ثلوج وامواج ترتفع تسعة امتار فتحطم القوارب الكبيرة.


لقد أطلق المستكشفون الفرنسيون اسم "لاك سوبريور على أولى سلسلة البحيرات الكبرى الخمس(١) ليس بسبب اتساعها او عواصفها العاتية، بل لأنها أعلى تلك البحيرات.

شواطىء البحيرة الممتدة على طول ٢٩٤٠ كيلومتراً هي أكثر تنوعاً من شواطىء محيط حقيقي.

فالشاطىء الشمالي معزول ولا وجود لانسان فيه. اما الحدود الجنوبية لغابات الشمال ففيها غابات صنوبرية شبيهة بتلك التي تغطي معظم أراضي كندا. وفي بعض الاماكن على هذا الشاطىء يستطيع المرء رؤية "الدرع" الكندية الشهيرة والاسس التي تقوم عليها ملايين الكيلومترات المربعة في كندا، وجبال اديرونداك التابعة لولاية نيويورك الامريكية وحوض بحيرة سوبيريور.

وعلى الشاطىء الجنوبي الولايتان الامريكيتان وسكونسن وميشيغان، وعلى الجانب الشرقي قنوات سولت سانت ماري التي تعبرها بانتظام بواخر تجارية تعادل تلك التي تعبر قناة باناما. وحول الشاطىء الجنوبي الشرقي أجراف تعلو ٧٠ متراً، وفوقها حقل عرفه الرحالة الفرنسيون بـ"الرمال الكبرى"(٢) وهي منطقة شبه صحراوية لا يُرى فيها شيء على امتداد كيلومترات سوى تلال رملية تشكل انحناءات جميلة متعرجة تنتهي في أودية طويلة.

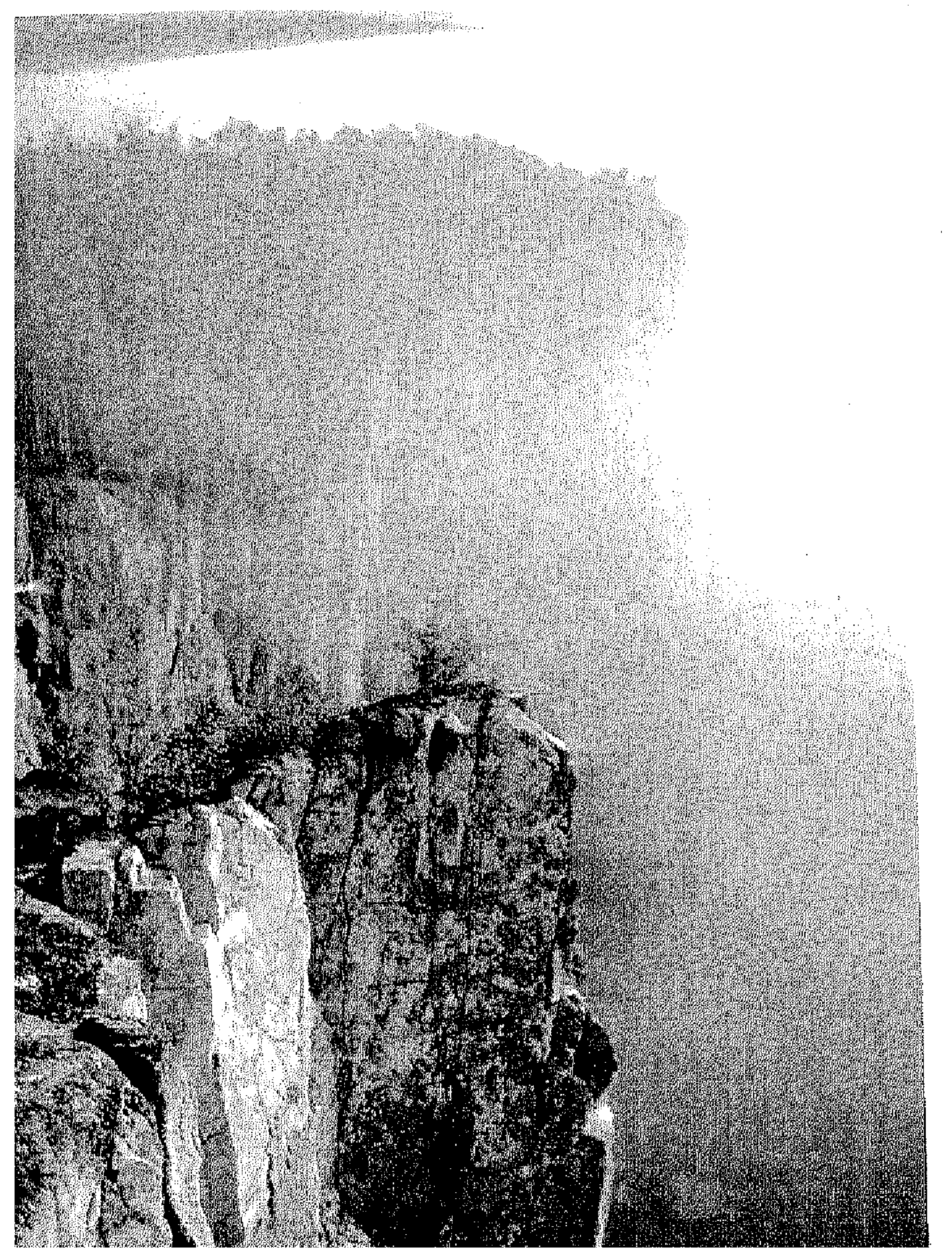
(١) سوبيريور وميشيغان وهورون وإري وأونتاريو.
(٢) Le Grand Sable



أنهار وروافد - بعد ذلك يتحول الشاطىء غابات من جديد، تتبعها مدن وبلدات متفرقة وبعض المزارع ومنطقة جيدة المناخ. وفي الشاطىء الجنوبي الغربي تكثر الدلائل على حياة تجارية وسياحية، حتى يصل المرء الى اقصى الغرب حيث يقوم ميناء كول دي ساك وعلى جانبيه مدينتا سوبيريور (بولاية وسكونسن) ودولوث (بولاية مينيسوتا) الناشطتان في استيراد - وتصدير - كميات كبيرة من الحديد والحبوب والفحم.

وللبحيرة تأثير في كل ما يحوطها. ويولّد امتدادها طبقة هوائية رقيقة تكاد تلمس. والهنود من قبائل "أوجيبوا" الذين سكنوا شواطىء البحيرة دعوها "غيتشغوم،" اي مياه البحر الكبير، وكانوا يعتقدون ان الارض ولدت من حبة رمل أتت من قاع البحر الكبير.

هنري روي مستكشف وديبلوماسي

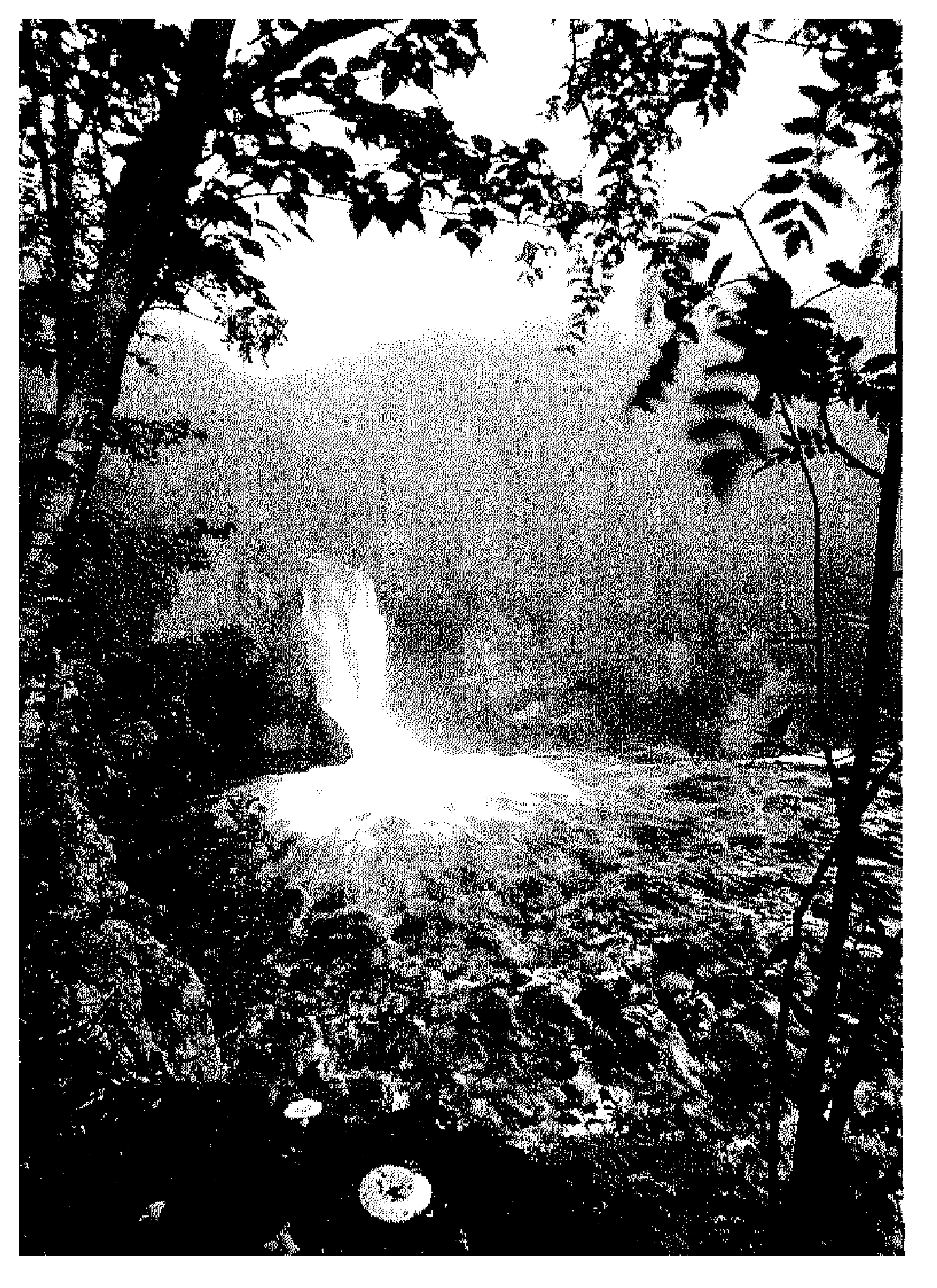


أجراف بركانية في "رأس باليسار" ترتفع ٩٠ متراً فوق سطح البحيرة في الشاطىء الشمالي قرب نهر بابتيزم.

وعالم وباحث قضى ٣٠ سنة في جوار البحيرة. دار حولها في العام ١٨٣١ وكتب عنها في ما بعد: "انها وسيعة بكل ما في الكلمة من معنى. الغيوم تدثرت بأشعة الشمس وطفت فوق منبسط من المياه. وفي البعيد جبال وجزر. من جهة، يطالعك شاطىء تكسوه اشجار خضراء، ومن جهة اخرى مياه وفيرة. تلك هي الاشياء التي يقع عليها من يجول بعينيه هناك."

نعم، ان كلمة وسيعة تنطبق بحق على البحيرة. فسوبيريور هي اكبر مجمّع للمياه العذبة على الارض حيث تغطي ٨٢ الف كيلومتر مربع.

ثمة ٢٠٠ نهر، يغذيها ١٢٠٠ رافد، تصب مياهها في البحيرة. وفي الربيع، عندما يبلغ الدفق ذروته، يبدو الشاطئان الشمالي والغربي مثل سلسلة صنابير (حنفيات) جميلة متدفقة لا تحصى، وكل واحد يصب مياهه الهادرة في البحيرة. لكن لكل نهر شخصيته الخاصة وطريقته



شلالات مانيتو الجميلة تقذف مياهها الهادرة من فوق صخر مرتفع الى بحيرة سوبيريور.



في نقل المياه. مياه نهر بابتيزم تتدفق سريعة وفي شلالات بين الصخور وغابات الصنوبر. اما مياه نهر مانيتو فتعلو صخرة عالية قبل ان تصب في البحيرة، وأما نهر تمبرانس فيرسل اطناناً من مياه مزبدة عبر كهف تعبر بعده صدوعاً وسط صخور بركانية.

بنت القمر - مع أن اختراع الزورق الخفيف(٣) غارق في القدم، فقد عرفت واسطة النقل هذه أروع لحظاتها على شواطىء بحيرة سوبيريور. كذلك كانت الحال بالنسبة الى الرحّالة الذين أثقلوا زوارقهم بأحمال من الفرو نقلوها الى اوروبا. لقد نسجت حولهم حكايات

انتهى الشتاء وأطل الربيع وطفت رقع كبيرة من الجليد على سطح البحيرة. وتبدو أشجار البتولا مشرفة على الشاطىء.

٣) Canoe

رومنطيقية كثيرة، وكانوا في الحقيقة رجالا اشداء.

وظلت قوافل زوارقهم تبحر حتى القرن التاسع عشر، واصبحت مستخرجات المناجم المواد الرئيسية التي تعبر بحيرة سوبيريور. كما حلّت المراكب الشراعية محل الزوارق تلك، ومن ثم اصبح الاعتماد على مراكب معدنية قبيحة المنظر.

والبحيرات الوسيعة هذه، مثلها مثل البحار، تبخل بالرحمة والغفران في بعض الاحيان. وفي هذا الصدد يقول بيت إديسون وهو صياد سمك في الثمانينات من عمره: "لقد رأيت بحيرة سوبيريور غير مرة وهي ثائرة. ذلك يحدث بسرعة كبيرة. فقد تكون لديك ٣٠ دقيقة او حتى اقل بين لحظة رؤيتك الغيوم تتجمع ولحظة حدوث العاصفة. وتتحول البحيرة زبداً امام عينيك فلا يسعك حينئذ الا الهرب."

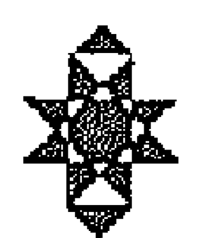
وفي بعض الاحيان يُعدم المرء مكاناً يلجأ اليه، لذلك كثر حطام المراكب الغارقة فبلغ عددها ٣٥٠ على مرّ السنين وفقد ما يزيد على ١٠٠٠ بحار.

على المرء ان يقضي فترة قصيرة على مقربة من هذا المجمّع الوسيع كي يفهم المخاوف والهواجس التي انتابت الهنود ممن سكنوا شواطىء البحيرة. قصيدة لونغفيلو "أغنية هياواثا" ترتكز على أسطورة هندية وتتضمن مزيجاً من الحب والخوف اللذين عايشا الهنود عبر قرون:

"على شواطىء غيتشي غومي
وأمام المياه المتلألئة للبحر الكبير
وقفت نوكوميس ابنة القمر.
خلفها امتدت غابة مدلهمة
وارتفعت أشجار صنوبر وتنوّب
تنساب المياه أمامها
مشرقة صافية مشمسة.
انها مياه البحر الكبير."

قلة من الرجال تستطيع العيش او العمل طويلا على شواطىء بحيرة سوبيريور من دون ان ينتابها شعور غامض ازاء اتساع البحيرة وأسرارها. فهي بحيرة أسطورية، ويبدو انها ستبقى كذلك.

وليم أوسكار جونسون



البيتزا الحارقة

في الاولى بعد منتصف الليل رن جرس الانذار من الحرائق في قاعة المنامة بالجامعة، وهرع الطلاب الى الخارج. وفي الحديقة وقف زميلان يتحادثان:

"اعتقد ان الحريق شب في الطبقة التاسعة."

– نعم، انا كنت هناك.

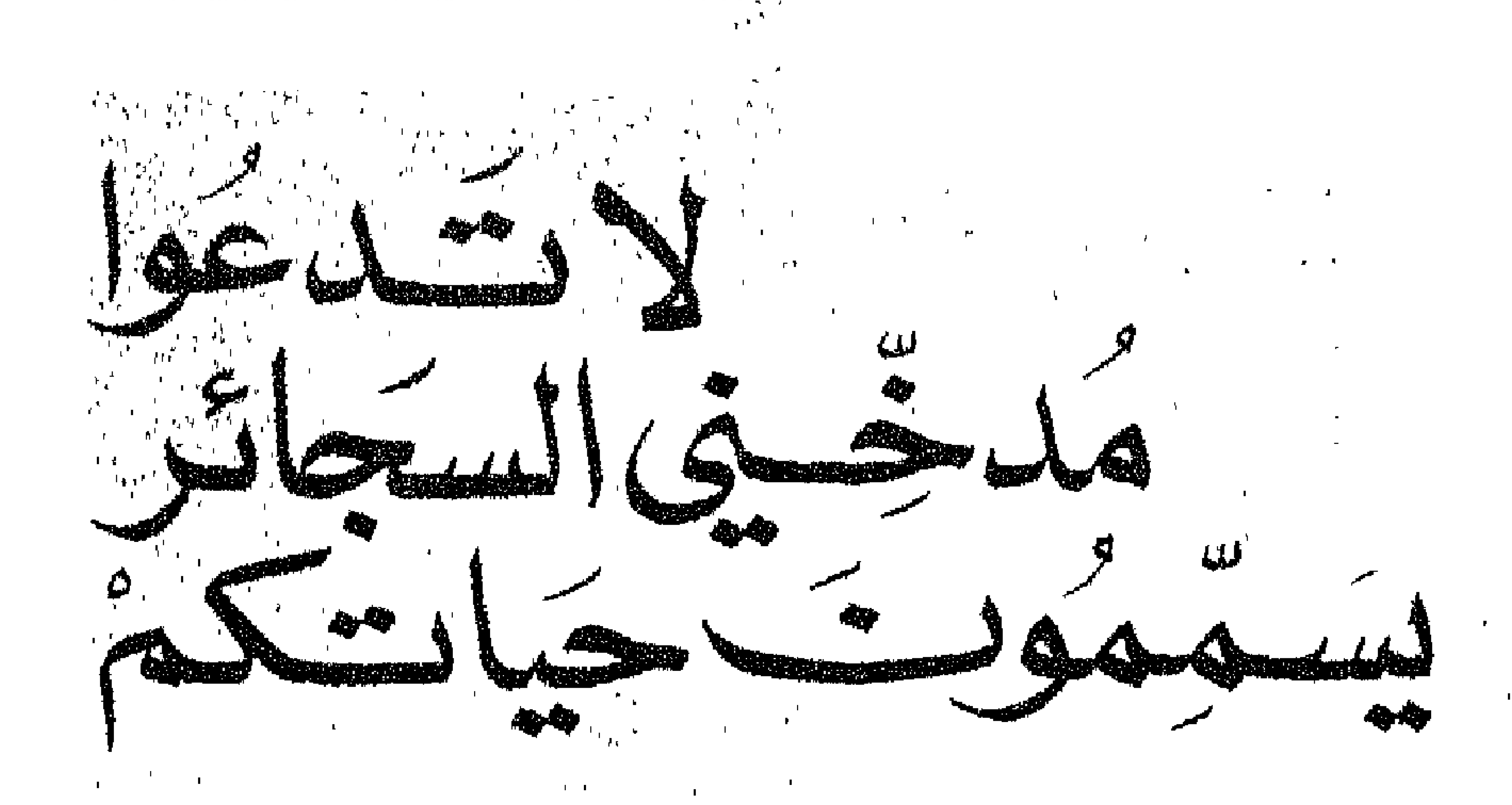
"وهل تعرف كيف حدث ذلك؟"

– الحقيقة انني وضعت فطيرة بيتزا في الفرن.

"وهل تركتها هناك وقتاً طويلاً؟"

– لا، لكني أبقيتها في علبة الكرتون.

ل.ب.



دعوت في مايو (أيار) ١٩٨٤ الى ايجاد "مجتمع خال من الدخان" قبل حلول العام ٢٠٠٠. وما قصدته هو مجتمع لا يدخّن فيه أحد تبغاً في حضور آخرين من دون استئذانهم. ولم أعرف وقتئذ اذا كان تحقيق هذا الامر ممكناً. ومن التجاوب الذي لاحظته في غضون السنوات الثلاث الماضية، أشعر بأن الدعوة قابلة للتطبيق.

ومنذ وضع كبير الاطباء(★) الاسبق أول تقرير عن التدخين في العام ١٩٦٤، اعتبرت أوساط عدة أن التدخين قاتل. وفي الولايات المتحدة وحدها يتسبّب التدخين في موت ما لا يقل عن ٣٦٠ ألف شخص سنوياً، أي ما يعادل ضحايا تحطم طائرة جمبو (بوينغ ٧٤٧) مليئة بالركاب كل ١٣ ساعة. والى ذلك يضاعف التدخين ثلاث مرات خطر الموت بالسكتة القلبية و١١ مرة احتمال الاصابة بانتفاخ الرئتين و٢٥ مرة خطر الاصابة بسرطان الرئة. وهكذا أصبح التدخين مسبّب الوفيات الأكبر الذي يمكن منعه.

والامريكيون يعرفون ذلك حقاً. فقد أظهرت الدراسات الاخيرة أن ٩٤ في المئة منهم يعتقدون أن التدخين خطر على الصحة، وأن ٩٠ في المئة من المدخنين يرغبون في الامتناع عنه. وإن قسماً منهم امتنع عن التدخين فعلا. ومنذ العام ١٩٦٤ تدنت نسبة المدخنين في الولايات المتحدة من ٤٢ في المئة الى نحو ٣٠ في المئة. ولكن لا يزال ٥٣ مليون امريكي ينفثون دخان سجائرهم في الجو ويجبرون غيرهم على تنشقه أيضاً.

أولاد المدخنين – إنّ مسألة الاذى الناجم عن تنشق دخان الغير لاإرادياً أو اضطرارياً أصبحت محور اهتمام بعدما نشرت تقريري الرسمي للعام ١٩٨٦ بعنوان: "المضاعفات الصحية للتدخين اللاارادي."

ومع انه لا تزال ثمة أمور كثيرة تجب معرفتها حول التأثيرات التي يحدثها دخان التبغ في البيئة، فان رأيي هو

(★) Surgeon General



لا يزال المدخنون ينفثون سمومهم في الجو ويجبرون غيرهم على تنشقها أيضاً. هنا تحذير طبيب كبير

الآتي: ان الدراسات العلمية التي اجريت في السنوات القليلة الماضية أطلقت ما فيه الكفاية من تحذيرات تدعم فكرتي القائلة بأن دخان التبغ خطر على الصحة ويجب ألا يتعرض له من لا يرغب فيه.

معهد التبغ في الولايات المتحدة، الذي يموّله صانعو السجائر، له موقف مغاير. فهو يزعم أن الدراسات غير حاسمة ولا تظهر بوضوح الآثار التي يتركها التدخين الاضطراري في الانسان. لذلك يدعي المعهد أن دعوتي الى تنقية الهواء في الاماكن العامة أمر غير ملائم وسابق لأوانه.

صحيح أن جميع الدراسات في ميدان الاوبئة هي استنتاجية وترتكز على تحليل احصاءات تربط بين التدخين الاضطراري وازدياد مشاكل الصحة، لكن تقريري هو نتاج عمل ما يزيد على ٦٠ عالماً منتشرين في أنحاء العالم ويمثلون أنظمة متنوعة. ولقد جاءت الدلائل الاجمالية لتبرر استنتاجي، وهو "أن التدخين الاضطراري مصدر للامراض بما فيها سرطان الرئة لدى الاصحّاء غير المدخنين. والاولاد الذين يدخن أهلهم معرضون لالتهابات في جهاز التنفس أكثر من غيرهم، ويعانون أعراضاً تنفسية متزايدة وكسلا في الرئتين عند البلوغ. ومن شأن الفصل بين المدخنين وغير المدخنين في المكان الواحد أن يقلل من تعرض غير المدخنين لتنشق دخان التبغ لا ان يلغيه."

أعراض وأمراض – في الوقت الذي وضعت تقريري كانت ثمة دراسات مستقلة تعذّر إدراجها فيه لعدم اكتمالها. إحدى هذه الدراسات كانت تعدّها الأكاديمية الوطنية للعلوم في الولايات المتحدة بطلب من وكالة حماية البيئة ووزارة الصحة والخدمات الانسانية "لاعادة النظر في الدراسات العلمية المنشورة وتحديد المعلومات المتوافرة حالياً" واذ سجل تقرير الاكاديمية الوطنية حول التدخين الاضطراري نقاطاً عدة تنبغي الافاضة في دراستها، فقد

Photos: (background) Brent Petersen; (inset) Sal Dimarco, Jr.

كان واضحاً جداً في ثلاث نقاط هي:

● "ان التعرض لدخان التبغ في البيئة يزيد عدد الاصابات بسرطان الرئة لدى غير المدخنين، وان تفاوتت نسبة الخطورة. فثمة دراسات اجريت على شعوب عدة في أوروبا وآسيا وامريكا الشمالية دلّت على أن احتمال الاصابة بسرطان الرئة لدى زوجات مدخنين لا يدخنَّ تزيد ٣٠ في المئة تقريباً على احتمال اصابة زوجات غير مدخنين لا يدخنّ."

● "الاعراض التنفسية مثل الصفير والسعال والبُصاق تزيد بين ٣٠ و٨٠ في المئة لدى أولاد المدخنين. والى ذلك فان الالتهابات التنفسية التي تتمثل في ذات الرئة والالتهاب الشُعَبي تزيد لدى أولاد كهؤلاء."

● "أكثر الآثار الحادة شيوعاً، الناجمة عن التدخين الاضطراري، هي تهيجات العينين والانف والحنجرة. ذلك بأن لدخان التبغ رائحة تدوم طويلا، الامر الذي يجعل التهوئة عملية صعبة."

والآن فلنعرض ما توصل اليه أحد اوسع البحوث حول تأثير التدخين الاضطراري في صحة النساء. وقد أجراه الدكتور مايكل مارتن المختص بعلم الأوبئة في جامعة كاليفورنيا بسان فرنسيسكو، وعاونه باحثون من جامعة يوتاه بمدينة سالت لايك. راجع الدكتور مارتن ومعاونوه تواريخ طبية لأكثر من ٧٠٠٠ امرأة غير مدخنة راوحت أعمارهن بين ٣٠ و٥٩ عاماً. وتوصلوا الى النتيجة الاساسية الآتية: إن النسوة غير المدخنات والمتزوجات رجالا مدخنين يزيد احتمال تعرضهن للسكتات القلبية ٣،٤ مرات على تعرض مثيلاتهن المتزوجات رجالا لم يدخنوا على الاطلاق، ومرتين تقريباً على تعرض زوجات رجال كانوا يدخنون في السابق.

تحرك شعبي – الحقيقة أن هناك تقارير جديدة تدين كلها التدخين الاضطراري. ففي موضوع سرطان الرئة صدرت ١٣ دراسة أظهرت ١١ منها علاقة ايجابية بين التدخين والمرض، في حين أعطت ست من الدراسات الاحدى عشرة احصاءات وافية في هذا الشأن.

صحيح القول ان البراهين القاطعة عن الرابط بين التدخين الاضطراري والامراض التنفسية غير متوافرة بعد، لكن الأدلة الظاهرة الى الآن تدعم الجماعات التي تنادي بتنقية الهواء. ففي العام ١٩٨٥ مثلا نشرت دراسة أعدها عالم في وكالة حماية البيئة، وحددت التدخين الاضطراري بأنه عامل يتسبب سنوياً في وفاة ما يراوح بين ٥٠٠ و٥٠٠٠ شخص غير مدخن بداء سرطان الرئة.

قد يبدو هذا الرقم ضئيلا اذا ما قورن بعدد الوفيات التي تزيد على ٣٠٠ ألف والناجمة عن التدخين الفعلي. واذا ما قورن بعدد الوفيات الناجمة عن عوامل بيئية تم تنظيمها في الولايات المتحدة، كتلوث الهواء، بدا الرقم كبيراً. وفي دراسة أخرى نشرتها جمعية السرطان الامريكية عام ١٩٨٥، تبين أن خطر الاصابة بسرطان الرئة تضاعف لدى النسوة غير المدخنات اللواتي كان أزواجهن يدخنون ٢٠ سيجارة يومياً في المنزل.

فليشارك الجميع! - كيف يمكن التوصل في العام ٢٠٠٠ الى مجتمع خال من التدخين؟ ليس الامر سهل المنال وإن ظهرت مؤشرات مشجعة. وبغية تحقيق الهدف المنشود يتعين على كل من يهمه الامر أن يشارك في الآتي:

• المبادرة الى التحرك. فلفترة طالت جداً عانى معظم غير المدخنين بصمت، وقد حان الوقت للتكلم جهاراً. أشر بلطف الى المدخنين الذين يبدون عاجزين عن القراءة ليلحظوا لافتات كتب عليها "التدخين ممنوع." أطلب في المطاعم طاولة بعيدة عن المدخنين. شارك في الحملات الداعية الى سن قوانين تحد من التدخين في الأماكن العامة أو تحظره.

• أبدأ بالصغار. دلّت دراسات على أن الادمان كلما بكّر طال. وان قرابة ٦٠ في المئة من المدخنين بدأوا التدخين في الثالثة عشرة أو دونها.

• إحم بيتك. إذا عمد زائر الى التدخين في بيتك، فتقترح عليك شارلوت فورد الخبيرة في آداب المعاشرة أن تبادره بالآتي: "عذراً، التدخين يضايقني. هل يمكنك الامتناع عنه وأنت عندي؟"

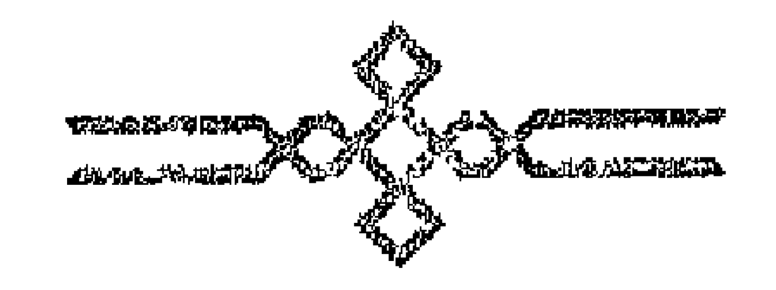
• الشروع في التطبيق. هناك شركات أمريكية تحصر التدخين في أماكن معينة. وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٥ ذهبت شركة "باسيفيك نورثوست بل" في واشنطن أبعد من ذلك فحظّرت التدخين كلياً داخل مبانيها. واللافت أن أحداً من الموظفين لم يترك الشركة بسبب سياستها الجديدة، بل أقدم عدد كبير منهم على التخلي عن التدخين.

روبرت روزنر المدير التنفيذي في "معهد سياسة التدخين" في سياتل، كان يخاطب نخبة من رجال الأعمال حول منع التدخين في المكاتب. فأرعبهم أولا بأخطار التدخين على الصحة، ثم صدمهم بأرقام قدمها اليهم، ومنها أن عاملا مدخناً يكلف شركته ٥٠٠٠ دولار سنوياً زيادة على ما تتكلفه على عامل غير مدخن. وعندما أنهى كلامه بادره أحد رجال الأعمال: "سيّد روزنر، لقد أهملت السبب الاساسي لتوفير بيئة خالية من الدخان."

فسأله روزنر "وما هو؟"

فأجابه: "هذا أمر يجب أن يتحقق، لأنه الصواب."

الدكتور افريت كوب
كبير الاطباء في مديرية
الصحة العامة بالولايات المتحدة



الفروسية ورفع الاثقال

بعد تمنع طويل أقنعت صديقي بفائدة ركوب الخيل لخفض بدانته. وطمأنته الى انها رياضة ممتعة وتمرين حسن.

وذهبنا اخيراً لممارسة تلك الرياضة. وبعدما امتطى جواده اخذ يربت عنقه قائلا: "سيكون التمرين مفيداً لكلينا: أنا أمارس الفروسية وأنت تمارس رفع الاثقال."

م.لله.

الكَلبُ الأسْـــوَدُ



متسكّع وممثل ومغامر أصبح في النهاية "أستاذاً" جامعياً

كان الكلب الأسود التائه يبحث عن طعام بين النفايات في الشارع الضيّق ويطوف في الباحة الخلفيّة لبيت تسكنه مجموعة من الطلاب في جامعة تكساس بأوستن. وقد ظلّ بعيدا لكنه سمَّر نظره على كليف ميلر. فكلّما غادر الشاب المنزل لحق الكلب بسيارته.

ولربما كان ميلر يشبه صاحب الكلب الضائع أو لربّما كان الكلب المتوسط الحجم والزري المظهر يملك قدرة غامضة على تحسُّس اللامرئي. وأيّا يكن السبب، فحين شاهد الكلب كليف ميلر عرف أنّه وجد صاحبه.

ويتذّكر ميلر: "سئمت ملاحقته إياي وفي النهاية أصعدته الى السيارة واقتدت الى الطرف الآخر من المدينة. ظننت أن سيتدبّر امره هناك."

ولم يكن ميلر يود اقتناء كلب، فهو تخرّج لتوه مُجازا في الادب الانكليزي وكان لا يزال يعمل نادلا في مطعم. لكنه في اليوم التالي اكتشف أن الكلب عاد إذ وجده قابعاً بصبر ينظر الى بابه.

سلّم ميلر بالامر الواقع وأيقن ان لا مناص له من ايواء الكلب. وبعد مرور أسابيع كان خلالها يسمع أصدقاءه يسألونه عن "ذلك الكلب الأسود" الذي أطلق عليه رسمياً هذا الاسم: "بلاك دوغ."

كان بلاك دوغ شديد التمسك بحريته، يجوب أنحاء الجوار ويأكل عند ميلر ويهوى ركوبَ سيّارته. لكنّه كان يأبى دخول المنزل.

ولكن ذات يوم راح بلاك دوغ يخدش الباب على نحو وحشي. فأدخله ميلر في اللحظة التي كانت الشاحنة القابضة على الكلاب تمر ببطء أمام المنزل ناقلة مجموعة من أصدقاء بلاك دوغ تنبح في صندوقها.

والحاسة السادسة التي تحلى بها هذا الكلب في ما يتعلّق بتلك الشاحنات، لم تفارقه يوماً. وحين كان يقيم عند ذوي ميلر في دالاس (تكساس) كان يروح

ويجيء على هواه، وحتى إن كان موثقاً وأخذ يخدش الباب فإنّما كان ذلك يعني أمراً واحداً: أنَّ الشاحنة آتية.

غرام بالسيارات - في السنوات القليلة التالية توطّدت العلاقة بين الشاب والكلب، وشرع الاثنان يذرعان طرق تكساس.

وعمل ميلر في شركة تتولّى تسليم اجهزة موسيقية في أنحاء الولاية. وإذ كان لا يطيق القيود فقد وجد في عمله هذا ما يتلاءم وطبعه الميّال الى الحرية، لأنه لم يكن ملزماً ساعات عمل محددة. ومن جهته، وجد بلاك دوغ أيضاً في هذا الوضع ما يناسبه تماماً.

وكان بلاك دوغ ينزع الى الاختفاء كلّما انتابته نزوة الحرية، تاركا صاحبه ساخطا محتارا مما اضطرّه الى تعليق "بطاقة هويّة" حول عنق كلبه تحمل رقم هاتفه حيث يكون، وذلك في كل مدينة يزورها في اطار عمله. فبرهنت هذه الوسيلة عن فاعلية كبرى. وبات الناس يرون بلاك دوغ وقد تدلّت من طوقه سلسلة من البطاقات المعدنية التي تجلجل كلّما تحرّك. وهو اتخذ من تلك الجلجلة ايضا وسيلة لانتزاع معلّمه من فراشه كلما اراد الخروج في الصباح.

وفي العام ١٩٧٤ عاد ميلر الى اوستن لنيل شهادة الماجستير. فأضيفت بطاقة جديدة الى مجموعة بلاك دوغ كتب فيها: "أنا طالب في جامعة تكساس." وكان الكلب يحضر كل الحصص ويمضي ساعات طوالا ينتظر ميلر خارج المكتبة.

وكان يحبّ سيّارة ميلر القديمة وهي من نوع "فولكسفاغن" إذ يستطيع مد رأسه بسهولة من نافذتها. لكنه مع ذلك كان شديد الانجذاب الى كل من يمتلك سيّارة جديدة، خصوصا تلك المجهزة بمكيّف للهواء.

وذات يوم ارتفعت درجة الحرارة في محرك سيارة ميلر فأودعها مرأباً لاصلاحها فيما جلس بلاك دوغ يتفيأ خلف المرأب. وأصلح الميكانيكي المحرك ثم أشار على ميلر أن يقود السيارة مسافة قصيرة ليتأكد من سلامتها. فمضى بها الى ان مرّ بسيارة "كاديلاك" فخمة جلست خلف مقودها سيدة أنيقة، وإذا به يلمح بلاك دوغ جالسا بأبهة الى جانب السيدة يتمتع بالهواء المبرّد.

فصاح: "هيه، ايتها السيّدة! إنّ من معك هو كلبي!" ثم راح يلوّح بيديه الى أن تنبهت المرأة للامر فأنزلت النافذة والاضطراب باد على محيّاها وقالت: "أوه، عذراً أيها السيّد. كل ما في الامر أنه كان يعاني وطأة الحرارة ويرغب كثيراً في ركوب السيارة."

ولم يكن بلاك دوغ دائماً المسؤول الوحيد عما يصيبه من بلايا، إذ كان ميلر يقود السيّارة مطمئن البال ظاناً أنّ كلبه يجلس في الخلف. ويروي شاهد أن الكلب تعقب مرة سيارة الفولكسفاغن مسافة كيلومترات، وإذ عجز عن اللحاق بها قفل الى محطة الوقود لينتظر سيده. ولم تمضِ ساعات حتى وصل ميلر مذعوراً. ومرة أخرى انتظر بلاك دوغ قرابة سبع ساعات أمام أحد المخازن في فورت وورث بتكساس. أمّا ميلر فوصل الى دالاس التي تبعد حوالى ٣٥ كيلومتراً قبل أن

يتنبّه الى غياب كلبه، ولكنّه حين عاد وجده لا يزال مقعياً خارج المخزن متسائلا عما يلزم سيده من وقت لشراء زجاجة مرطبات.

نجم الجامعة – أصبح ميلر استاذاً في جامعة تكساس في أرلنغتون ثم دَرّس مدة سنة في معهد تشيماناهواك في كويرنافاكا بالمكسيك. وأقام مع بلاك دوغ في منزل لويس كارلوس غارسيا سييرا الذي كان لحسن الحظ طبيبا بيطرياً.

وفي أحد الأيام جلس ميلر على الشرفة في الطبقة الثالثة يتحدث الى الطبيب وزوجته. واستلقى بلاك دوغ في غفوة عند أقدامهم الى أن سمع صوتاً أثار اهتمامه. فنهض وهرع في اتجاه الافريز البالغ ارتفاعه متراً، وقفز فأصيب برضوض بالغة. لكنّه نجا بفضل اللبلاب الذي كسا الجدار ممّا خفف صدمته، وبفضل غارسيا سييرا أيضاً الذي أطلق منذ ذلك الحين على ضيفه اسم "الكلب الطائر." أمّا بالنسبة الى ميلر فقد بدا واضحاً أنّ لكلبه "تسع أرواح."

وصار بلاك دوغ مشهوراً إذ راح يتجوّل بجبيرته في كويرنافاكا. وزاد من شهرته فصل مسرحي صغير أداه مع ميلر عندما عزفت إحدى الفرق المكسيكيّة المتجوّلة أغنية شعبية بعنوان "الى بيرّو نيغرو" أي "الكلب الأسود." وتروي الأغنية قصة كلب أسود يثأر من قاتل سيّده ثم يتوجه الى ضريحه فيستلقي عنده ويموت. وعندما تصل الأغنية الى هذه الخاتمة المحزنة يرتمي بلاك دوغ على ظهره رافعاً قوائمه الأربع، وهي تمثيلية كانت تدخل البهجة قلوب الفلاحين المكسيكيين. وكانت هذه الخدعة تستند الى لعبة طالما أداها الصديقان، اذ كان ميلر يسأل الكلب: "بلاك دوغ، أتفضل أن تكون رجلا متزوّجاً أم كلباً ميتاً؟" فكان بلاك دوغ عندئذ يرتمي أرضاً.

وبعدما عاد الى الجامعة في أرلنغتون أعطي ميلر مكتباً في الطبقة السابعة من مبنى قسم اللغة الانكليزية. وتعلّم بلاك دوغ أن يقفز داخل المصعد ويخرج منه بذكاء في الطبقة المطلوبة مثيراً دهشة من يشاهده. والحقيقة أنّه كان يهتدي الى الطبقة السابعة لأنها مبلطة فيما أراضي الطبقات الاخرى مكسوّة بالسجاد.

وفي العام ١٩٨٠ كان بلاك دوغ حاز عطف الجامعة بأسرها. فخصّصت أربع صفحات من الكتاب السنوي عام ١٩٨١ لهذا الكلب الذي يضج حيويّة ويقدّر معنى الحرية.

متسلق الجبال – وفي خريف ١٩٨١ غادر ميلر الى لوس أنجلس ليكتب قصصاً للسينما والتلفزيون، فأضيفت بطاقة جديدة الى مجموعة بلاك دوغ. وظل ميلر يعاني مشكلة مراقبة كلبه واقتفاء أثره، لكنهما كانا يعودان فيلتقيان بعد كل انفصال. ومن جهته كان بلاك دوغ يسعى جاهداً الى كسب رضا سيّده. ويتذكر ميلر: "لو طلبت من بلاك دوغ أن يلقي بنفسه في النار لفعل بلا تردّد."

وخلال السنوات التي أمضياها معاً تعلّم ميلر ما تعلّمه كثيرون غيره من كلاب أحبوها: معنى الوفاء والاخلاص والصبر والغفران.

اعتاد ميلر ارتياد أحد المقاهي المجاورة بعد أن يفرغ من عمله. وفي إحدى ليالي ١٩٨٣ كان بلاك دوغ ينتظره في الخارج، وحين انصرف ميلر كان الكلب اختفى. فراح يبحث عنه كالمجنون. واتصل بوكالة تعنى بالكلاب الضائعة وبالشرطة والمراكز الصحيّة، ولكن من دون جدوى.

وبعد مضيّ أسبوعين على اختفائه يئس ميلر وأوقف البحث عنه، وكان بلاك دوغ تقدّم في السن وأصبح خائر القوى فلم يعد يستطيع الاتكال على نفسه. وتلقّى ميلر ذات يوم اتصالا هاتفياً من شخص اهتدى الى رقمه بواسطة آخر البطاقات المعلّقة في طوق بلاك دوغ.

ولم يعرف ميلر قط كيف بلغ كلبه قمّة جبال سانتا مونيكا على بعد عشرة كيلومترات، لأنّه لم يكن قادراً على تسلّقها. لكنه ربما عجز أيضاً عن مقاومة جاذبيّة سيّارة مبرّدة ودعوة حارة من سائقها.

طوال حياته كان بلاك دوغ ينتظر مجيء صاحبه كلّما تاه. ولم يتخلّف ميلر مرة عن الحضور. ولكن بدا له هذه المرة ان تلك الأيام الجميلة شارفت النهاية.

وسرعان ما ضعف جسم بلاك دوغ الصغير الخشن وخارت قواه فصار يتعثر وهو يمشي. ولم يعد يقوى على تناول طعامه. فأخذه ميلر الى طبيب بيطري في لوس انجلس. فأوثقه وفحصه ثم هز رأسه. فسأله ميلر: "هل انتهى أمره؟" وكان الجواب نعم. فقال ميلر للطبيب: "فك رباطه. إنّنا عائدون الى ديارنا في تكساس."

وسّد ميلر أرض سيارته الـ"شيفروليه" ببعض المناشف وابتاع بيضاً وزجاجة ماء. وفي الحادية عشرة ليلا انطلق الرفيقان في رحلة طويلة دامت ٣٦ ساعة قطعا خلالها ٢٤٠٠ كيلومتر. ولم يكن ميلر يتوقف إلّا لتزوّد الوقود وتغيير المناشف تحت بلاك دوغ واطعامه البيض وتجريعه الماء برفق.

وحين وصلا الى إل باسو على حدود تكساس والمكسيك قال ميلر لبلاك دوغ: "يمكنك أن تمضي بسلام ساعة تشاء. فها قد عدنا الى ديارنا."

لكن بلاك دوغ قاوم وصمد، شأنه دائماً. وفي دالاس مدّد ميلر الكلب العجوز على سريره, وحفر قبراً في الباحة الخلفيّة للبيت.

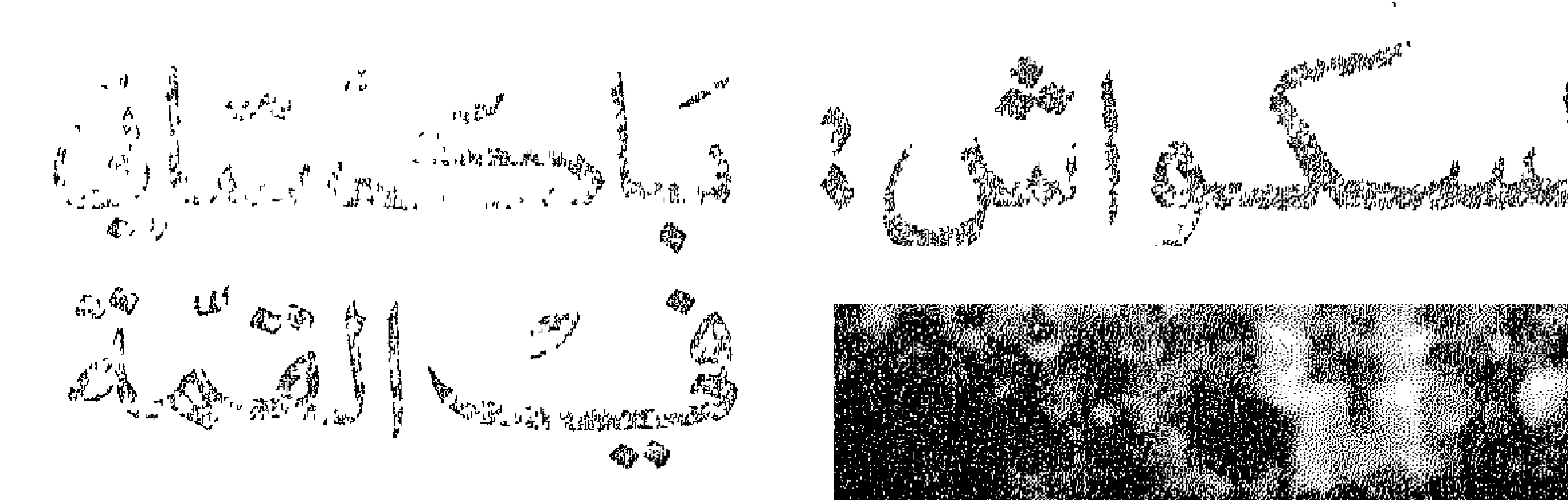
لفّ ميلر بلاك دوغ في السترة القطنية الباهتة التي شاركتهما في ترحالهما وأخذه الى الطبيب البيطري الذي طالما عالجه. فأمسك ميلر صديقه القديم فيما الطبيب يحقنه.

وحين عادا الى البيت غطى ميلر البدن الناحل بالسترة وأودعه القبر وغطّاه بتراب تكساس الأسود. فكانت تلك خاتمة المطاف. لكن كليف ميلر لا يزال يستيقظ أحياناً في منتصف الليل متوهماً أنّه يسمع "خربشة" على الباب.

فرانسس هلام هورت



أهم الاشياء في الحياة ليست أشياء. ب.ف.



بات هذا الشاب الباكستاني أحد أبرز الرياضيين في التاريخ بعدما سيطر على لعبة السكواش التي تعد أكثر رياضات المضرب إرهاقاً



ذات أمسية رائعة من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٥ احتدمت الاجواء في مركز السكواش الدولي الجديد في القاهرة حيث كان نهائي بطولة العالم المفتوحة لرياضة السكواش على وشك البداية. وداخل القاعة الباهرة الاضاءة راح اثنان من أفضل لاعبي العالم يستعدان للمباراة موجهين ضربات تمرينية أحدهما الى الآخر. وكان المرشح الأول الباكستاني جهانجير خان ومنافسه النيوزيلندي روس نورمان، شقا طريقهما الى الدور النهائي من دون خسارة أي مباراة. الا ان الباكستاني كان مني بعدة اصابات: في الركبة في احد الادوار الأولية، وفي ذقنه في الدور ربع النهائي. فهل ستكون هذه ليلة نورمان؟

سيطر جهانجير على خصمه في المجموعة الأولى بضربات شرسة كانت

انجير خان والأوسترالي غريغ بولار
ي بطولة كندا المفتوحة للعام ١٩٨٥.

Photos: Jahangir Khan World Enterprises

تمرّ على مقربة من مضرب نورمان الذي سرعان ما بدأ رصيد نقاطه يقارب ما جمعه جهانجير. بعد ذلك شهد الجمهور مواجهة لم تتوقف فيها الحركة في ٩٥ ضربة متتالية. فكان اللاعبان يلتفان ويدوران ويعدوان في أرجاء الملعب مسددين الكرة المطاطية بقوة الى حد أنها كانت احياناً تبدو أشبه بطيف أسود وأحياناً ناعمة كريشة. وفجأة أنهى جهانجير المواجهة الماراتونية بضربة يسارية موفقة فهب الجمهور واقفاً يصفّق. وبعد دقائق فاز الباكستاني بالمجموعة الأولى.

وفي المجموعة الثانية أحرز نورمان نقطته الاولى برمية حاذقة. واستمر يلعب ببراعة الى أن فاز بتلك المجموعة. ولما توصل جهانجير الى تسجيل نتيجة ٦ – صفر في المجموعة الثالثة ظن ان الامور لا يمكن ان تسوء بعد ذلك، لولا أن نورمان عاد بقوة فحصل عى النقاط الخمس التالية. وكأن جهانجير استقى قوة من مصدر خفي، انتزع الفوز في المجموعة الثالثة بثلاث ضربات رائعة، ثم سيطر تماماً على منافسه وفاز بالمجموعة الرابعة في أقل من ١٠ دقائق وأحرز لقب البطولة.

هذا الانتصار الحاسم في القاهرة جعل جهانجير أول رجل يفوز ببطولة العالم المفتوحة في السكواش للمرة الخامسة بلا انقطاع. وبين ابريل (نيسان) ١٩٨١ ونوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٦، حين خسر أمام نورمان في بطولة العالم المفتوحة للعام ١٩٨٦ بمدينة تولوز الفرنسية، ربح جميع المباريات التي لعبها في تلك الفترة والتي قارب عددها الخمسمئة(★) بحيث استحق عن جدارة لقب "بطل أبطال العالم" الذي أطلقه عليه المعلّق الرياضي البريطاني ريتشارد إيتون. وهو بعد خسارته في تولوز فاز في جميع الدورات التي خاضها، بما فيها بطولة سلطنة عُمان المفتوحة.

الانهماك باللعبة – الى فترة قريبة كانت إنجازات جهانجير لا تثير الا اهتمام قلة من الناس، لان رياضة السكواش ظلت مقصورة على نخبة محظوظة وموهوبة من الذكور. لكن الأمر لم يعد كذلك. ففي العقد الأخير شهدت اللعبة إزدهاراً عالمياً واسعاً بحيث بات يمارسها نحو ٢٠ مليوناً من الرجال والنساء في نحو مئة بلد، وشاعت في اوروبا وأوستراليا ونيوزيلندة وجنوب شرق افريقيا وكندا.

لعبة السكواش قوامها مضرب وكرة سريعة الحركة، وهي تمارس داخل غرفة مستطيلة مغلقة لها ربع حجم ملعب كرة المضرب، حيث يتناوب لاعبان، على نمط مرهق الى ابعد الحدود، ضرب كرة يبلغ قطرها أربعة سنتيمترات على الجدران الأربعة وعلى الارض. ويستخدم اللاعب لذلك كل ما أوتي من قوة لابقاء الكرة بعيداً من متناول الخصم.

وشاعت لعبة السكواش بسبب ملاءمتها الحياة العصرية الزاخرة بالمشاغل. فتعلّمها أسهل من تعلم لعبة كرة المضرب، وممارستها تجهد المرء

(★) في العام ١٩٨٤ خسر جهانجير دورتي سكواش في الولايات المتحدة. وبما أن هذه اللعبة تمارس هنالك مختلفة عنها في اي بلد آخر فلم تحتسب هاتان الهزيمتان في رصيده الرسمي.

كفاية في أقل من نصف ساعة، كما انها تذهب الى أبعد من ذلك في استغلال طاقات الجسد والفكر الى أقصى حدودها لما تتطلبه من سرعة ودقة وموهبة في تسديد الكرة، ناهيك بالتصميم على مواصلة اللعب والعطاء على رغم الإرهاق.

لماذا جهانجير خان وليس سواه على هذا المقدار من التفوق في هذه اللعبة الفائقة السرعة التي ربما كانت الأكثر تطلباً لميزتي الدقة والاحتمال في ألعاب المضرب؟

لسبب بسيط هو بنية جسده المثالية: فطوله ١٧٨ سنتيمتراً ووزنه ٦٧ كيلوغراماً وله ساعدان وصدر وساقان في صلابة الصخر ومعصمان كالفولاذ. ولا ننس أصله، فأجداده الأوائل من قبائل "باتان" الفخورة بإسلامها والقاطنة في المناطق الجبلية الوعرة على الحدود الأفغانية - الباكستانية. وإذا كان أبناء هذه القبائل شغوفين بالأسلحة، فإن أقرباء جهانجير كانوا أكثر براعة في استعمال مضارب السكواش منهم في السلاح. ثم ان والده روشان وعميه هاشم وعزام وابن عمه مهيب الله سيطروا على لعبة السكواش عالمياً في الخمسينات والستينات.

الا أن جهانجير تميز برغبته الجامحة في بلوغ القمة والتألق الى أبعد الحدود، بحيث قال مدربه رحمة خان: "حظيت لعبة السكواش بلاعبين أكثر موهبة، لكن أياً منهم لم يبذل مثله جهداً طائلاً، وهو ليس ممن تهن عزيمتهم وهم في القمة."

الأخ المعلم - بدأت قصة جهانجير خان مع النجاح والنجومية في كراتشي



رحمة خان (الى اليمين) الذي درّب ابن عمه في طريقه الى الشهرة.

(باكستان) في العاشر من ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٣. فهو الإبن الأصغر في عائلة من أربعة اولاد، وإسمه يعني بلغة الأوردو "فاتح العالم." ولد مصاباً بفتق مزدوج مما أوجب اخضاعه لجراحتين. وحذّر الأطباء أهله من مغبة ممارسته رياضات مضنية.

وحين بلغ السن العاشرة كان يشاهد على الدوام يتسلى بكرة سكواش على جدران منزله في كراتشي. ولما وجد والده أن هذه التمارين لم تؤثر فيه سلباً، عمد الى تسجيله في نادي "فليت" بالمدينة وعلمه الضربات الأساسية مع التشديد على ألا يجهد نفسه "بالعدو كثيراً خلف الكرة."

وسرعان ما تخطى جهانجير القيود المفروضة عليه، فاستغل قيلولة والده في فترات بعد الظهر الحارة ليتمرن بمفرده في ملاعب النادي المقفرة. وظلت كراته تفتقر الى السرعة وساقاه تتعبان باكراً، لكنه صمم على إحراز البطولة.

وفي السن الرابعة عشرة انتزع بطولة باكستان في السكواش للناشئين، وانتقل

الى لندن للإقامة مع شقيقه تورسام (٢٨ عاماً) وهو لاعب سكواش محترف. وقد عجز تورسام عن تخطي المرتبة العاشرة في القائمة الدولية، لكنه اقتنع بقدرة شقيقه على إحراز بطولة العالم ووعده بذلك.

عمل الشقيقان على تحقيق هذا الهدف. وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٧٩ سافر جهانجير الى أوستراليا للمشاركة في بطولة العالم للهواة في ملبورن حيث أدهش الحضور بإحرازه اللقب وهو لم يتجاوز الخامسة عشرة من عمره. كان اول لاعب غير مصنّف والأصغر سناً بين حملة اللقب العالمي للهواة. ويقول جهانجير: "كل الفضل يعود الى اخي تورسام الذي كان يتصل بي يومياً من بريطانيا للسؤال عن المنافس المقبل وإعطائي التوجيهات في طريقة التغلّب عليه."

ولم يتمتع تورسام طويلا بانتصارات شقيقه الأصغر. فبعد ذلك الفوز بنحو ستة أسابيع، فيما هو يشارك في مباراة بمدينة أديلاييد الاوسترالية، خرَّ فجأة على ركبتيه وتدحرج على الأرض محاولا التنفس لدى اصابته بنوبة قلبية مفاجئة قضت عليه بعد أقل من يومين.

تدريبات قاسية – عاد جهانجير الى باكستان محطم القلب يرافقه ابن عمه رحمة خان. وكان هذا لاعباً محترفاً يقيم في لندن ويحتل المركز الثاني عشر في القائمة الدولية. وكان ملماً بالاحلام التي عقدها تورسام على جهانجير، ومدركاً ضعف الاحوال المادية للعائلة. فالابناء ضمان للأهل في الدول الفقيرة مثل باكستان، لذلك كانت وفاة تورسام بمثابة صدمة عنيفة، الا ان مستقبل جهانجير كان في الميزان. وقال رحمة في نفسه: "لا بد من عمل ما، فأنا مدين لتورسام بذلك."

وفي كراتشي تحدث رحمة مطولا مع روشان. قال له: "دعني أتولى مهمة تورسام، فيبقى جهانجير معي في لندن وأدرّبه بمشيئة الله ليصبح بطلا عالمياً." وتردد روشان في ارسال ابنه مجدداً الى لندن لما في ذلك من انكسار لقلبه. لكن بريطانيا تبقى محجة لاعبي السكواش في العالم، إذ تتوافر فيها تسهيلات تدريبية أفضل من مثيلاتها في باكستان. فوافق روشان وقال لابنه: "إذهب مع رحمة وكن ما أراده شقيقك لك."

باشر جهانجير تمارينه في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٠. لكن ذكرى تورسام ظلت تقضّ مضجعه: "كنت أفكّر فيه باستمرار وأبكي كل ليلة حتى النوم وأشعر بالحنين الى الوطن."

وبذكاء وبراعة تعامل رحمة مع ابن السادسة عشرة في هذه المرحلة المؤلمة وخفّف حزنه. كان هدفه بسيطاً ويتلخص في جعله أكثر لاعبي السكواش لياقة بدنية وقدرة على البقاء لمدة أطول من سواه على أرض الملعب. وتعززت التمارين ستة أيام في الاسبوع من الصباح الى المساء وجهانجير يهرول ويعدو ويرفع الأثقال ويتمرّن على ضربات السكواش. وتحوّل لاعباً محترفاً، لكنه لم يوفق كثيراً في الدورات. واكتشف رحمة ان ساقي جهانجير ما زالتا غير قويتين

رياضة السكواش في العالم

تملك بريطانيا أكبر عدد من لاعبي السكواش، ففيها قرابة ثلاثة ملايين. الا ان نسبة اللاعبين الى عدد السكان هي الاعلى في اوستراليا حيث يمارس ٢٥٠ الف شخص هذه اللعبة. وفي المانيا الغربية مليون ونصف مليون لاعب. وفي كندا ٧٥٠ الفاً.

وفي كندا تعتبر السكواش من أسرع الرياضات نمواً. كذلك الحال في نيوزيلندة وأوستراليا.

أما في فرنسا فثمة أكثر من ١٤٠ الفاً يمارسون اللعبة اليوم في مقابل ١٥ الفاً عام ١٩٨١. وقد أنشىء "الاتحاد الفرنسي للسكواش" في العام ١٩٧٧ وهدفه رفع عدد ممارسي هذه اللعبة الى نحو ٥٠٠ الف بحلول العام ١٩٩٠. ولهذا الغرض يشجع الطلاب على ممارستها وتحض البلديات على تجهيز المراكز الرياضية بملاعب للسكواش.

وبدأت رياضة السكواش تحظى بشعبية في أسوج (السويد) وتنشأ لها ملاعب في إسبانيا والبرتغال.

ونمت اللعبة أيضاً في أمريكا الجنوبية وخصوصاً في البرازيل حيث أجريت بطولة

كفاية، لذلك ضاعف تمارينه، فكان يركب ظهره بعد ساعات الرياضة المرهقة ويجبره على العدو به بضع مئات من الأمتار.

ويقول رحمة: "كانت تدريباتي قاسية وتحض معظم اللاعبين على الثورة، لكني لا أذكر ان جهانجير رفض لي طلباً. حتى عندما كنت أسأله هل اكتفى كان يبتسم ويجيب: "فقط اذا كنت تعتقد ذلك."

الكأس الفضية – في نهاية موسمه الاول كمحترف احتلّ جهانجير المركز السادس والعشرين في القائمة الدولية لابطال السكواش، وبدأت التغييرات تتسارع منذ نهاية العام ١٩٨٠. ففي ديسمبر (كانون الاول) أحرز اول لقب بطولة كمحترف، وهي بطولة باكستان المفتوحة. وتتالت انتصاراته مما أهله لمنازلة بطل العالم المصنّف اول الأوسترالي جيف هانت. لكن جهانجير خان هُزم في العاشر من ابريل (نيسان) ١٩٨١ في نهائي بطولة بريطانيا المفتوحة التي تمثل للعبة السكواش ما تمثله ويمبلدون في ميدان كرة المضرب.

وبعد سبعة أشهر، في الثامن والعشرين من نوفمبر (تشرين الثاني) تقابل اللاعبان مجدداً في نهائي بطولة العالم المفتوحة في تورنتو بكندا. وفي إطار التحضيرات التي سبقت ذلك اللقاء سافر جهانجير ورحمة الى منطقة جبلية في شمال باكستان حيث حسّن جهانجير مستوى لياقته البدنية وسط القمم

البرازيل المفتوحة الاولى في العام ١٩٨٦. وهي تحظى بشعبية كبيرة في باكستان لم تبلغها في الهند.

اما الامريكيون فيمارسون لعبة مختلفة تماماً. ولكن في السنوات القليلة الماضية سمح الاتحاد الامريكي للسكواش بممارسة اللعبة بحسب القوانين الدولية خلال أشهر الصيف.

وباتت للعبة السكواش شعبية في العالم العربي أيضاً. والأقطار الآتية هي أعضاء في الاتحاد الدولي للسكواش: البحرين (فيها ٦٠ ملعباً) والعراق (١٥ ملعباً) والاردن (١١) والكويت (٨٠) وسلطنة عمان (٤) وقطر (٣٠) ودولة الامارات العربية المتحدة (٨) ومصر (١٥٥). وفي العام ١٩٨٣ أنشىء الاتحاد العربي للسكواش ومركزه عمان في الاردن. وهناك ايضاً الاتحاد الفلسطيني للسكواش ومركزه الكويت. وتمارس هذه الرياضة أيضاً في المملكة العربية السعودية ولبنان والمغرب وتونس وليبيا.

وتحظى رياضة السكواش بشعبية متنامية في العالم العربي لأن في الامكان ممارستها في قاعات مكيفة الهواء وهي لا تقتضي مساحة كبيرة. ثم إن بطل العالم الحالي مسلم، وقد أجريت مباريات البطولة في دول عربية. ويقول مدير الاتحاد العالمي للسكواش: "العرب بارعون في استعمال المضرب."

لكن لعبة السكواش لم تحظ في اي مكان من العالم بالشعبية التي حظيت بها لعبة كرة المضرب.

المغطاة بالثلوج وغابات الصنوبر. ولما وصل الى تورنتو كان اقوى من أي وقت مضى، لكنه أصيب في كتفه اليمنى في جولة مبكرة من المباراة. وفكر في الانسحاب لكنه تراجع وقال: "في بعض الاحيان يجب المضي قدماً والصراع أياً تكن الآلام التي نعانيها."

وأعطى الرهان ثماره. فبعدما فاز هانت بالمجموعة الاولى هزمه جهانجير في المجموعات الثلاث التالية، بحيث اصبح وهو في السن السابعة عشرة أصغر من حمل لقب بطولة العالم المفتوحة في السكواش. ومن سخرية الأقدار ان هذا الحدث صادف الذكرى السنوية الثانية لوفاة تورسام. واذ وقف الجمهور وهو يصفّق بحماسة، ركع رحمة وجهانجير وسط الملعب يصليان. وبعد بضعة ايام كان جهانجير يضع الكأس الفضية على ضريح شقيقه تورسام في كراتشي قائلا: "لقد أنجزت المهمة وسأحافظ على اللقب أطول مدة ممكنة."

إن شاء الله - منذ ذلك الحين انطلق جهانجير كالنار في الهشيم داخل الميدان العالمي للعبة السكواش. فالذين هزموه بسهولة قبل نحو سنة باتوا يعتبرون أنفسهم محظوظين اذا انتزعوا منه مجموعة واحدة. وهو فاز بنهائي احدى الدورات العالمية عام ١٩٨٢ من دون خسارة نقطة واحدة، حتى لقبه المحررون الرياضيون "الملك خان" كما اصدرت باكستان طوابع بريدية تكريماً له وأجمع

الخبراء على اعتباره أفضل لاعب في تاريخ السكواش.

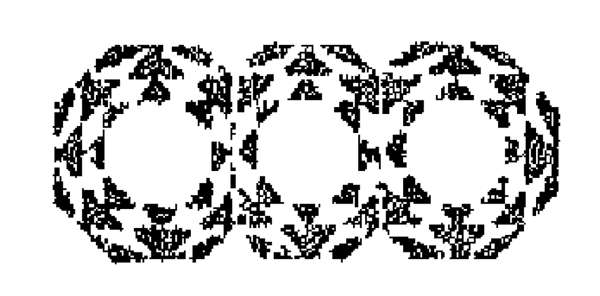
صادفت نجاحات جهانجير الازدهار العالمي الذي عرفته لعبة السكواش في العقد الأخير مما ساعده في أن يصبح المليونير الاول بين نجومها. فالى دخله من المباريات، يملك جهانجير حصة في شركة "أنسكواشابل إنترناشونال" التي تتولى صناعة مضارب السكواش وتدعم بعض الصناعات الجانبية مثل الاحذية الرياضية والأفلام التدريبية. لكن الغنى والاستقرار المالي لم يبدلا كثيراً من اسلوب جهانجير في الحياة. وظلت متطلباته بسيطة لا تتعدى الغداء اللذيذ والاسترخاء مع الاقرباء والاصدقاء والاستماع الى الموسيقى الشعبية.

والحقيقة ان جهانجير رجل متواضع، كما تبين لي عندما زرت كراتشي اخيراً. كان ذلك في شهر رمضان. وقال لي جهانجير: "سآتي اليك في الفندق، اذ لا يمكنني ان اقدم اليك شيئاً في بيتي." وهكذا قابلت شاباً ورعاً شديد التقوى وصف انتصاراته الرائعة بأنها "مشيئة الله الذي لولاه لما حققت شيئاً."

وغالباً ما يبقى على مقربة من أهله أو معهم حين لا يمارس رياضته المفضلة. وهو تزوج فتاة احلامه قبل مدة قصيرة. باختصار، هو من تلك الفئة النادرة: شخصية شهيرة وسعيدة حقاً.

وجهانجير الذي لم يتجاوز الرابعة والعشرين مرشح للبقاء في القمة في السنوات القليلة المقبلة. اما بعد الاعتزال فانه سينشىء نوادي للسكواش ويتولى تدريب الناشئين على أصول اللعبة التي يعشقها. "وأما في الوقت الحاضر فسأستمر في اللعب والفوز ان شاء الله."

آشوك مهادفان



هاتف الاحزان

أكد مدير المدرسة في خطابه امام اهالي التلاميذ انه مستعد دائماً للاستماع الى شكاويهم، وأن في امكانهم الاتصال به ليلا ونهاراً على رقم الهاتف ١٣٩٥٧٠.
وفجأة علت صيحة مساعده: "يا سعادة المدير، هذا رقم هاتفي أنا!"

ج.د.

وصية عادلة

جاء في وصية رجل ثري: "أوصي لابن عمي بمزارعي وقطعاني. وأوصي لطباخي العزيز ببيتي وحديقتي. وأوصي لابن أخي، الذي ما برح يجادل في أن الصحة اهم من المال، بجواربي القصيرة وحذائي الرياضي.

ا.س.

الفتور الجنسيّ سَحابةُ صيْفٍ؟

اين ذهبت متعتي؟ أعداد متنامية من النساء والرجال تطرح هذا السؤال. ومن الغريب أن الجواب يكمن غالباً في مشكلة غير جنسية

بعض الناس يعاني ما يسميه المعالجون الاختصاصيون "الشهوة الجنسية المكبوتة" أو "الفتور الجنسي." وكثيرون، ولاسيما النساء، يخبرون أن شهواتهم الجنسية تأتي في أوقات متباعدة أو هي هزيلة أو معدومة.

هؤلاء المعالجون يشيرون الى أنه قبل عشر سنين كان الناس يبحثون عن مساعدة للتغلب على المشاكل الجسدية كالعجز الجنسي (عند الرجال) والبرودة الجنسية (عند النساء) (١). واليوم يؤكد برنارد ابفلبوم مدير فريق معالجة المشاكل الجنسية في بركلي بكاليفورنيا أن "ثلاثة أرباع مشاكل الجنس التي نعانيها لا علاقة لها بالاختلال الوظيفي الجنسي (٢). انها مشاكل قلق أو توتر أو ارتباك أو ملل. وفي معظم الحالات، المرأة هي التي تشكو ضعف الشهوة الجنسية."

معالجو الشؤون الجنسية وجدوا أن الفتور الجنسي هو أكثر تعقيداً من المشاكل العملية التي تحل بسهولة. كيف يمكن اعادة اذكاء الشهوة عند شخص ما؟ وما هي الشهوة الطبيعية اصلا؟ المقياس الوحيد المفيد هو مقياس شخصي: متى أرغب غالباً في ممارسة الجنس؟ وكيف تنسجم شهوتي مع شهوة من أعاشر؟

ليس ثمة جواب واحد. فلكل مشكلة فردية حل مفرد. أما ابفلبوم الذي يقول انه ساعد ثمانين في المئة من الازواج الذين أتوا اليه بمشاكل شهوة، فيرى أن "الشهوة المفقودة ليست قضية خاسرة،

(١) Impotence and Frigidity

(٢) Sexual dysfunction

فمفتاح الحل قد يكون ما أخبرني اياه الدكتور وليم ماسترس: "ان فقدان الشهوة هو المشكلة الجنسية الوحيدة التي يمكن ان تداوى باعطاء الناس فكرة ما."

هنا بعض الاشارات لمعرفة كيف فقدت شهوتك وكيف يمكنك استعادتها.

الاشارة الاولى: هل كنت تحت ضغط أو اجهاد؟

تقول لوني بارباك وهي كاتبة وعالمة نفسانية من فرنسيسكو: "ضغط العمل هو أحد الاسباب الرئيسية التي تخمد الرغبة الجنسية." الرجال يعتقدون غالباً أن الجنس لهو أو ترويح للنفس، لكن معظم النساء يعتبرنه نشاطاً يتطلب منهن أن يكنّ في أحسن حالاتهن. ان التعب المزمن والنضب العاطفي يسلبان النساء الطاقة الفائضة التي يعتقدن أنهن يحتجن اليها لممارسة الجنس.

أزواج كثيرون دفنوا شهواتهم الجنسية تحت جبل من الواجبات الشاقة. تقول أفودا اوفت الطبيبة النفسانية من مدينة نيويورك: "هؤلاء الازواج ذوو ضمائر حية ومشغولون الى درجة أنهم لا يدخلون الجنس في برامجهم، مع أن ذلك ضروري." وتضيف مشددة: "ذلك ضروري." من الخطأ الشائع أن نعتقد ان الجنس يحدث تلقائياً فلا نفسح له وقتاً. واذا ما افترق زوجان لفترة فسيكتشفان أن الشهوة الجنسية لا تزال موجودة لديهما.

هنالك نوع من الضغط تعانيه نساء لم يعرفن النشوة الجنسية قط. تقول كارول رنكليب إليزون المعالجة لشؤون الجنس في أوكلاند بكاليفورنيا: "إن امرأة تَجْهد دائما من أجل أن تُثار، ولا تجدي محاولاتها، تفقد الرغبة في النهاية."

ويرى برنارد ايفلبوم أن معظم الضغوط، إن لم يكن كلها، التي تعانيها امرأة ذات شهوة ضعيفة، تنشأ من التفكير في أن الجنس هو اجراء مفروض: "كل الاسباب الاخرى هي ثانوية بالنسبة الى الضغط الذي تشعر بوطأته. المرأة تحس أن الطريقة المثالية لاثارة شريكها هي التجاوب معه." ويتوجه ايفلبوم الى كل امرأة لديها هذا الشعور موضحاً أن الجنس ليس أداء، بل يمكن أن يكون وسيلة لتدليل المرأة والعناية بها."

الاشارة الثانية: هل توقيتك في غير محله؟

توضح الدكتورة أوفّت: "رجال كثيرون يحبون ممارسة الجنس صباحاً، ونساء كثيرات لا يحببنها. هذا التباين بعضه علمي وبعضه بيولوجي. وهو في أحيان كثيرة سبب للفتور الجنسي لدى النساء.

الرجال غالباً يعرفون الانتصاب الصباحي عندما يستيقظون. وتشير الدكتورة أوفت الى أن بعضهم يرى في هذا الانتصاب "نداء للعمل." لكن النساء لا يعرفن نمطاً واضحاً للنشاط الصباحي الباكر. وكثيرات منهن يعتبرن الساعات المبكرة غير جنسية. كتبت أوفّت: "الغرام هو ضوء شمعة، وعطر، وإسراء في ضوء القمر. أما الصباح فهو للاولاد وللعمل المنزلي."

ليس ذلك ضرورياً. فقد تكون لدى بعضهم في الصباح شهوة كسلى، وقد

يكون الجنس الصباحي لدى بعضهم الآخر امتداداً طبيعياً لرقاد هادىء غارق في الاحلام. الدكتورة أوفّت تقترح على الزوجين قضاء بعض عطل الاسبوع وحدهما بعد ارسال الاولاد الى بيت جديهم.

وممارسة الجنس ليلا قد تكون هي المشكلة أحياناً. تقول لوريتا هارويان المختصة بشؤون الجنس في سان فرنسيسكو: "عندما تقول امرأة، لا، في نهاية النهار، فربما قصدت أن تقول: العشاء انتهى والاولاد في الفراش، وأنا الآن أريد بعض الوقت لنفسي."

وراء خلاف الزوجين على الوقت المناسب للجنس تكمن مشكلة توقيت أخرى. تؤكد كارول إليزون: "الشخص الذي يستهلّ العملية الجنسية يكون غالباً متقدماً على شريكه اثارة ورغبة. فاذا كان الرجل دائماً هو البادىء فالمرأة لن تعطى أبداً الوقت الكافي لاظهار الشهوة. نحن نحتاج الى زيادة التركيز في جعل الاثارة متزامنة لدى الطرفين."

الاشارة الثالثة: ماذا يجري بينكما؟

هنالك حالات عدة من ضعف الشهوة الجنسية تنتج احياناً من مشاكل غير جنسية في العلاقة بين الزوجين. لكن الخلل قد يكون تبايناً في الشهوة. وهذا لا يعني وجود مقياس للشهوة، بحيث يسجل الزوج كثيراً وتسجل الزوجة قليلا. انما هناك تفاوت في الاساليب والرغبات، تماماً كالتفاوت في طريقة تربية الاولاد.

تشكو شارون (٤٥ عاماً) من أن زوجها (٤٩ عاماً) يريد أن يمارس معها الجنس لدى أدنى اشارة أو اثارة. أما هي فتكتفي بمرة واحدة في الاسبوع. فأي منهما يعاني مشكلة الشهوة؟

تشرح كارول إليزون: "قد يكون من الخطأ وصف شارون بأنها تفتقر الى الشهوة." وفي نظر إليزون أن الزوج يتخذ من ممارسة الجنس وسيلة للدلالة على ما يشعر به من قلق ووحشة وضجر. كان يحتاج الى ايجاد طرق اضافية للاعراب عن تلك المشاعر. أما شارون فكانت تحتاج الى فهم أكثر للدلائل الجنسية وطريقة التجاوب معها. وأثناء المعالجة تعلمت أن تصبح أكثر وعياً لمشاعر التوتر والقلق وتلاحظ ما اذا كانت مثل هذه المشاعر تنخرط في سلك الاثارة الجنسية. وتبين أنها كانت في بعض الاحيان تُثار من دون أن تدري أنها مثارة.

ويذكّر برنارد ابفلبوم: "الناس معرضون لانفعالات مختلفة اثناء المواجهة الجنسية. وتلك الانفعالات تتضمن الشعور بالاكتئاب أو التهدد أو الغيظ. فاذا ما أخمدتَ هذه المشاعر أو تجاهلتها فانك تزيد من فتورك الجنسي، اذ تبرِّدك الحال التي أفرزتها. وساعة تتوقف عن الشعور بأنك مرغم على الاثارة، تستطيع تقبل شعورك الحقيقي."

وينصح ابفلبوم: "ليسمح كل من الزوجين لنفسه بأن يبحث مع الآخر في قلقه من مشاعره السلبية اثناء المواجهة الجنسية. فهذا قد يفتح حواراً هو كل ما يُفتقد غالباً في فراش الزواج." ويزيد مؤكداً أن "هذا النوع من الحوار ليس من

شأنه بالضرورة أن ينهي المواجهة الجنسية، بل قد يساعد على بدئها."

الاشارة الرابعة: ماذا في حبة الدواء؟

يبدو أن عدداً من العقاقير التي يصفها الاطباء يخفض الشهوة. هذه العقاقير تتضمن المسكنات وأدوية ضغط الدم والحبوب المهدّئة للاعصاب كالـ"فاليوم" والـ"كوالود." كما أن ادمان الكوكايين أو الماريوانا أو الكحول قد يخفض الشهوة أيضاً.

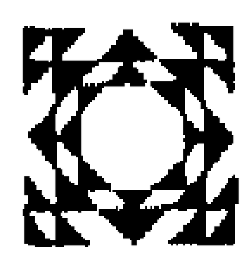
أيمكن أن تشفي العقاقير من الفتور الجنسي كما تسببه؟

روّج حديثاً لفيتامينات ومركبات معدنية على أنها مثيرة للشهوة الجنسية. لكن البرهان العلمي لاثبات هذا الادعاء ضئيل. وذلك ينطبق أيضاً على معالجة الاشخاص الطبيعيين بالهرمونات. ان العلاقة الحقيقية بين انتاج الهرمونات والشهوة هي دقيقة وغير واضحة بعد.

فقدان الشهوة هو غالباً أمر موقت مهما يكن السبب. فقد ينقضي اذا ما بطل العامل المحدد، كالحزن أو الغيظ، او اذا ما وجد المرء العلاج بنفسه. ولكن حينما تكون المشكلة مزمنة أو تؤثر في العلاقة الزوجية، فقد يحتاج المرء الى استشارة معالج اختصاصي.

يقول ابفلبوم: "اعتاد الناس التفكير في أنه يجب أن تكون لديهم مشكلة عملية قبل اللجوء الى المعالجة. لكنهم بدأوا يتحولون أكثر الى المساعدة الاختصاصية لمشاكل الشهوة الجنسية. ويلاحظ أن كسر الفتور الجنسي لا يتطلب بالضرورة استشارة مطوّلة."

نانسي فريدمن



الربيع الشافي

طال الشتاء وبتنا في أواسط مارس (آذار) ولم تظهر أي دلائل على قرب حلول الربيع. فانتابني ضيق شديد انعكس على تصرفاتي تجاه أفراد عائلتي.

وذات عصر عدت من عملي، فوجدت على الطاولة في غرفة الطعام باقة جميلة من ازهار الربيع. وأشرقت دنياي حين قرأت بطاقة زوجي: "أتمنى لك شفاء عاجلا من الشتاء. مع حبي."

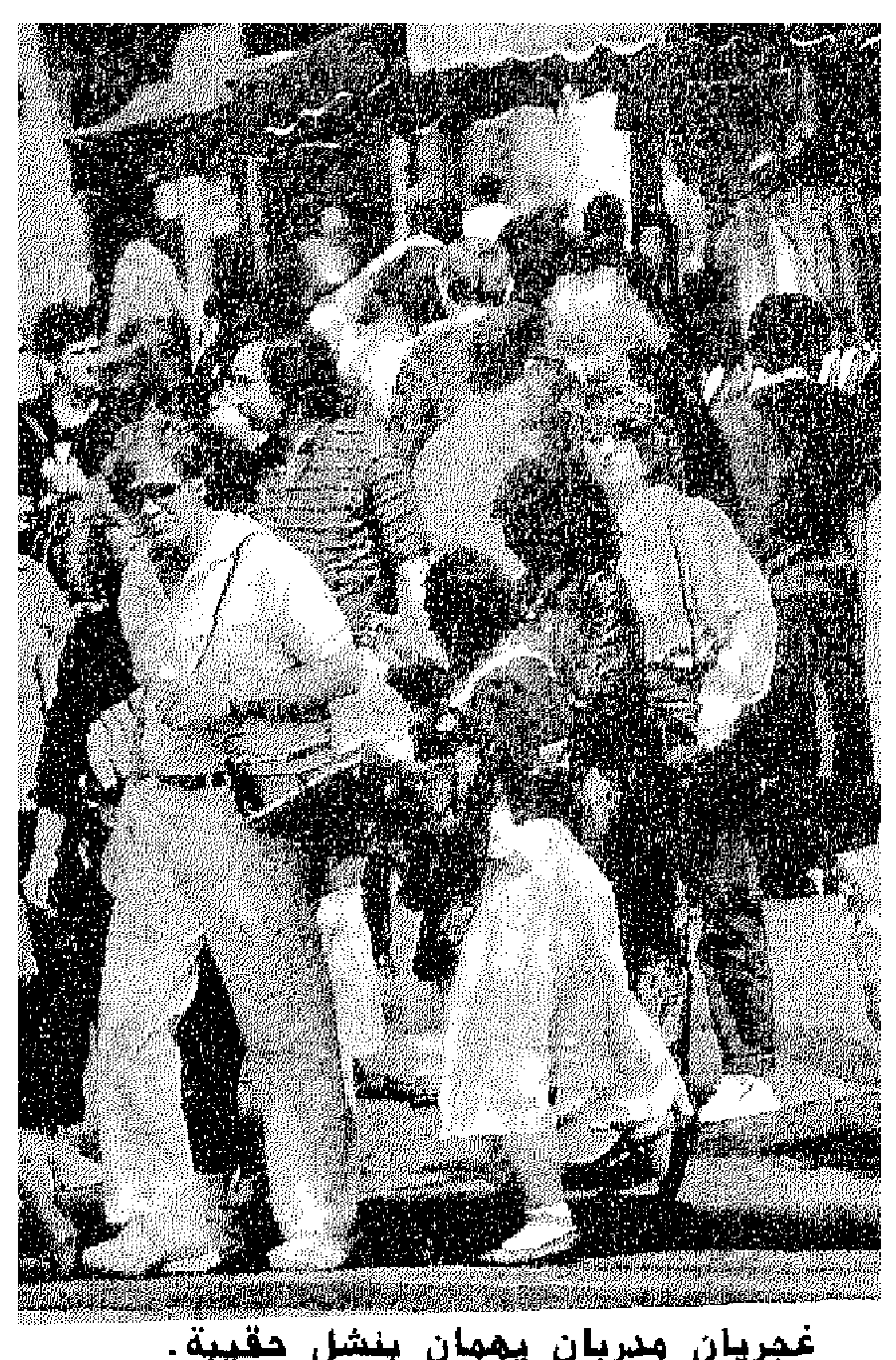
ا.س.

لست أعلم سبب الاهتمام الشديد بالشيخوخة، لكني أعرف أن المسنين الذين يتألقون داخلياً يبدون أصغر كثيراً من عمرهم الحقيقي.

دولي بارتون، مغنية امريكية شعبية

مَنْ يَحْمِيْ أطفال الغجر؟

حقائق مخزية عن بيع أولاد الغجر في أوروبا وتحويلهم لصوصاً ومجرمين



غجريان مدربان يهمان بنشل حقيبة.

عندما دخل مصطفى مهميدوفيك النمسا في ٥ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٥، لم يكن لديه ما يدعوه الى الريبة في ان خطته لا تجري على ما يرام.

وفيما اجتاز مع غجري آخر الحدود قرب بلدته ماريبور على نحو مشروع، كان شركاؤهما يسوقون تسعة أولاد من الغجر تراوح أعمارهم بين ١٠ أعوام و١٥ عاماً ورضيعاً في الشهر الرابع، الى فسحة غير محروسة من الغابات على الحدود اليوغوسلافية - النمسوية.

مهميدوفيك (٦٠ عاماً) غجري بدين من يوغوسلافيا. وهو قبل عهد قريب عمد الى "شراء" هؤلاء الاولاد من أهاليهم، أو إنه استعارهم أو أغواهم. وها هم الآن في سبيلهم الى مخيم للفجر في ايطاليا حيث سيبيعهم مهميدوفيك بنحو ٨٠٠ ألف دينار (٢٤٠٠ دولار) ليتحولوا متسولين ونشالين ولصوصاً.

في التاسعة والنصف من تلك الليلة دفع مهميدوفيك وزمرته الاولاد بخشونة الى حافلة صغيرة وانطلقوا بهم صوب استراحة على الطريق العامة تبعد ١٥ كيلومتراً. هناك انتظروا قدوم غجري آخر ليرافقهم الى مقصدهم النهائي.

في الحادية عشرة إلا ربعاً ليلا وصل الغجري الآخر... والشرطة النمسوية كذلك. كانت الشرطة على جانبي الحدود

Photo: ALIX / SIPA PRESS

استرشدت بمعلومات سرية وصلت الى ماريبور في نوفمبر (تشرين الثاني)، فتعقبت كل خطوة للعصابة. وصرح نيكو سوبرت رئيس جهاز الأمن في منطقة ماريبور: "كنا نعرف المتورطين، وسعينا الى ضبطهم متلبسين."

اثر تدخل الشرطة النمسوية أعيد الاولاد الى يوغوسلافيا. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٦ دين مهميدوفيك في محكمة ماريبور بتهمة تهريب الاولاد عبر الحدود الدولية لغايات اجرامية، وحكم عليه بالسجن سبعة أشهر. كما سجن عشرة من الغجر لفترة وجيزة. وفي اعتقاد السلطات اليوغوسلافية ان مهميدوفيك نقل نحو ١٠٠ طفل غجري وباعهم الى شركائه في ايطاليا.

حوادث متفرقة – بدأ الغجر اليوغوسلاف التوافد الى الغرب منذ يسرت يوغوسلافيا الهجرة في منتصف الستينات. واذ كان كثير منهم عمالا غير مهرة وأميين فقد عجزوا عن ايجاد عمل. وفي نهاية السبعينات عانى الاقتصاد اليوغوسلافي أزمة جدية وغدت الهجرة الجماعية للغجر في اتجاه الغرب موجة عارمة، ونسبة الجريمة بين أولادهم في ازدياد.

ابدى الرسميون اليوغوسلاف اهتماماً بهذه الجرائم. وكانت المتاجرة بأطفال الغجر بدأت قبل زمن بعيد، من يوغوسلافيا الى بلدان أوروبا الغربية، بغية استثمارهم في التسول والسرقة. وهنا بضعة حوادث:

□ في ميلانو بايطاليا، خلال الأشهر العشرة الاولى من العام ١٩٨٦، أصدرت مذكرات باعتقال ٨٣ غجرياً راشداً من يوغوسلافيا بتهمة تحويل ما يزيد على ٣٥٠ طفلا من الغجر الى العبودية أو الى حال مشابهة للعبودية، كذلك اعتقل محام ايطالي لضلوعه في الجرائم. وحكم على أربعة من المتهمين بالسجن مدداً تراوح بين سبع سنوات و ١١ سنة ودفع غرامة تراوح بين مليونين وثلاثة ملايين ونصف مليون لير ايطالي. وينتظر ثلاثون آخرون المحاكمة، أما الباقون فمطاردون.

□ في باريس في يوليو (تموز) ١٩٨٦ تم تجريم زوجين يوغوسلافيين من الغجر بموجب قانون فرنسي حديث، بتهمة حيازة بضائع مسروقة حصل عليها أولادهما الاربعة القاصرون. ومنذ ذلك جُرِّم ٣٠ غجرياً في باريس بتهم مماثلة.

□ في يوغوسلافيا بين ١٩٨٣ و١٩٨٦ حوكم نحو ٥٠٠ غجري بتهم تراوح بين الاجتياز غير المشروع للحدود وخطف الاولاد وايذائهم.

أطلق على ضحايا هذه التجارة الدنيئة اسم "أطفال بلا طفولة." وفي وسع المرء أن يراهم في باريس وعلى شاطئ الريفييرا وفي ميلانو وميونيخ وبروكسل وجنيف، حيثما يحتشد سياح أو حاملو نقود أياً كانوا. انهم يتسولون في أسمال قذرة في محطات المترو والقطار وفي شوارع التسوق الأنيقة والساحات الشهيرة والمتنزهات العامة.

وهم دوماً يقظون وفي المرصاد لأي ضحية محتملة. يغمغمون كلمات مبهمة فيصرفون الانتباه ويربكون. وقبل أن يدرك المرء ما أصابه يتوارون وفي حوزتهم

محفظته أو حقيبته. وفي وسع أبرعهم جمع نحو ثلاثة آلاف دولار يومياً من التسول والسرقة.

السن "القانونية" – وفقاً لتقدير السلطات فان عدد الاولاد الغجر المتورطين في خطط الابتزاز هذه يبلغ ١٠ آلاف أو أكثر. وتشير آخر احصاءات الشرطة في فرنسا الى ٤٩٣١٨٣ ألف شكوى من النشل في ١٩٨٦، ويُظن أن نسبة لا بأس بها هي من عمل أولاد الغجر. وتقدر الشرطة الباريسية أن ما بين ٥٠ ولداً غجرياً ومئة يعملون في أحياء المدينة.

وفي بادوفا بايطاليا تعزو الشرطة اليهم اكثر من نصف الجرائم الثانوية. وفي البندقية عام ١٩٨٦ اعتقل اكثر من ٣٠٠ غجري معظمهم أولاد، بتهمتي السرقة والنشل، وأعيدوا الى موطنهم.

غير أن القبض على الاولاد الغجر كان في الغالب بلا جدوى. فالسن الدنيا للمقاضاة هي ١٣ عاماً في فرنسا و١٤ في ايطاليا ويوغوسلافيا. وكثيرون من هؤلاء الاولاد هم دون السن القانونية، في حين يرفض آخرون الاقرار بأنهم بلغوا هذه السن ليدخلوا السجن. يقول كارمن داميانو رئيس "الفرقة الجوالة" في بادوفا: "ليس في حوزتهم أي مستندات أو جوازات سفر."

لكن السلطات الفرنسية باشرت أخيراً إخضاع هؤلاء الاولاد لفحص طبي يتضمن تصويراً بالاشعة السينية (اكس) للفكين واليدين لتحديد العمر. وبدأ الايطاليون أيضاً اجراء فحوص مماثلة.

ويتوجب على الشرطة وفقاً للقوانين أن تطلق الاولاد الذين هم دون السن وتسلمهم الى من يزعمون أنهم أهلهم أو أنسباؤهم، أو ترسلهم الى مركز لاعادة التأهيل، أو تطلقهم كيفما كان، أو ترحلهم الى بلادهم.

ومنذ ١٩٨٠ تم ترحيل أكثر من خمسة آلاف ولد دون السن الرابعة عشرة من ايطاليا الى يوغوسلافيا لقيامهم بأعمال سلب واجتياز غير مشروع للحدود.

الحدود الغجرية – هذه المتاجرة الشائنة بالاطفال ترتكز على استغلال الفقر والبطالة. وبحسب التقديرات يعيش ما بين ٧٠٠ ألف و٩٠٠ ألف غجري في يوغوسلافيا اليوم، وغالبيتهم يقطنون المناطق الفقيرة في مقدونيا وصربيا. وهم يتجمعون في مدن مثل تيتوفا متروفيكا بمقاطعة كوزوفو، ويعيشون في أحياء خاصة داخل بيوت حقيرة وراء حجب كثيفة من الدخان وحيث تفوح روائح نتنة من النفايات المتعفنة.

وهناك غجر راشدون عديمو الضمير، أمثال مهميدوفيك، يعملون بالاتفاق مع زعماء زمر وعصابات في أوروبا الغربية. فيتقربون من الغجر الفقراء ويعرضون نقل أولادهم الى خارج البلاد للعمل هناك. وهم في المقابل يبعثون بقسم مما يكسبه الولد الى أهله، أو ينقدون الاهل مبلغاً فورياً (يبلغ نحو ٣٠ الف دينار يوغوسلافي (★) لكنه يزيد الى ٤٠٠ ألف أحياناً). وهو عرض يصعب على الأهل

(★) الدولار الامريكي يساوي نحو ٣٦٠ ديناراً يوغوسلافياً.

رفضه. وإذا ما فعلوا فالاشرار جاهزون لانتزاع الاولاد الذين يحتاجون اليهم أو انهم يعمدون الى اغوائهم.

وبعد اتمام الصفقة يجمع الاولاد عادة في أماكن مثل زغرب وريبيكا في انتظار تهريبهم عبر الحدود. وينُقل بعضهم في مراكب عبر البحر الادرياتيكي، ويخفى آخرون في سيارات أو حافلات صغيرة. لكن معظمهم يهرَّب عبر الحدود وسط الغابات.

يقرّ برونيولي ستافيتي رئيس شرطة الحدود الايطالية في تريستة، بأن قواته عاجزة عن خفر كل معابر "الحدود الغجرية."

واذ يصل الاولاد الى ايطاليا يرسلون على الفور الى مخيمات كبيرة كتلك القائمة خارج ميلانو وقرب نابولي وفي صقلية، ويقبض الناقلون أرباحهم التي تبلغ بضعة آلاف من الدولارات.

هذه المخيمات الحقيرة الملأى بالمقطورات والسيارات الغريبة هي مدارس لتخريج الاوغاد. هنا يتعلم الاولاد السرقة والاقتحام بالكسر والخلع والكذب بطلاقة والسكوت عن أمور مريبة.

وقد تم تدريب صبي صغير على النشل باجباره على اغماد يده في حقائب يد نسائية ملأى بشفرات حلاقة! وشوّه عدد من الاولاد بصب الماء الغالي على أطرافهم بغية استدرار الشفقة عند التسول في الأحياء. والنظام صارم أيضاً. فقد أوثق صبي خلف سيارة وسحب حول مخيم للغجر بايطاليا لانه لم يأتِ بنصيبه من السرقات. وحُجز آخر أياماً في قفص خشبي صغير لعصيانه.

الاولاد يتكلمون — حالما يتم تدريب العصابات تنتشر في بلدان أوروبا الغربية وتعيش عادة في مخيمات. عند الصباح يؤخذ الاولاد الى مدينة مجاورة ويتركون في منطقة ملائمة للعمل. ثم يعادون الى المخيم مساء.

واذا ما قبض على أحدهم فقد تبعث "فرقة الاسترداد" شخصاً زاعماً أنه نسيب ليسترجعه من الشرطة. وعرف عن الغجر في ايطاليا وفرنسا أنهم يوظفون محامين محليين لاسترجاع الاولاد. والأمر الأساسي هو الحؤول دون تحدثهم الى السلطات القضائية.

ونجحت هذه الطريقة لسنين. غير أن الاولاد بدأوا يتكلمون. وللمثال، كان لهم القول الفصل في دعاوى الاستعباد بميلانو ضد ٨٣ يوغوسلافيا اشتبه بهم. كان معظم هؤلاء الاولاد يحيون في مخيم كبير بموجيانو قرب ميلانو، ويخرجون للسرقة وسلب المنازل في الجوار. وتم اعتقال عدد منهم. وقد أفاد ستيفانيا دي بيليس رئيس مفتشي شرطة ميلانو: "كنت أستدعي الاولاد الى مكتبي كل يوم. وبعدما حزت ثقتهم أخبرني بعضهم أنهم خطفوا من يوغوسلافيا وضربوا وأجبروا على السرقة."

في البداية لم يشأ الاولاد، أو لم يستطيعوا تسمية رؤسائهم المتسترين ببضعة عشر اسماً مستعاراً. وحين أخذتهم الشرطة الى المخيم للتعرف الى رؤسائهم استبد بهم الروع فلم يفعلوا. لذا شرعت الشرطة في دهم المخيم بانتظام والتقاط صور لكل الغجر هناك. يقول دي بيليس: "استطاع الاولاد تحديد

الهوية في الصور الفوتوغرافية، ولم يكونوا خائفين من الصور."

وباشر الفرنسيون أيضاً التضييق على الآباء الغجر الذين يعتاشون من مداخيل أولادهم. وكانت أولى القضايا من هذا النوع ضد سباسوجي وفيرا دجوردجيفيك من رومينفيل احدى ضواحي باريس. فبعدما تعقبت الشرطة ابنتهما ذات الثلاثة عشر عاماً قبض عليها وهي تسرق في محطة سان لازار وسط باريس. واكتشفت الشرطة أن للاسرة منزلا فاخر التأثيث وثلاث سيارات ومبلغاً كبيراً من العملات الفرنسية والأجنبية. ولما لم يكن للابوين من معيل سوى أولادهما الاربعة الذين دأبوا على التسول والسلب في باريس، فقد قبض عليهما أيضاً. وفي ٢٣ يوليو (تموز) ١٩٨٦ حكم على الاب بالحبس ٣٠ شهراً وعلى الام بالحبس ١٨ شهراً، وغرّما ١٥ ألف فرنك فرنسي (٢٥٠٠ دولار).

استيراد وتصدير – على رغم هذه النجاحات فان ثمة جداراً من الصمت يعوق ملاحقة الراشدين الذين يجنون أرباح هذه التجارة.

وقضية آرابوفيك هاكيا (٣٤ عاماً) في كوبر بيوغوسلافيا مثال على ذلك. ففي العام ١٩٨٥ اعتقل الغجري لضلوعه في بيع صبيين وفتاة في مقابل ٣٦٠ ألف دينار يوغوسلافي. وهو أمر أحد الصبيين ويدعى كادك سافط (١٥ عاماً) بالعودة الى يوغوسلافيا لاحضار ابن عمه. لكن كادك قصد الشرطة بدلا من ذلك. واحتجز آرابوفيك في السجن شهراً فيما استمرت التحقيقات التي رفض خلالها البوح بأي معلومة. وقد صرح أحد ضباط الشرطة في كوبر: "لم يدل بشيء. كان يقول لنا: يمكنكم أن تزجوني في السجن ثلاث سنوات. وماذا بعد؟ أما رئيسي فيقتلني اذا تفوهت بكلمة."

أين الحل؟

يقول ماريجا بيركوفيك مدير مركز كوبر للعمل الاجتماعي: "انها ليست مسألة جنائية فقط، بل هي معضلة اجتماعية واقتصادية."

في ١٠ ابريل (نيسان) ١٩٨٦ دعت الحكومة اليوغوسلافية الى العاصمة بلغراد ضباط شرطة رفيعي المقام من ايطاليا وفرنسا والنمسا ويوغوسلافيا للتداول واتخاذ اجراءات منسقة لمكافحة تجارة أولاد الغجر. وفي أي حال، تعتقد فئة من الناس أن ليس في الامكان حل مشكلة الرق هذه ما لم تشدد الحكومة اليوغوسلافية اجراءات ضبط الحدود ومعاقبة منتهكيها، وتتيح للغجر فرصة معقولة للعمل والعيش على نحو لائق. والى أن يحصل ذلك تظل الأموال التي تكسب من طريق التسول والسرقة في الغرب اغراء كبيراً. وحتماً فان الثمن الباهظ يدفعه الاولاد الغجر، فهم الضحايا الرئيسية لحلقات هذه الجريمة الشائنة.

جايمس هورفيتز

يسرني التمرد من حين الى آخر، لأنه كالعاصفة في الجو.

توماس جيفرسون، رئيس أمريكي سابق

هل استيقظت في الليل هلعاً؟
أنت إذاً تعرف المسوخ



كنت موقناً أنه آت ليأخذني. في البداية وقع خطوة ثقيلة على الحصى تـعـقـبـهـا قـدم تنسحب على الأرض. خطوة، فسحب. خطوة، فسحب. أتمدد متجمداً في فراشي. الزقاق الضيق بين بيتنـا وبيت الجيـران مـظلم تكسوه القذارة والحصى وبعض الأعشاب.

نافذتا غرفتي تواجهان الجدران الخشبية لمنزل جـارنـا، وشـفـرات الستـائـر مغلقـة على الدوام.

التـاريـخ: مـنـتـصـف الأربـعينـات. وكنت شـاهـدت لتـوي فيلمـاً سينمـائيـاً عن مـوميـاء. الصورة لا تزال منطبعة في ذهني: رجل ملفوف بقماش رمادي من كاحليه الى رأسه.

عيناه وفمه مكشوفة. احدى الذراعين مرفوعة الى صدره. مرفقه قريب من جنبه وقد برزت أطراف أصابعه. الذراع الأخرى متدلية بجانب الساق التي تنسحب. لفائف قماش تتدلى متراخية من تلك الذراع، متمايلة مع كل خطوة يعقبها سحب. لا أذكر من أين أتى وأين كان يـقـصـد فـي ذاك الفيلم السينمائي. لكني كنت أعلم أنه آت إلي.

ولعدة ليال بقيت "أسمعه" اذ أستلقي وحيداً في فراشي. يخفق قلبي وأنا أترقب القدم كي تحط على الأرض. توقف موقت يتلوه سحب بطيء. كنت أغادر الفراش، فأزيح ستارة النافذة عن الزجاج وأحدق الى الزقاق المعتم وذقني على حافة النافذة.

لم تكن ثمة أضواء في الخارج، فلم أتبينه بوضوح في الظلام. لكنه كان هناك. يتوقف اذ يراني. أعود الى الفراش وأنتظر. يغادر المكان. أغفو أحياناً، فيعود ليوقظني. يتركني في ليال أخرى ويتابع سبيله.

لم أخبر أحداً عنه قط. بدا كأنه ذعري الخاص، وبمقدار ما كنت فزعاً منه كنت أخشى أن أفقده.

وذات ليلة هجرني الى الابد. ولم أفكر فيه طوال أربعين عاماً الى هذه السنة، اذ شرع ابني ذو السنوات الاربع يصرخ في الليل: "أبي، أبي، هناك مسخ في حجرتي. تعال اقتله."

حجرته المرتفعة عدة طبقات فوق أحد أزقة نيويورك تشرف على حائط قرميد. الشبابيك محمية بستائر خشبة ذات فتحات. ألفيته منتصباً في الفراش، عيناه واسعتان، متفرساً في فتحات الستار، مشيراً الى "مسخه": "إنه آتٍ ليأخذني."

انتزعت وسادة وخضت عراكاً مع المسخ أملاه الواجب الأبوي. دفعته الى باب الخزانة وضربته تكراراً بالنافذة ثم سقته خارجاً الى الظلام. وجدته كياناً بلا حجم ولا سيماء. لكن إبني أخبرني أنه أزرق وذو أسنان كثيرة.

تكررت هذه الشعيرة لأسابيع، وبعض الاحيان غير مرة في الليلة الواحدة. تابعت معركتي مع المسخ. كنت أدسّ ابني تحت الأغطية وأبين له أن أباه سيدرأ عنه المسخ دوماً. فما دمت هناك لن يأتي مسخ ليأخذ صغيري.

كنت مخطئاً. فمهما جاهدت في المعركة كان المسخ يعود حين يريد ابني ذلك. أجبرت على قبول الحقيقة: أن اسلوبي في حمايته من مخاوفه لم يكن مجدياً. لم يخبرني والدي قط أنه سينقذني من مسوخي، ولا أظنه كان على علم بوجودها أصلا.

واذ عدت بالذاكرة الى المومياء أدركت أنها لا تزال معي. لقد بدلت شكلها بالسرعة التي كبرت بها أنا: أصبحت دباً وحشياً عند قائمة سريري. وفي ما بعد غدت شيئاً طائراً لا شكل له ينقض على رأسي. لازمتني يوم دخولي روضة الاطفال، ولاحقاً في محاولاتي الاولى لركوب اللوح الخشبي فوق الامواج. كانت الاعاصيرَ والمحيطَ والموتَ تكتنفه الأسرار في جوارنا، وتفوُّق أخي علي في الالعاب الرياضية.

كانت إبراً تحت الجلد، وحلاقتي الاولى، وليلتي الأولى بعيداً عن البيت عاملا متمرناً في مخزن للبضائع. ثم غدت مطمحي، وخوفي من الاخفاق، وكفاحي للنجاح، وزواجي، وأبوتي. هناك دوماً قدم تنسحب في مكان من ذهني.

ناداني ابني من جديد. هذه المرة دلفت الى حجرته وأضأت النور وجلست قبالته. عيناه واسعتان هلعاً. استمر في الصراخ مشيراً الى النافذة: "اقتله يا أبي!"

وانتزع الوسادة محاولا أن يدفعني للقيام بالعمل المألوف. وحين أفلحت في اسكاته أخيراً أخبرته بصوت مرتعش أني لن أقتل المسخ بعد ذلك أبداً.

بينت له أن هذا المسخ خاص به. فهو الذي ابتكره، ووحده من يستطيع قتله. أخبرته أن المسخ ماثل في خياله وأنه يثب الى الخارج كلما أراده أن يفعل. وفي وسعه أن يبعده حينما يختار ذلك، أو يحيله مسخاً ودوداً اذا رغب.

جلس خلواً من كل تعبير. وكررت له أنني لن أخوض معركته بعد الآن، غير أني أحبه وسأبقى أحبه دوماً.

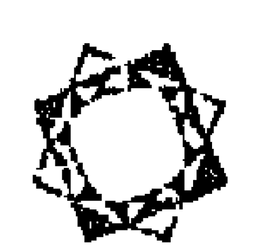
ارتسمت على وجهه ابتسامة جميلة متباطئة، فغامرة، وقال: "أتعني أن في وسعي أن أحمله على فعل أي شيء أرغب فيه؟"

أجبته: "أجل، أنت المسؤول عنه."

عدت الى الفراش واستلقيت هناك منتظراً عودة المسخ. لكنه لم يعد تلك الليلة ولم يظهر في شكله القديم بعد ذلك قط. أحياناً يسوقه ابني خارج غرفة الجلوس شاهراً سيفه وهو يخزه به من الخلف ويصيح: "أنا السلطة." وبعض الاحيان يكون المسخ نائماً تحت الأغطية في السرير الكبير حين تشارك الاسرة كلها في لعبة التخييم. فنطلب منه بتهذيب أن يرحل. انه يتجلى في كل شيء، فيبلغ ثلاثة أمتار طولا أو يغدو كائناً صغيراً جداً في كوب يحمله ابني. يظهر تارة أزرق وطوراً أخضر، وأحياناً يكون أنثى.

وفيما يكبر ابني أدرك أننا سنقوى على مواجهة مسوخه معاً. أما الآن وقد غدا ما كان يقيناً لي أحجية، فآمل أن يقدر ابني على مساعدتي في مواجهة المسوخ المجهولة التي ستزورني أنا بلا استئذان.

فرانك لانجلا



ضباب سان فرنسيسكو

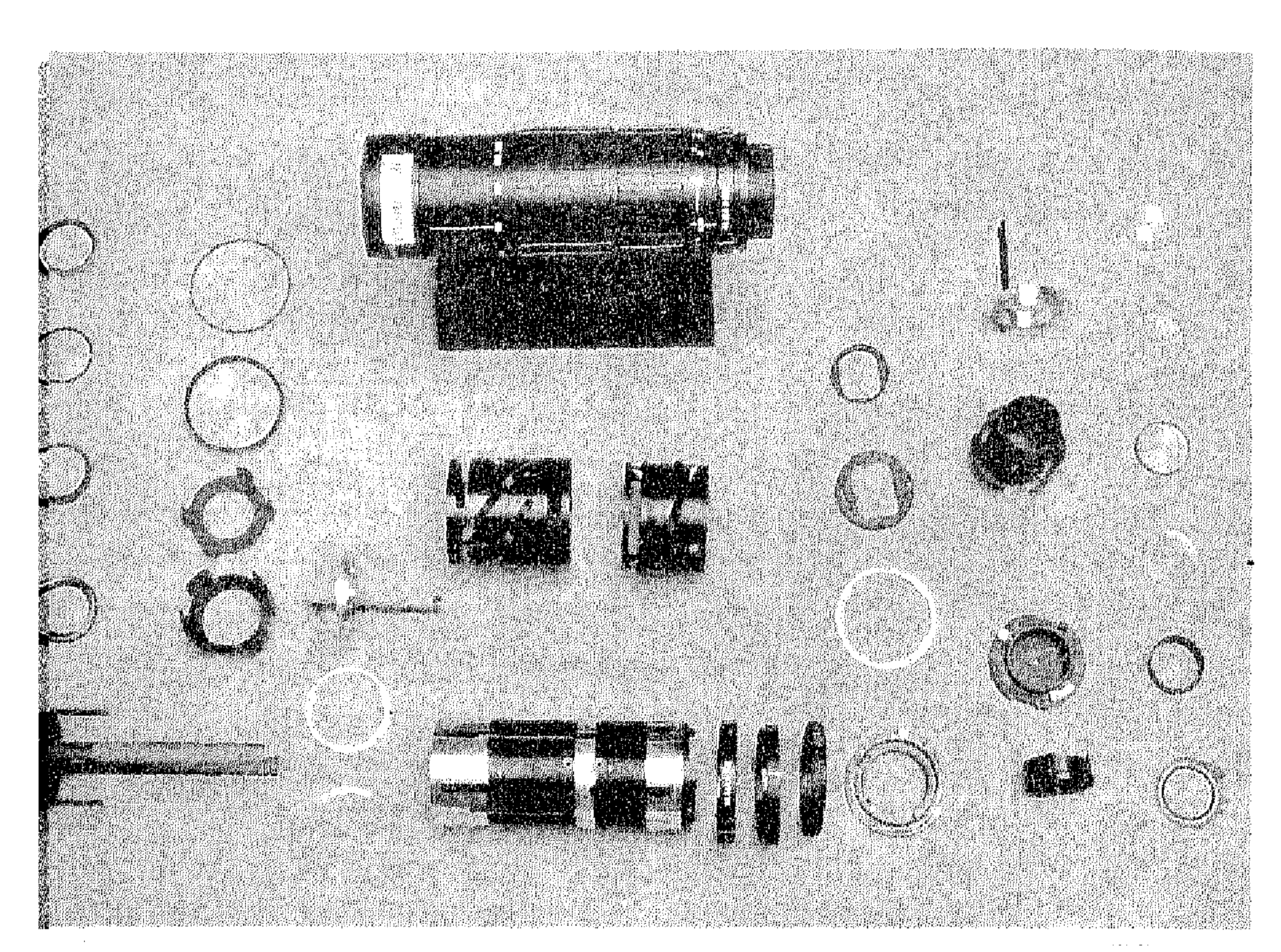
قصدت سيدة من مدينة كنساس صديقة لها في سان فرنسيسكو. فأخذتها هذه في جولة لتريها معالم المدينة. ومع ان الضباب كان مخيماً فلم تكف المضيفة عن التباهي بمناظر سان فرنسيسكو: "أنظري الى تلك الهضاب، وانظري الى الجانب الآخر من الطريق حيث يتمايل المحيط الهادىء في مدّه وجزره.

لكن الضباب كان يكتنف هذه المناظر كلها. وفي النهاية عيل صبر الزائرة فقالت: "أعلم انه ليس لدينا الكثير من المناظر في كنساس، ولكن في وسعك أن تري ما عندنا."

د.ك.

قاعدتي الذهبية: لا تفتح علبة لم تقفلها.

م.ب.



عدسة "زوم" للسوق الشعبية: ٧٠ - ٢١٠ مليمترات. وتبدو أجزاء العدسة مفصّلة.

عدسات انجينيو التقطت القمر

من أعماق البحار الى أعالي جبال القمر تضع عدسات هذا الفرنسي أمام عينيك عجائب الكون

في ٢١ يوليو (تموز) ١٩٦٩ شاهد ملايين الناس الحدث التاريخي حين مشى أول رجلين على سطح القمر، وهما رائدا الفضاء الامريكيان نيل آرمسترونغ وادوين الدرين. وشوهد انفصال المركبة القمرية عن مركبة القيادة وتوجهها نحو سطح القمر، بواسطة عدسة تصوير اعتمدتها وكالة الفضاء الامريكية الوطنية (ناسا). وهذه العدسة هي من صنع فرنسي مغمور هو رائد في تكنولوجيا البصريات العالية يدعى بيار أنجينيو.

تعتبر شركة أنجينيو في طليعة الشركات المجددة في علم البصريات. فاذا كانت آلة التصوير التي تقتنيها

Photos: Courtesy of Angénieux

مزوّدة عدسة "زوم"(١) فيمكنك أن تشكر انجينيو الذي أتقن صنعها الى درجة تقارب الكمال. واذا ركبت مرة طائرة "ايرباص" حيث جهز حاجب الريح الزجاجي في غرفة القيادة بنظام سهل القراءة لتعليمات القيادة، فلك أيضاً أن تشكر انجينيو على التكنولوجيا البصرية التي أتاحت ذلك. واذا شاهدت مغامرات جاك كوستو تحت الماء أو أفلام أوتو بريمنغر أو كلود لولوش، فمن المحتمل أن تكون المشاهد التقطت بعدسات انجينيو.

يقول جان فيرا رئيس شركة "بوليو" لآلات التصوير السينمائية والفيديو: "عدسات انجينيو هي رولز رويس عدسات التصوير. لذلك نستخدمها في اجهزتنا، لان كل عدسة تحفة فنية رائعة."

كيف تطور هذا العمل العائلي الفرنسي الى قوة عالمية في علم البصريات؟

الاجوبة هناك في بناية بيضاء ذات واجهة مستديرة، جاثمة على رأس تلة في بلدة سانتيان التي تبعد ٤٥ كيلومتراً الى الجنوب الغربي من مدينة ليون. داخل هذه البناية تكمن جميع أسرار عائلة انجينيو. انه البيت الذي بناه بيار انجينيو. وقد بلغ الرجل عامه الثمانين، لكنه لا يزال المرشد الملهم وانشط المخترعين في هذا المكان.

في المدرسة التي لا تزال قائمة هناك أظهر بيار الصغير استقلالية في التفكير وحباً للاستطلاع. وذات يوم حل عملية حسابية ودهش عندما اعتبر معلمه الحل خطأ. فواجهه بجرأة: "أظن أن جوابك أنت خطأ يا أستاذ." ولدى المراجعة وجد المعلم أن الكتاب الدليل كان هو المخطىء.

أما ابن بيار، جاك، الذي يعمل على تصميم عدسات الكترونية، فيقول في أبيه: "انه تعلم ألا يثق بمعرفة الناس لمجرد كونهم خبراء."

العدسة الكاملة – التحق بيار بمعهد الهندسة "الفنون والصنائع" في بورغندي ومن ثم بمعهد علم البصريات في باريس. وبعد عمل قصير في شركة "باتيه للسينما" ثم مع صانعي آلات تصوير سينمائية خارج باريس، عزم عام ١٩٣٥ على الاستقلال بعمل خاص. وبعد ثلاث سنوات أخذ يبحث عن بناء ملائم في بلدة سانتيان. وسرّه أن يجد بناء المدرسة القديمة لا يزال قائماً. فنقل عمله الى هناك، يساعده اثنا عشر موظفاً.

خفت أعمال انجينيو خلال الحرب العالمية الثانية. ولكن بعد ذلك استعاد نشاطه و"أقلع" فعلا. وفي الخمسينات حقق ثلاثة ابتكارات ثورية في التصوير الفوتوغرافي الحديث: عدسة ذات زاوية واسعة للكاميرات ذوات الصور المنعكسة والعدسة الواحدة(٢)، وعدسة للتصوير السينمائي في الضوء الخافت، وعدسة "زوم" قاربت في صنعها مرتبة الكمال. هذه الابتكارات المتطورة كانت أساس نمو شركته.

لدى مشاهدي التلفزيون اليوم معرفة

(١) zoom lens هي عدسة تتيح لآلة التصوير أن تقترب من الشيء أو تبتعد عنه بسرعة بحيث تبدو الصورة وكأنها تزداد قرباً من المشاهد أو بعداً عنه.

(٢) Single-lens reflex cameras

عيار ١٦ مليمتراً، التي كانت مبيعاتها آخذة في النمو. وبذلك بلغ الذروة في أعماله. وفي أوائل الستينات، على رغم ارتفاع الاجور وضغوط المنافسة اليابانية، تحولت الشركة الى صنع معدات عالية التقنية للمحترفين، فحققت أرباحاً طائلة.

حدث العدسات، صورها دقيقة وواضحة عن قرب وعن مسافات بعيدة جداً.

سحر في الفضاء - بدأ ذلك عام ٦٤ عندما اتصلت "ناسا" بأنجينيو لاعلامه أن عدساته أثبتت انها الاكثر اتقانا بين العدسات التي اختبرتها الوكالة. فهل يرغب أنجينيو في صنع عدسات لمسبر الفضاء "راينجر" غير المأهول المقرر أن يلتقط صوراً قريبة للقمر؟

يذكر المهندس أندريه ماسون رئيس دائرة البحث والتطوير في شركة "انجينيو" التحدي الذي واجه دائرته: "كان على "راينجر ٧" أن ينطلق نحو القمر ويتحطم على سطحه. ونظراً الى سرعته الفائقة وكي لا تأتي الصور مغشاة، فعلى العدسة حين يفتح غطاؤها أن تجمع أكبر مقدار من الضوء، ذلك بأن القمر جسم قاتم على نحو غير عادي، بلون الاسفلت الجديد."

عندما أكمل "راينجر ٧" مهمته وتحطم على سطح القمر، كانت آلات التصوير الثلاث المجهزة بالعدسات الفرنسية الصنع التقطت ٢٠٠٠ صورة أرسلت الى الارض. وفي مهمتين لاحقتين أرسلت عدسات انجينيو ٦٠٠٠ صورة أخرى لتخطيط سطح القمر.

بعدسات "زوم"، أما في الخمسينات فلم يكن في وسع المصور أن يأخذ لقطة عن قرب من دون أن يوقف التصوير ويغير عدساته أو يجر الكاميرا الى الأمام. والجهود الرامية الى جمع كل الامكانات في عدسة واحدة باءت بالفشل لأنها أعطت صوراً مشوهة. حتى ان بعض العلماء في المانيا الغربية رأوا أنه يستحيل تطوير مثل هذه العدسات الكاملة.

لكن انجينيو تجاهل استنتاجاتهم وأجرى ألوف المعادلات وتمكن عام ١٩٥٦ من صنع أول عدسة "زوم" دقيقة في العالم. كانت من الروعة والكمال بحيث أن انجينيو سيطر خلال سنوات قليلة على ٩٠ في المئة من سوق التلفزيون والسينما، ولا تزال شركته تحتفظ بهذه النسبة في سوق العدسات السينمائية.

عقد انجينيو اتفاقاً مع شركة "بل وهويل" الجبارة في الولايات المتحدة لصنع عدسات عالية الاتقان لآلات التصوير السينمائية المعدة للهواة من

تلت ذلك رحلة "أبولو" ١٩٦٩. وبعد النزول التاريخي على سطح القمر رجع آرمسترونغ وآلدرين في المركبة القمرية الى مركبة القيادة. وقد أمكن الملايين في العالم مشاهدة هذه الرحلة بواسطة آلة تصوير من صنع "وستنغهاوس" ركزت في مركبة القيادة وكانت مجهزة بعدسة "زوم" من صنع أنجينيو.

بعد ثلاث سنوات كلفت "ناسا" انجينيو أن يبتكر عدسة "زوم" لارسال صور تلفزيونية من المختبر الفضائي "سكايلاب." ولكن هذه المرة لم تجر الامور وفقاً للخطة المرسومة، اذ انه قبيل الانطلاق أجري فحص حراري للعدسة فانكسرت فيها قطعة زجاج.

يقول ماسون: "جندنا كل موظفينا، وعملنا طوال عطلة نهاية الاسبوع لصنع عدسة جديدة. وطرنا الى نيويورك وسلمناها الى المسؤول في "وستنغهاوس" الذي أخذها الى فلوريدا ووصلت في الوقت المحدد. وقد عملت العدسة بما يشبه السحر."

تغليف خاص – تأثرت "ناسا" بهذا الانجاز الخارق، فطلبت من انجينيو أن يصنع عدسات للمشروع الامريكي – السوفييتي المشترك عام ١٩٧٥، حين التصقت المركبة الامريكية "أبولو" بالمركبة السوفييتية "سويوز ١٩". وفي وقت لاحق حمل المكوك الفضائي بانتظام أربع عدسات من صنع انجينيو لتسجيل نشاطات الملاحين داخل المكوك وخارجه. ويقول روبرت ميلر نائب رئيس قسم الهندسة في شركة «RCA Astro»: "لقد أدت لنا العدسات خدمة عظيمة. انها مجهزة بقزحية فريدة يمكنها التكيف لدى الانتقال من الضوء الخافت في عمق الفضاء الى ضوء الشمس القوي، والتقاط صور رائعة في منتهى الدقة والوضوح."

فما هي العدسة بالضبط وكيف تصنع؟

تشتمل العدسة أساساً على عنصر أو أكثر، في كل منها مزيج من السطوح المحدبة أو المقعرة أو المسطحة يركز اشعاعات الضوء. وللعدسة المكبرة العادية سطحان مصقولان. أما عدسة "زوم" المعقدة التركيب فربما بلغ عدد سطوحها أربعين. لذا فان تصميم عدسة جديدة هو عملية بالغة التعقيد، ربما استغرقت أشهراً لاختبارها بالادمغة الالكترونية قبل تجربة أول نموذج لها في المختبر.

حالما يكتمل التصميم يطلب انجينيو من أفضل صانعي الزجاج في العالم ألواحاً زجاجية ذات تقوس تقريبي بحسب مواصفاته. تدخل الالواح آلة مزوّدة "جفناً" يطبق على العدسة فيشحذها ليصبح التقوس أقرب ما يمكن من المطلوب. وفيما تستغرق عملية الشحذ الخشن نحو دقيقة باستخدام الربوط(٣) فان صقل كل سطح من العدسة ربما استغرق ساعة كاملة. ويقتضي لذلك مراقبة حرفي ماهر يتمتع بسنين كثيرة من الخبرة.

تدخل العدسة بعد ذلك غرفة مقفلة خالية من الغبار، فيها حجيرات خالية من الهواء مضبوطة بدماغ الكتروني. هنا

(٣) الربوط (robot) هو ما يدعوه البعض "الانسان الآلي."

تغلّف وتعالج بأربعين طبقة مختلفة من الـ"ماغنيزيوم فلورايد" ومواد كيميائية أخرى. بعض الطبقات لا تتجاوز ثخانتها جزءاً من الميكرون(٤). يشرح ذلك برنار انجينيو ابن بيار البكر المسؤول عن التسويق: "العدسة غير المغلفة تعكس أربعة في المئة من الضوء وتبددها. وفي امكاننا خفض هذه الخسارة الى ما يراوح بين واحد و(٠،١) في المئة عبر التغليف الخاص."

للطيران والجراحة - هذا المزيج من الخبرة العملية والتقنية يدفع انجينيو الى ابتكارات جديدة. في العام ١٩٨٣ أنجز للسوق الشعبية عدستي "زوم" سهلتي التعديل بطول بؤري(٥) هو ٣٥ - ٧٠ مليمتراً و٧٠ - ٢١٠ مليمترات. وفي يوليو (تموز) ١٩٨٦ أنجز عدسة تصوير مقرّبة(٦) من قياس ١٨٠ مليمتراً، بطول بؤري ثابت. وهي أخف من منافساتها وتلتقط صوراً بالغة الدقة، عن قرب أو عن مسافة لامتناهية في البعد، وحتى في ضوء باهت جداً. وفي العدسة المقرّبة الجديدة ثمانية عناصر تعمل على نحو مبتكر لتحقيق تقدم في جودة الصورة.

وطورت الشركة للطيران الحربي والمدني نظاماً بصرياً لعرض مميز(٧). فعندما يقترب قائد الطائرة من المدرج للهبوط ليلا أو في رؤية سيئة، يظهر ارتفاع الطائرة وسرعتها ووضع جناحيها على شاشة شفافة أمامه أو على حاجب الريح الزجاجي. وهكذا يمكنه قراءة المعلومات من دون أن يحول نظره عن المدرج.

ابتكر انجينيو أيضاً مجموعة مصابيح كهربائية عالية التقنية للجراحة، مصممة لالقاء أقصى كمية من الضوء على طاولة العمليات وتخفيف الظلال الى حدها الادنى. وبواسطة عدة مرايا متحركة يمكن الجراح أن يركز الضوء على نقطة صغيرة أو ينشره على مساحة واسعة، وأن يعدل قوة الضوء لفحص الانسجة المكشوفة أو الأعضاء الداخلية. وتستعمل هذه المصابيح في ما يزيد على ٣٠٠ مستشفى بالولايات المتحدة.

اللحظة الاجمل - بمثل هذه الانجازات يحفظ انجينيو مركزاً بارزاً في سوق الادوات العالية التقنية. وفي شركته ٥٠٠ عامل ينتجون قرابة ٨٠ ألف عدسة سنوياً تستخدم في ٧٠ نوعاً من الادوات البصرية الدقيقة. ويصدّر ٨٠ في المئة من الانتاج، يذهب معظمه الى الولايات المتحدة. لكن الشركة تؤمن عدسات لجميع الشركات اليابانية الرئيسية المنتجة لآلات التصوير.

يحتل انجينيو الصدارة في حقل الابتكار. وها هو اليوم يتخلى عن الادارة لخلفائه، لكنه لا يزال يحب أكثر من أي شيء أن يعمل على تصميم عدسة جديدة. ومع كونه رائداً شبه أسطوري فانه يتهرب من الاضواء. وعندما منحته الاكاديمية الامريكية للعلوم والفنون السينمائية جائزة أوسكار في فن التصوير السينمائي لم يترك عمله، بل

(٤) الميكرون (micron) جزء من الف من المليمتر.
(٥) Focal length
(٦) Telephoto lens
(٧) Heads-up display

أرسل ابنته مارتين نيابة عنه الى هوليوود لتسلم الجائزة. وحين منحته الحكومة الفرنسية وسام "جوقة الشرف" قبله بشرط أن يَقدم اليه في بيته.

وعدسات انجينيو القديمة هي اليوم تحف يجمعها الهواة. وقد أبدى انجينيو دهشة اذ علم أن الممثل الامريكي جيري لويس هو أحد هؤلاء الهواة الكبار.

ومع ذلك فعندما سئل عن أهم لحظة مرت في حياته أجاب من دون تردد: "رحلة رايبنجر ٧. انها تحرّك فيَّ الى اليوم عواطف عميقة حين أتطلع الى صور فوهات البراكين على القمر. انها أجمل لحظات حياتي. وسأخبرك شيئاً آخر: عندما تحطم رايبنجر ٧، أعتقد أن عدسات التصوير الثلاث التي صممتها كانت أول ما لامس سطح القمر. ربما سحقت وتفتتت هي وست عدسات أخرى، لكنها لا تزال هناك."

بارنابي كونراد الثالث



من حسنات...

... الصلع، أنه اذا ما أتاك زائر على حين غرة فما عليك الا تسوية ربطة عنقك.

نشرة "غود نيوز"

... الشباب، انه ليس لديك بعد من التجربة ما يكفيك لتعرف انه لا يمكنك فعل ما تفعله.

مجلة "نيوز تايمس"

... داء التهاب الحنجرة، أن الذين يصابون به لا يستطيعون اخبارك بمدى بؤسهم.

مجلة "ناغتس"

... ازدياد الوزن مع مرّ السنين، أنه يقرّب الناس بعضهم الى بعض.

ت.ت.

... عزف قطعة من الموسيقى العصرية، انك اذا ارتكبت خطأ تعذّر على الآخرين ملاحظته.

ن.ر.

حديث الصم

كنت جالسة في قاعة الانتظار في المطار أترقب دعوة الركاب الى الطائرة التي ستقلني الى مقصدي. فدنت مني سيدة وسألتني بفضول: "ألست نجاة؟"

ولما أجبتها انني لست من ظنت أصرّت على رأيها: "ألست نجاة التي تعمل في مكتب التحريات مع ابني؟"

فأكدت لها أنني لست نجاة فتركتني وشأني.

ولما استدعي الركاب الى الطائرة وقفنا في الطابور، فوجدت السيدة نفسها الى جانبي. اقتربت مني اكثر وهمست: "آمل الا أكون كشفت هويتك السرية."

س.ج.



قبل أربعين عاماً
قطع عهداً لرفقائه
ضحايا طاقم الطائرة المحترقة
وحان الوقت للوفاء بالعهد

المُحِبُّ لا ينسى

لا تزال والدة هوسيه هولغين تتذكر حلمها ليلة ٢٥ يونيو (حزيران) ١٩٤٣. كان كابوساً رأت فيه طائرة ولدها تُقصف بالمضادات اليابانية فتشتعل فيها النار وتدور على ذاتها وتهوي الى الارض وتتحطم.

بعد أيام قلائل تسلمت برقية جاء فيها أن هوسيه فقد في المعركة التي حصلت يوم راودها ذلك الكابوس. لكن شعوراً لازمها بأنه ما زال حياً. وكل صباح وهي في طريقها الى عملها في شركة للنسيج في لوس انجلس كانت تدخل مزاراً وتصلي من أجله.

★ ★ ★

في يناير (كانون الثاني) ١٩٤١ دخلت الولايات المتحدة الامريكية الحرب العالمية الثانية. وانضم هوسيه "جو" هولغين الى سلاح الجو، وكان مضى عام واحد على تخرجه في المدرسة الثانوية.

وبعد تدرّبه على الطيران عُين هو وثمانية آخرون طاقماً لطائرة "ب - ١٧" في السرب ٤٣، الكتيبة ٦٥، في بورت مورسبي بغينيا الجديدة. رسموا على مقدم الطائرة فتاة بسامة سمراء وسمّوها "شقية ولكن ظريفة."

سرعان ما أصبح أفراد الطاقم كعائلة. وأدرك كل واحد منهم أن بقاءه متعلق ببقاء الآخرين. وتوطدت صداقة خاصة بين الطيار جو وقاذف القنابل فرانك بيتّي والمدفعي هنري غارسيا.

كان كل من جو وفرانك شاهد الآخر يوم زفافه. وقال فرانك لجو مرة: "يجب أن نتمتع بما لدينا. أنا لا أعتقد أنني سأعود." أما جو فسخر من كلامه.

هنري غارسيا البالغ من العمر ٢٩ عاماً كان مثل جو اسباني الاصل. وقد

Illustrations: George Angelini

تحايل ليدخل الحرب. فمع أنه متزوج وله أربعة أولاد، ادّعى أنه أصغر من عمره وأنه غير معيل لاحد.

العهد المقطوع

في ساعة متقدمة من ليلة ٢٥ يونيو (حزيران) ١٩٤٣ اقلعت الطائرة "الشقية الظريفة" بزيادة رجل واحد، بحيث أصبح عدد افراد طاقمها عشرة، لتقطع مسافة ٦٥٠ كيلومتراً في اتجاه رابول بجزيرة "بريطانيا الجديدة" في المحيط الهادىء. هذه كانت المهمة الاربعين للملازم هولغين. وهدفها: تدمير مخازن تموين وطائرات مقاتلة في مطار فوناكاناو.

ما كادت "الشقية الظريفة" تلقي قنابلها حتى سُلّطت عليها أنوار كاشفة وأطلقت عليها نيران المضادات. وما هي الا ثوان حتى كان المحرك الثالث يقذف لهباً، ثم ظهرت طائرة يابانية من المقاتلات الليلية وأطلقت قذائف من عيار ٢٠ ميلمتراً، فأصيب الطيار المعاون ومات.

أما جو فاستقرت شظية في ذقنه واخترقت رصاصة رجله اليسرى. وهوت الطائرة نحو الارض، فربط جو مظلته وفتح مخرج الطوارىء. وأما فرانك بيتي فمضى يصارع مظلته. وحاول جو أن يساعده فصرخ فرانك: "لا تنتظرني، اقفز!" دارت الطائرة على ذاتها فتدحرج جو كطابة من كوة النجاة.

هبط جو بالمظلّة بضع مئات من الامتار قبل أن يستقر على شجرة. وسقط بين الاغصان، ومن دون وعي صرخ "أماه!" وانطرح أرضاً على ظهره. وعلى بعد ٦٠ متراً كانت الطائرة المنشطرة تحترق.



اضطجع جو بهدوء بينما النار تخمد رويداً وأغفى. وعند طلوع الفجر صنع عكازين من غصنين ودلف نحو الطائرة. لم يجد فيها أثراً للحياة. واذ كان يحتاج الى حذاء أيسر فانه انتزعه من قدم رفيق ميت مفكراً: "انه كان ليريدني أن أستعمله."

رأى جثة رفيق آخر، لكنه لم ير وجهه. في أحد اصابعه خاتم يحمل الحرفين "هـ.غ." – هنري غارسيا. غشت الدموع بصره وتذكر قول هنري: "أنا مدين لبلدي، فقد أتاح لي فرصاً لم تكن لتتاح لي في مكان آخر."

خرَّ على ركبتيه وقطع عهداً على نفسه: "اذا ما خرجت من هنا فأعد بأن أعود. أعد بأن أرجع جثثكم الى عائلاتكم." ثم صلّى.

تطلع نحو الحطام فرأى جثمان رفيق ثالث. ولكن لم تبق له قوة للتسلق وتفحُّص ما تبقى من الطائرة.

سجين حرب

مشى جو نزولا فوجد جدولا تمنى أن يؤدي به الى الشاطىء. بقي أياماً يكد سيراً في الغابة، يشرب الماء ويقتــات بــالضفــادع النيئــة والحشرات. لكن الجوع نهكه وبات رقاده أحلاماً مزعجة.

بعد مضي ٢٧ يوماً شعر بأنه قريب من الموت، وما ان حشا بندقيته برصاصة حتى سمع صوت جدته: "يا بني، اذا ما أطلقت بندقيتك فستذهب الى جهنم. الله لا يقبل الانتحار. ضع بندقيتك جانباً."

أطاع القول. وبعدما غفا هنيهة فتح عينيه فرأى جمهرة من الناس يحدقون اليه. نقل الى قرية للمعالجة.

بعد ساعات اعتقله جنود يابانيون واقتادوه الى معسكر للاسرى في رابول. وبقي هناك مع طيارين آخرين حتى نهاية الحرب في أغسطس (آب) ١٩٤٥.

شقق كنزنجتون - لنـــدن - الفخـمـة...

· HUNTINGDON HOUSE ·

Elegantly furnished apartments

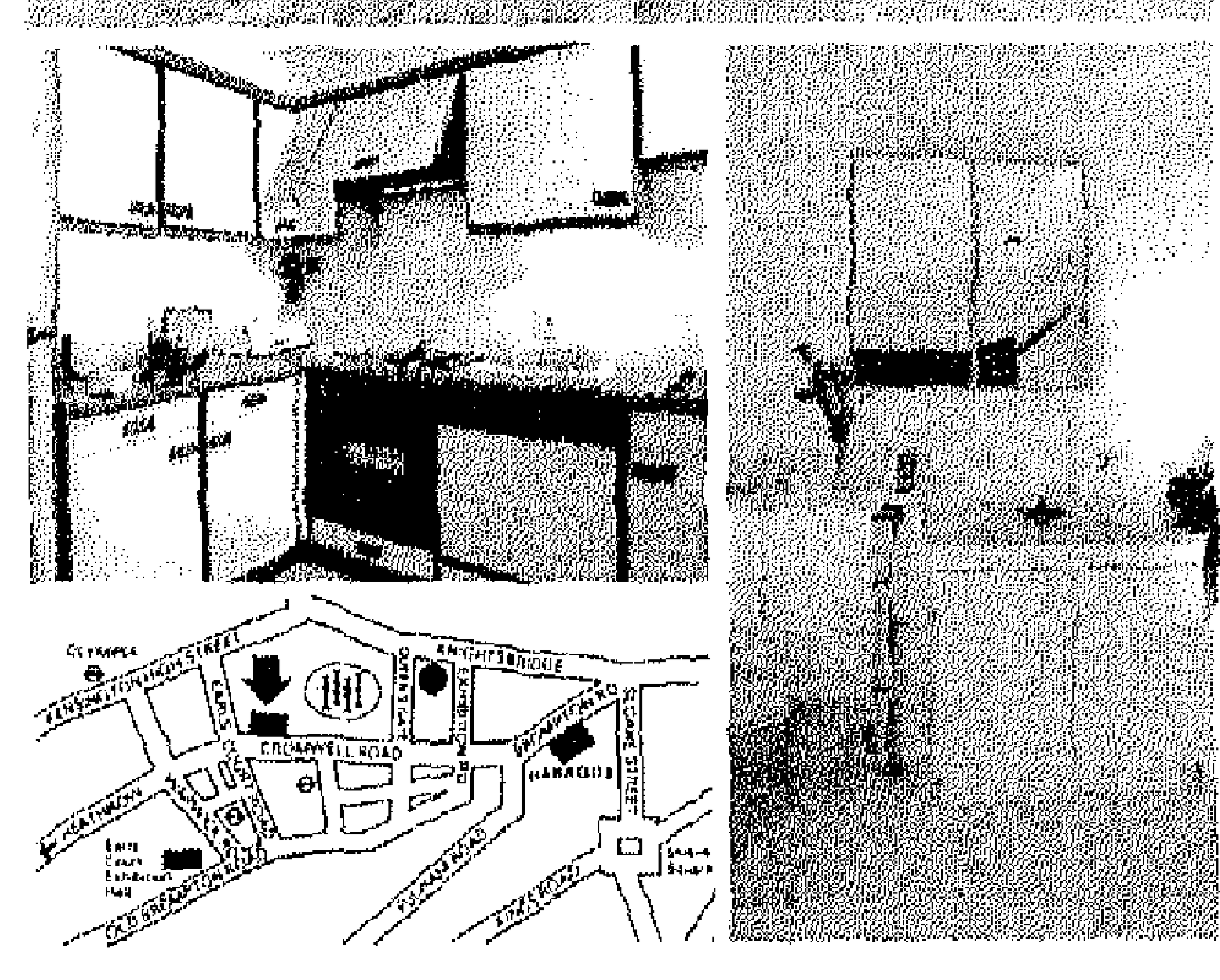
offering the discerning visitor to London the standard and service found in a luxury hotel plus the privacy of one's own home.

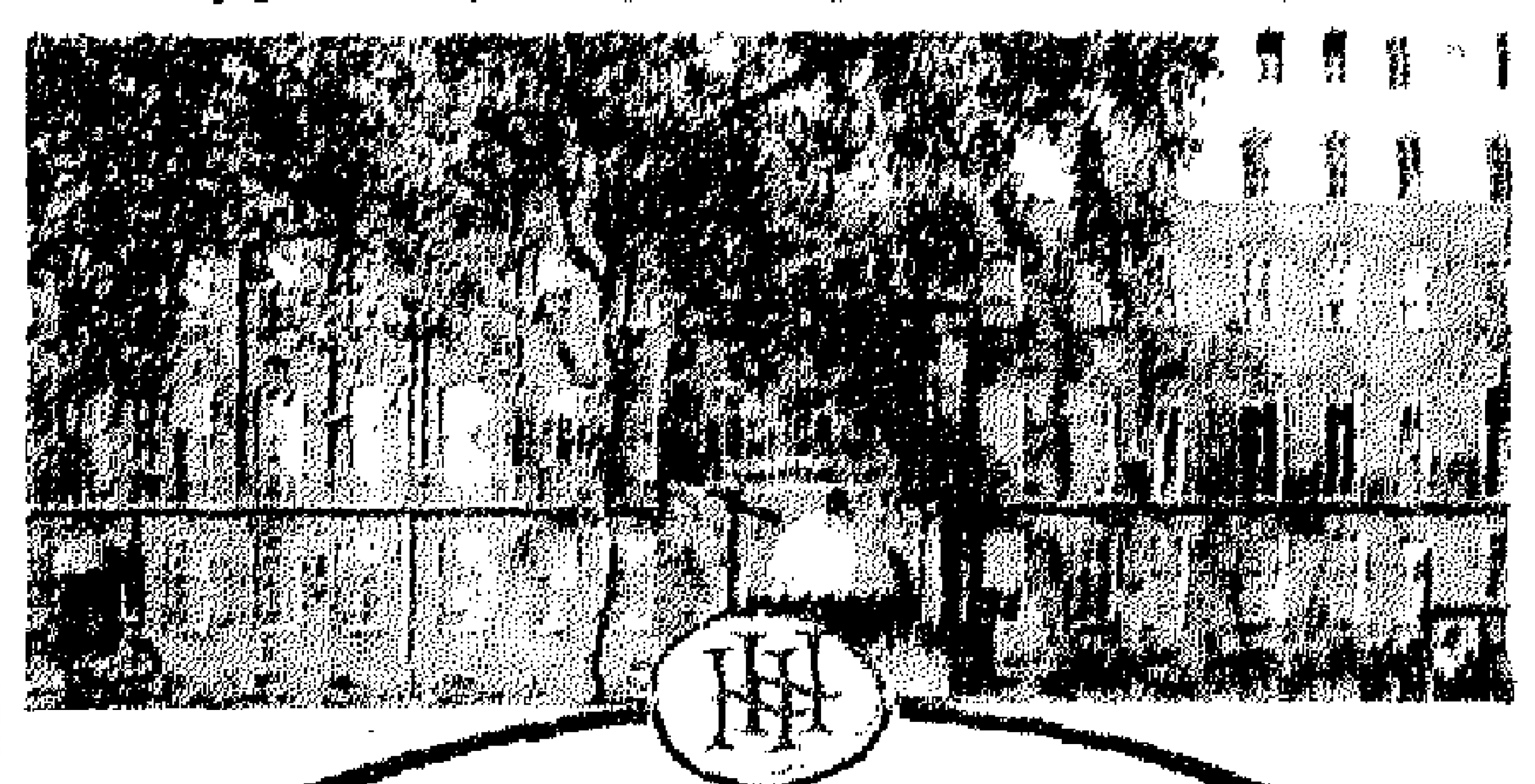




Huntingdon House is an elegant block of furnished apartments situated in Kensington, within easy reach of Harrods and Harvey Nichols at Knightsbridge and perfectly positioned for easy access to virtually all of London's finest attractions, including Hyde Park and The Royal Albert Hall. West End shopping, restaurants and night life together with Kensington's famous museums are also nearby.

There is a choice of apartments from one to three bedrooms, each with private entrance hall, large reception/dining room, luxury bathroom and fully fitted modern kitchen. Air condition and Central heating, colour television and direct-dial telephones are fitted as standard. Twenty-four hour porterage and daily maid service is also provided.





HUNTINGDON HOUSE

200-222 Cromwell Road, London SW5 0SW
Telephone: 01-373 4525/6/7/8/9
Telex: 25293 Hunting-G

مع ٦ بنت هاوس (Penthouse) مجهزة ومكيفة لخدمتكم

...حللت أهــلاً ووطئت سهــلاً

للحجز ومزيد من المعلومات: ٢٠٢ كرومويل رود - لندن SW5 - هاتف ٣٧٣٤٥٢٥ - ٠١ - تلكس ٢٥٢٩٣

بعيد "يوم النصر" بعثت هيلين زوجة فرانك بيتّي الى ربيكا زوجة جو بكتاب ضمنته قصاصة من صحيفة أدرجت فيها اسماء سجناء ما زالوا قيد الحياة في رابول، بينها اسم جو. أما اسم فرانك فلم يكن.

عندما عاد جو الى بلده قضى عدة أسابيع في مستشفى عسكري ثم قرر أن يبقى في خدمة الجيش الامريكي. وأثناء عطلته التي دامت ٩٠ يوماً زار، على نفقته الخاصة، عائلات زملائه أعضاء طاقم الطائرة وعائلات السجناء الذين قضوا في معسكر رابول. وطلب من الجيش أن يساعده ليعود الى "بريطانيا الجديدة" ويبحث عن رفات أصحابه. فكان الرد أن الجيش نفسه سيتولى الامر. أما هو فلا يستطيع الذهاب على نفقته الخاصة لكونه مرتبطاً بعمله.

قبر مجهول

في العام ١٩٦٠، بينما كان جو يخدم في وزارة الدفاع الامريكية، نال شهادة بكالوريوس في العلوم من جامعة مريلاند. ورزق ستة أولاد، لكن وعده المقطوع ظل يلح عليه وينكد عيشه.

عام ١٩٦٣ تقاعد جو من سلاح الطيران برتبة مقدم. واستقر مع عائلته في لوس انجلس. تلقى دروساً في التعليم والتربية وعين معاوناً لرئيس مدرسة ثانوية. وعام ١٩٨١ كان يكسب ما يكفيه ومعاشه التقاعدي ليعيش حياة مريحة. أما أعضاء طاقم "الشقية الظريفة" المفقودون فلم تصل الى أي من عائلاتهم معلومات عنهم. وكان جو بلغ الستين من عمره. وذات يوم قال لريبيكا: "يجب أن أعود."

خلال أسبوع عبَر المحيط الهادىء في وسائل نقل عسكرية وصولا الى رابول. هناك تفحص خرائط قديمة واستأجر سيارة وراح يفتش عن القرية التي كان فيها معتقلا، واذ لم يجدها ولم يعد لديه متسع من الوقت عاد أدراجه.

بعد سنة انضم اليه في "بريطانيا الجديدة" اوستراليان أظهرا اهتماماً بمهمته، وطاروا في مروحية الى منطقة أشار اليها على الخريطة بالحرف «X» كموقع محتمل لتحطم الطائرة. وبعد الهبوط صعد الرجال بضعة كيلومترات على ضفاف جدول. وما كادوا يصلون الى منعطف حتى تبين لجو فجأة أن ذاك هو الموقع. وجدوا الطائرة "ب - ١٧" محجوبة بين أشجار الغابة، وما زالت مقروءة على مقدمها كلمات "شقية ولكن ظريفة،" كما أن "السمراء الفاتنة" ما زالت تبتسم.

بعد البحث عن الرفات من غير جدوى عاد الرجال الى رابول. لكنّ مسؤولين حكوميين في الجزيرة شجعوا جو على مراجعة السجلات القديمة. وفي صندوق حوى أوراقاً صفراء عفنة وجد جو تقريراً مؤرخاً ١٩٤٩ وضعته ادارة سجلات المدافن، تضمن أن المواطنين أرشدوا وحدة للخرائط الى موقع طائرة "ب - ١٧" محطمة. وكانت الاوصاف مطابقة للموقع الذي اشار اليه جو على الخريطة.

جاء في التقرير أن رفات ثلاثة أشخاص دفن في حفرة قليلة الغور. ولم تتوافر أي معلومات ثبوتية الا الخاتم

الذهبي الذي يحمل الحرفين "هـ.غ." وارسل الرفات جوّا الى مختبر عسكري في هاواي. ولما كان التثبت مستحيلا ووري الرفات في المدافن العسكرية الوطنية تحت شاهدات كتب عليها "مجهول."

أخيراً كان لجو سبق. فبعد عودته الى بلده أخذ يبعث برسائل الى هاواي ويجري اتصالات هاتفية. وكانت الاجوبة تملّصية وغير مفيدة، فقرر: "أنا اعرف كيف أواصل بحثي." وأبلغ الى زوجته أنه سيعود الى "بريطانيا الجديدة."

سألته: "ألم تحاول ما فيه الكفاية؟"

أجاب: "لا، نحن عائلة. يجب أن أجدهم. ربما لهذا السبب بقيت حياً."

لم يؤدِ بحث جو الى نتائج ملموسة. ومع أن واضعي الخريطة ذكروا ثلاث جثث، فالوحدات المختصة بالدفن في هاواي قسمت الرفات على أنه يعود الى أربع جثث.

في صيف ۱۹۸۳ عاد جو الى "بريطانيا الجديدة". ألّف فريقاً من صديقيه الاوستراليين وثلاثة عشر مواطناً، للبحث ضمن ۱۸۰ متراً حول الطائرة. لم يجدوا شيئاً. فغادروا المكان مدركين أن لا معنى للرجوع.

تابع جو الكتابة الى ادارة المدافن العسكرية ومكاتب وزارة الدفاع. وكتب أيضاً الى عضو مجلس الشيوخ في كاليفورنيا ألان كرانستون فوعده بالمساعدة.

في أغسطس (آب) ١٩٨٤ أثمرت مساعيه. فطلب الجيش تقارير طبية تتعلق بصحة أعضاء الطاقم وأسنانهم. واعتمد علماء الانثروبولوجيا (★) في الجيش تقنية أكثر تعقيداً من تلك التي عرفت في الجيل السابق، فأثبتوا أن الرفات هو لخمسة رجال: العريف هنري غارسيا والملازم فرنسيس بيتي والعريف روبرت غريبل والملازم هرمان نوت والعريف بايس باين.

عاون جو فرع شؤون الحوادث والاستشهاد في الجيش للعثور على عائلات هؤلاء الرجال. وفي مطلع ١٩٨٥ أقيمت احتفالات دفن بالمراسم العسكرية الكاملة لكل واحد منهم. وحضر جو كل الاحتفالات مقلداً ممثلي العائلات "ميداليات ما بعد الوفاة" مرفقة بكتب التقدير.

هدايا جو

أكثر من ٣٠٠ شخص حضروا الصلاة لراحة نفس روبرت غريبل في ريفرتون بوايومنغ. وقال جو في تأبينه: "حارب بوب ببطولة. أسقط خمس طائرات من نوع "زيرو" وطائرة ليلية مقاتلة. وساعة تعرضنا لنيران كثيفة سألني عبر الهاتف الداخلي: هاي، ياملازم، أتعرف أين أريد أن أكون في هذه اللحظة؟ في حضن أمي! فصرخنا جميعاً: ونحن أيضاً!

"ليبارك الرب العريف غريبل وعائلته."

ثم قلد جو شقيقتي العريف أربع ميداليات. فقالت له احداهما: "تلبّس بنا الحزن منذ أمد بعيد. واليوم نشعر بالامتنان لأن روبرت هو في الوطن الذي اليه ينتمي."

(★) الانثروبولوجيا أو علم الانسان يبحث في أصول الجنس البشري وعاداته ومعتقداته.

كان العريف بايس باين، من كورسيكانا بتكساس، في العشرين من عمره عندما توفي. ورثاه جو بما يأتي: "في عمره القصير علّمنا الشجاعة لنواجه المجهول بقلوب جريئة ولنكون مستعدين للموت. كان رجلا باسلا."

ثم قلّد عائلته ميداليات. وهكذا عاد الأخ الثاني في الطاقم الى موطنه.

واحتفل بدفن الملازم هرمان نوت في فارمنغديل بنيويورك. رثاه جو أمام عائلته وأصدقائه: "الزمن لم يُنقص من عطاء هرمان. كان وطنياً مخلصاً. بسمته وروحه الخفيفة جعلتانا محظوظين برفقته. اليوم يجب أن يكون يوم فرح وتقدير: فرح بعودة أحد أحبائنا وتقدير لأعماله النبيلة."

أما الميداليات فقلدت هذه المرّة شقيقه وليم نوت الذي قال: "لولا المقدم هولغين لظل شقيقي ضائعاً. لقد أعاده الى وطنه. وكم من رجل ينذر نفسه لمثل هذه المهمة! لا يزال في هذا العالم أناس مدهشون."

كان الملازم فرنسيس بيتي أقرب أعضاء الطاقم الى جو. وكانت أرملته هيلين تزوجت ثانية ومات زوجها الثاني أيضاً. وخشيت هيلين الاّ يتذكر زوجها الاول الا أشخاص قلائل يحضرون الجنازة. لكن الحضور كانوا كثراً: ١٨ من حراس العلم في الاكاديمية العسكرية الامريكية في وست بوينت بنيويورك، ورجال اطفاء من السرية التي كان فرانك متطوعاً فيها، وفرقة من الكشافة، وأصدقاء.

في مدينة بيكون بولاية نيويورك وقف جو الى جانب العلم وقال: "فرانك كان صديقي، وأنا أحببته. اليوم يجب الاّ يكون يوم حزن. لنكن ملهمين. لنكن شاكرين. فرانك الآن عاد ليستقر بين أحبائه."

وفي الاحتفال بالصلاة عن نفس العريف هنري غارسيا في ويتيير بكاليفورنيا رثاه جو قائلا: "حياته وحياتي كانتا واحدة حتى فرقنا الموت. نحن هنا ثانية معاً. هنري غارسيا هنا بين عائلته وأصدقائه، في بلده المحبوب. انه يستحق الاحترام والاعجاب والمحبة التي يلقاها الآن."

وفيما ووري رفات غارسيا كانت فرقة موسيقية تعزف نشيد الوداع الاسباني التقليدي "لاس غولوندريناس." أما ابنته البكر روث التي كانت في التاسعة من عمرها عندما توفي فقالت: "أخيراً عاد الينا والدنا فاكتملت الحلقة، انها هدية جو الينا."

مهمة جو هولغين التي موّلها من حسابه الخاص لم تنته بعد. فأربعة من زملائه في الطاقم ما زالوا مفقودين وليس لديه أي دليل على مكان وجودهم. لكنّه لن يرتاح قبل أن يُعثر عليهم ويؤتى بهم الى الوطن.

وهو يقول: "أنت لا تتوقف عن العمل اذا ما كنت تبحث عن عائلتك. فالناس الذين تحبهم لا تنساهم ابداً."

جوزف بلانك

في بعض الاحيان لا بدّ لك من لزوم الصمت كي يسمعك الآخرون.

س.ل.

منذ أيام الرومان
قدم هذا المدرج التاريخي
عروضاً متنوعة اهمها مصارعة الاسود
لكن سحر الاوبرا هو المسيطر عليه اليوم

مُـدرَّج فـيرُونَـا



في المدرج القديم لمدينة فيرونا أطفأ جمهور من ٢ ألف متفرّج شموعهم المتلألئة فيما أطلق المدرج الحجري البيضوي الشكل بريقاً بدا كأنه آت من عالم آخر. فالعرض التاسع والعشرون بعد المئتين لأوبرا "عايدة" للايطالي جوزيبي فيردي على وشك الابتداء.

ففي شهري يوليو وأغسطس (تموز وآب) حين يقفر وادي نهر "البو" مع بداية العطلة، تستعد "مدينة روميو وجولييت" لاستقبال دفق غزير من السياح يأتون للتمتع بالعروض الصيفية على هذا المسرح الكبير حاملين مليارات من اللير الايطالي.

Photo: Publiaerfoto

وكما موزار في "سالزبورغ" وفاغنر في "بايروت" فإن عرض فيردي صار جزءاً نظامياً من برنامج مدرج فيرونا، علماً أن أعمال سواه من الموسيقيين تدخل إطار البرنامج أيضاً. وهذا الموسم، وهو الرابع والستون، يفتتح المهرجان بأوبرا "أندريا شينييه" للمؤلف الموسيقي أمبرتو جوردانو. ويتضمن المهرجان "فتاة الغرب الذهبي" لجاكومو بوتشيني و"عايدة" و"حفلة تنكرية" لجوزيبي فيردي.

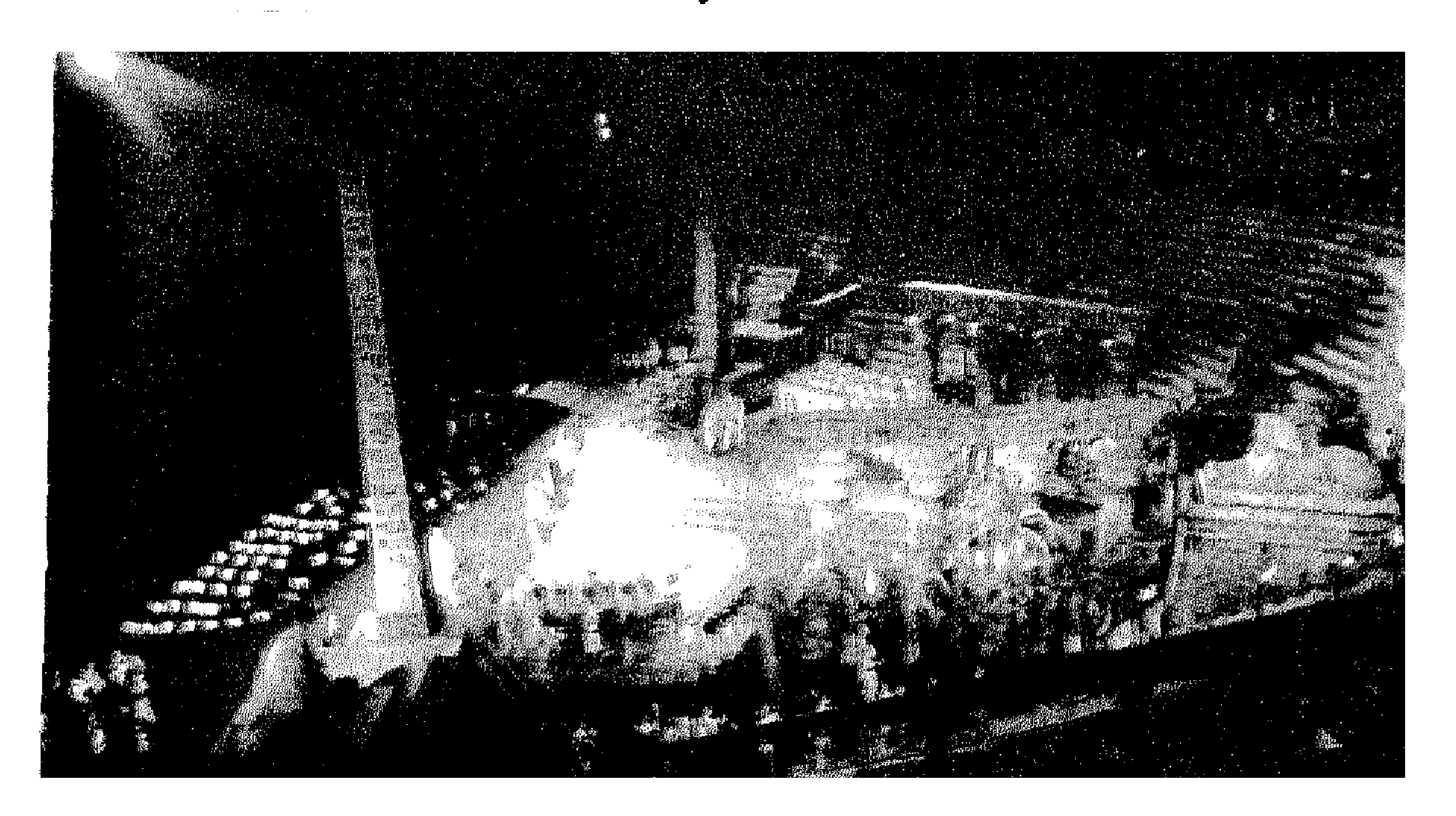
نابوليون وقاهروه - من المدرّجات الثمانية والعشرين في شمال إيطاليا بقيت آثار أربعة عشر، أفضلها حفظاً مدرج فيرونا. وقد بني في القرن الأول للميلاد. طوله ١٥٢ متراً وعرضه ١٢٣، وهو الثالث في الضخامة بعد كولوسيوم روما ومدرج-كابوا قرب نابولي. استخدم أولا لمباريات المصارعة حتى الموت من أجل امتاع الناس في روما القديمة. وقبيل العام ١٠٠٠ استخدمه المصلح راتيريوس بمثابة قلعة تحميه من إنتفاضة الشعب ضده. وفي العام ١٢٧٨ كان مسرحاً لموت ١٦٦ من هراطقة باتارين الذين أحرقوا أحياء تنفيذاً لأوامر "محكمة التفتيش." كذلك شكّل مقراً لمحكمة تفصل فيها "المبارزة" بين الحق والباطل فيخوضها "أبطال" نيابة عن أطراف ثالثة.

وفي أواخر القرن الثالث عشر تحوّل المسرح ملجأ للفاسقات. وفي القرن السادس عشر احتله الحرفيون من حدادين ونجارين وأصحاب خانات. وبعد ذلك سيطرت جمهورية البندقية على فيرونا فاهتمت بترميم المدرّج والحفاظ عليه نظراً الى ما في حضارتها من تذوق للمسرح. أما في القرن الثامن عشر فقد استضاف المدرج كثيراً من الأعمال المسرحية والهزلية.

وهكذا منحت فيرونا كارلو غولدوني فرصة العمر، وهو محام ناشىء ذو تطلعات مسرحية. فخلال أحد العروض لمحه الممثل غايتانو كازالي بين الحضور وعرّفه إلى الكوميدي البارز جوزيبي إيمر، فقرأ له غولدوني روايته "بيليساريو" فأعجب إيمر بالنص وجعل من غولدوني شاعر الفرقة.

حتى نابوليون بونابارت جلس مرة وسط جمهور المدرج في العام ١٨٠٥ وحضر مصارعة بين الكلاب والثيران أقيمت احتفاء به. وفي السنة التي تلت وفاة الامبراطور استقبل المدرج ممثلي القوى التي هزمته في واترلو.

اختبار صوتي - اختيرت فيرونا مقراً لمجلس الحلف المقدس (١٨٢٢) الذي كانت مهمته الحفاظ على تقسيمات أوروبا بعد نابوليون والتي فرضها مؤتمر فيينا. ولم يسبق لعدد أكبر من المتوّجين أن اجتمعوا كما في فيرونا. كان هناك إمبراطور النمسا فرانتز الأول والقيصر الروسي إسكندر وملك بروسيا فريدريك فيليم وملك سردينيا شارل فيليكس وملك الصقليتين فرديناند الأول ودوق ويلينغتون محقّق النصر في واترلو والأمير مترنيخ المسؤول عن وضع الخريطة الجديدة لأوروبا. وطلب مترنيخ من جواكيني روسيني تأليف نشيد قدم يوم الأحد في الرابع والعشرين من نوفمبر



مشهد من اوبرا "عايدة" في عرض ١٩٨٤.

(تشرين الثاني) أمام جمهور غفير حضر لمشاهدة أسياده الجدد. وكان العرض مجانياً.

أما إليونورا دوز، أعظم ممثلات المسرح الايطالي، فقدّمت عرضها الأول في المدرج عام ١٨٧٣. وكانت يومذاك في الرابعة عشرة من عمرها، أي في سن جولييت بطلة الشخصية التي مثلتها. وقدمت العروض على مسرح صغير يفكك لاقامة سباقات الدراجات ورماية الحمام والأرانب البرية والغزلان وحفلات الموسيقى السيمفونية وعروض الفروسية.

وشهد العام ١٩١٣ نقطة تحوّل بارزة في تاريخ المدرج، إذ أراد جيوفاني زيناتيلو، مغني الاوبرا الفيروني العائد من متحف "متروبوليتان" في نيويورك متوجاً بأكليل غار، اختبار القدرات الصوتية لهذا الموقع الضخم. ففي إحدى الأمسيات ذهب مع أصحابه الى المدرج وأنشد على مسرحه أغنية "عايدة." وسمع صوته بوضوح ومن دون أي تشويه حتى في الصف الأعلى أي الرابع والأربعين. وعمد زيناتيلو الى تجربة مماثلة مع كمان فجاءت النتيجة مثالية.

وفي تلك السنة التي صادفت الذكرى المئوية الأولى لولادة فيردي، فكر زيناتيلو في الاحتفال بالمناسبة بأداء جديد للمدرج تمثّل في ميلودراما (١). وما هو أفضل من "عايدة"، أشهر أعمال فيردي؟ انها تعكس الميثولوجيا (٢) المصرية القديمة التي يوفر لها التصميم

(١) الميلودراما أو المشجاة تمثيلية عاطفية مثيرة تعتمد على الحادث والعقدة أكثر مما تعتمد على تصوير الشخصيات.

(٢) الميثولوجيا مجموعة أساطير.

Photo: Franco Fainello

الروماني للمدرج الاطار الأمثل. وساهم زيناتيلو في تمويل الانتاج فيما تولى المايسترو(٣) توليو سيرافين البحث عن المؤدين وأمن فيروتشيو كوسيناتي تمرينات الجوقة وبعض الزوائد.

سياحة ثقافية – من أبرز الذين حضروا الاحتفال الأول جاكومو بوتشيني وأريغو بواتو ومكسيم غوركي وفرانتز كافكا وتيتو ريكوردي وإيلدبراندو بيزيتي وبييترو ماسكاني وكونت تورينو وليتيسيا أميرة سافوا. وأقيمت تسع حفلات وأعدت رحلات خاصة في القطار من باريس وفيينا وبودابست وبطرسبرغ ولندن مع حجوزات من نيويورك.

وهكذا ولد في فيرونا قطاع جديد هو "السياحة الثقافية." ومنذ ذلك الحين قدّم نحو ٨٤٠ مغنياً حفلات في المدرج. وعلى مدى السنين العشر الأخيرة وصل قرابة خمسة ملايين متفرّج من أنحاء الأرض للتمتع بهذا العالم الخيالي. فهنا طارت الاوزة فجأة من دون أوريليانو برتيلي وهو يغني "لوهنغرين." وسمع جمهور الصف الأول ملاحظة المغني الحاذق: متى تطير الاوزة التالية؟

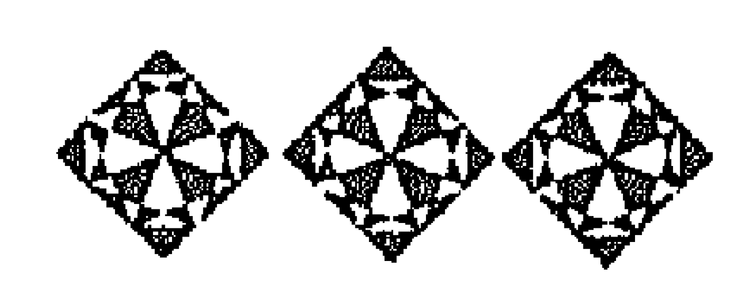
وفي مناسبة أخرى أنقذ عمدة فيرونا الموقف. فحين أطلق أحد المتفرجين ملاحظة تهجمية غضب المايسترو فرنشيسكو موليناري براديلي وكسر عصاه وهجم نحو المتفرّج. وصادف وجود العمدة ألدو فيديلي في الصف الأول بين المتفرجين، فاعترض المايسترو محاولا تهدئة الخواطر وقال: "ماذا تظنني أشعر؟ إن شعورك مماثل لما ألقاه يومياً من ١٨٠ ألف فيروني." فجمد المايسترو وعاد الى قيادة فرقته وأنهى الحفلة بهدوء.

ويستغرق إعداد المدرج للمهرجانات السنوية نحو خمسة أشهر ويشغل مئات العمال. ومن المواد التي استخدمت لموسم ١٩٨٥ وحده ٢٨٠ متراً مكعباً من الأخشاب و١٢٢ متراً مكعباً من مادة الـ"بوليستيرين" الرغوية و١٦٦٠ متراً مربعاً من الخشب المضغوط و٥٦٠٠ متر مربع من القماش المقاوم للحريق و٢٩٧٩ كيلوغراماً من المسامير و٢٩٩٠ كيلوغراماً من الدهان و١٢١٢٠ كيلوغراماً من صمغ الراتينج و٨٨٠ كيلوغراماً من الدهان المقاوم للنار.

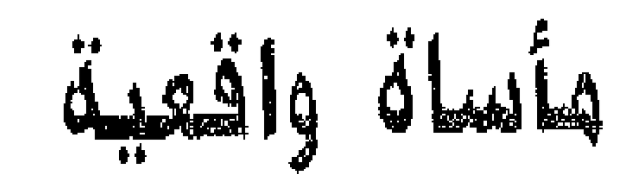
واستخدمت التجهيزات في أضخم عرض شهده ذلك الموسم. فأكثر من ٢٢٠ ممثلا ارتدوا أزياءهم احتفالا بانتصار راداميس. وراح ٢١٠ عازفين يدوزنون آلاتهم الموسيقية و٦٥ راقصاً يستعدون و١٨٥ مغنياً من الكورس يؤدون التمرين الأخير. ثم صمت الجميع برهبة خشوعية. أطفئت الشموع. وبدأت "عايدة."

سيزار مارتشي

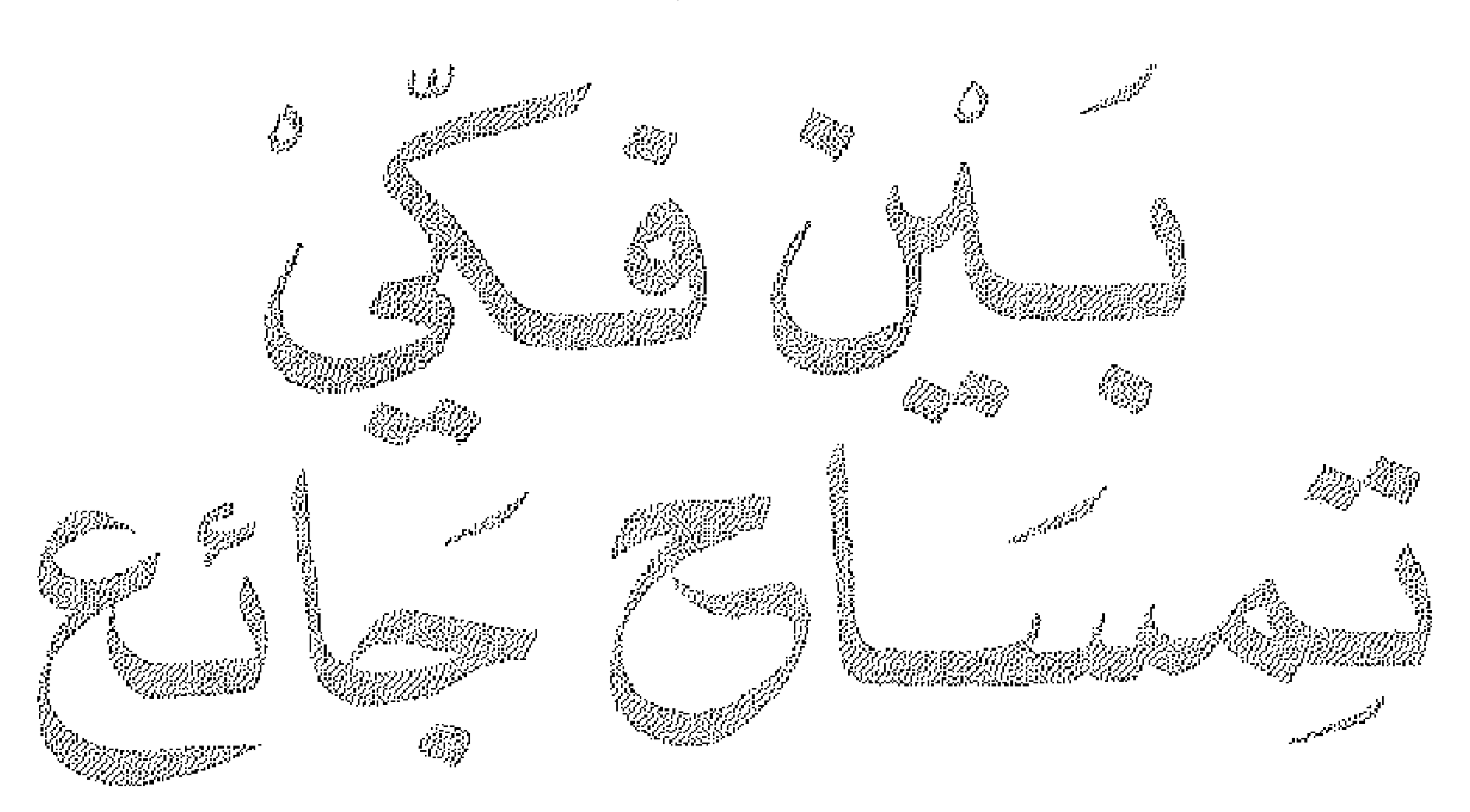
(٣) المايسترو هو قائد فرقة موسيقية.



الضحك مهدىء للاعصاب لا يسبب أعراضاً جانبية. آرنولد غلاسو



مأساة واقعية




بين فكي تمساح جائع

ارتعبت الأم حين وصلت الى ضفة البحيرة اذ رأت ابنها يسبح نحوها بمشقة وخلفه أكبر تمساح شاهدته في حياتها

تلك الليلة صادفت نوبة مايكل مورغرت في غسل الصحون. نادته أمه، لكنه كان يسبح في البحيرة الصغيرة وراء المنزل والبالغة مساحتها ٨٠٠٠ متر مربع.

على مدى ست سنوات واصلت العائلة العمل أيام الاجازات والعطل الاسبوعية لتشيّد منزل احلامها هذا في كريستال ريفر بولاية فلوريدا، غير بعيد عن خليج المكسيك. وانتقلت اليه قبل ثلاثة أسابيع. وأثناء العمل في البناء كان ولدا آل مورغرت، مايكل (١٢ عاماً) ووندي (١٧ عاماً)، يقضيان ساعات وهما يسبحان في البحيرة. الآن، عند الغسق، طلب مايكل من ابنة خاله كلي توماس (١٤ عاماً) التي خرجت من الماء ان تبلغ والدته أنه عائد.

Illustration: John Solie


SOLIE
©87

قسم من هذه البحيرة الصغيرة الخلابة التي تشكل المنبع الرئيسي لجدول ميلر، تقاسمه آل مورغرت مع ثلاثة منازل اخرى.

في جوارهم يسكن الدكتور هوسيه فرنانديز وعائلته، وهو طبيب نسائي. وفي تلك الامسية اللطيفة في ٢٤ سبتمبر (ايلول) ١٩٨٦ كان فرنانديز يتطلع الى البحيرة من نافذته متمتعاً بالغسق. وقعت عيناه على مايكل وجيل، شقيقة كلي البالغة من العمر أحد عشر عاماً، وهما يسبحان. فجأة جذب نظره شيء آخر، حركة في الماء على بعد حوالى ٥٠ متراً من الولدين. انه تمساح ضخم يمخر البحيرة نحوهما بسرعة وصمت.

صاح الطبيب منادياً زوجته وابنته، وأسرعوا جميعاً الى البحيرة وطفقوا يصرخون ويصفقون. ويذكر فرنانديز: "ألهينا التمساح هنيهة فتمهّل، لكنه عاود تحركه نحو الولدين."

تحت بطن التمساح – سمعت جيل الصراخ ولمحت التمساح الذي بلغ طوله حوالى ثلاثة امتار. فنادت مايكل بصوت عال. ولما تأكدت من انه لا يسمعها، اذ رأته تحت الماء، بدأت تسبح نحوه. لكن التمساح كان يتحرك بسرعة قصوى. غيّرت جيل مجرى سباحتها واتجهت نحو الشاطئ. اما مايكل فلم يدرك الخطر الآتي اليه، اذ كان في حال افتتان، عائماً على بطنه ينظر في الماء الصافي الى الصخور تحته، وخرطوم السباحة المتصل بقناع وجهه مرتفع عن سطح الماء حوالى ١٥ سنتيمتراً.

انقض التمساح على الصبي من دون شفقة. ويذكر فرنانديز: "كان يتحرك كالطوربيد. فتح فاه واندفع نحو مايكل، ورأينا فكيه يطبقان على رأسه. ثم ارتفع على ذيله يضرب الماء وينثره في الهواء. ولم يبدُ لمايكل اي حظ في النجاة."

عندما أطبق التمساح فكيه غرزت سن أمامية في رأس مايكل محدثة جرحاً طوله ١٥ سنتيمتراً. اما الفك فعلق بالقناع المطاطي نازعاً اياه عن وجه مايكل. هذا الانحراف جعل رأس الصبي ينزلق من بين الفكين.

لم يدر مايكل ما الذي اصابه. فهو كان مستلقياً على ظهره على عمق متر تحت الماء حيث امكنه ان يرى بطن التمساح الابيض الضارب الى الاخضرار وقائمتيه الخلفيتين الضخمتين ومخالبه. كان التمساح يسبح فوقه تماماً. فاندفع الصبي غريزياً يسبح تحت الماء بأقصى سرعته مستعيناً بزعنفتيه المطاطيتين.

تابع آل فرنانديز الصراخ والتصفيق لالهاء التمساح. رأوه يدور على ذاته، ولكن لم يكن واضحاً ما حدث للصبي. صعد مايكل الى سطح الماء لتنشق الهواء وظل يسبح نحو الشاطئ والتمساح في إثره.

صراع قوتين – كانت جيسي مورغرت والدة مايكل في مطبخها حين سمعت صراخاً من الساحة ورأت كلي تخرج من الماء مسرعة. ظنت انها سمعت الفتاة تقول ان التمساح التهم الكلب او الهرة، "ثم رأيت الرعب على وجه كلي، وأدركت ان امراً مخيفاً حصل فهرعت نحو البحيرة."

كاد قلب جيسي يتوقف حين رأت مايكل يسبح نحوها بمشقة وخلفه أكبر تمساح رأته في حياتها.

كان التمساح هاجم مايكل أولا على بعد حوالى ١٥ متراً من الضفة. وعندما وصلت جيسي كان مايكل على بعد ستة امتار. جثت على حافة البحيرة ومدت اليه يديها وصرخت: "اسبح! اسبح! اسبح! " وما كاد مايكل يبلغ الشاطىء حتى ادركه التمساح.

وتذكر جيسي: "كان فكا التمساح مفتوحين، ورأيت أسنانه الحادة. وخيل اليّ ان فمه يمكن ان يحتوي على نصف جسد مايكل. بدا ابني صغيراً جداً وبدا فم التمساح كبيراً جداً. تابعتُ الصراخ. وما كدت أمسك بيد مايكل حتى اطبق التمساح فكيه، فظننت ان رجلي مايكل قطعتا."

ما حدث كان صراعاً بين جيسي التي تزن ٤٥ كيلوغراماً والتمساح الذي يزن ١٨٠. تقول جيسي: "أمسكت يدي مايكل بين يدي وشددته نحوي بكل ما أوتيت من قوة." اما مايكل الذي لم يزن اكثر من ٤٥ كيلوغراماً فكان يتمغط يائساً بينها وبين التمساح.

في هذه اللعبة اليائسة ظهر عنصر مفاجىء. ٤٦ سنتيمتراً مما اطبق عليه فكا التمساح كانت الزعنفة المطاطية التي احتذاها مايكل في قدمه اليسرى. وتعتقد جيسي ان التمساح تراجع عندما شعر بالجسم الغريب بين فكيه. وفيما واصلت جذب يد ابنها اليمنى ارخى الحيوان فكيه فراحت تسحب مايكل من الماء. وظلت هكذا من دون ان تلتفت الى الوراء حتى اصبح مايكل خارج الماء.

شاهد فرنانديز التمساح ينحدر الى الاعماق: "بدا كأنه قانط وابتعد متمهلا الى عمق البحيرة."

امضى مايكل في المستشفى ستة ايام حيث عولج كاحله الايسر والجرح البالغ في رأسه. كانت رجله اليسرى انكسرت بفكيّ التمساح القويين.

شعار للحب – وصل مبعوثون من "لجنة فلوريدا لصيد الاسماك في المياه العذبة" وباشروا التحقيق. فهذه المهاجمة كانت الثامنة خلال سنة في فلوريدا والثامنة والسبعين منذ بدء حفظ السجلات عام ١٩٤٨. ولندرة هذه المهاجمات ازداد قدوم الناس في الآونة الاخيرة الى المواطن الطبيعية للتماسيح. وهذا ربما كان السبب الذي جعل بعض التماسيح يفقد خوفه من الانسان. واذ كثر تشييد المنازل بالقرب من اماكن كجدول ميلر، ندرت الحيوانات التي تأكلها التماسيح، كالظربان والسنجاب. وبعد صدور قانون حماية الحيوانات المعرضة للانقراض ازداد عدد التماسيح.

مطاردة ذلك التمساح أسفرت عن صيد أنثى بلغ طولها مترين. لكن الذين شاهدوا الحادث أصروا على ان التمساح الذي هاجم مايكل كان اكبر بكثير. وفي اليوم التالي تعقب المبعوثون تمساحاً آخر واصطادوه. كان طوله ٣٤٤ سنتيمتراً ووزنه ١٨٠ كيلوغراماً. انه كبير جداً بالنسبة الى أي مقياس، وآثار العض على قناع مايكل وزعنفته تطابق اسنانه تماماً.

غاري فلبس الذي حقق في الحادث شرح أن سبب المهاجمة كان الجوع: "لدى فحص معدة التمساح تبين لنا انه لم يأكل شيئاً منذ اسبوع على الاقل." وهو يعتقد ان التمساحين ربما كانا في جدول ميلر منذ سنوات. ويشير الى انه تاريخيا ليس ثمة سبب للخوف من التماسيح: "ترعرعت وأنا اسبح حولها، وهي لم تزعجني قط. اما الآن فجوعها وزوال خوفها من الانسان جعلاها أشد خطراً."

بعد مرور ثلاثة أشهر على الحادث كان مايكل مع زائر له يتجولان خلف المنزل نزولا الى مياه الجدول العذبة حيث النسمات اللطيفة تحرك شجر الارز الشامخ والطحلب المتدلي من شجر السنديان النابت في الماء، وحيث السمك البوري يسبح بسلام وطيور البلشون (مالك الحزين) تتنقل بحذر على ضفة البحيرة. انه لمنظر لا يصدَّق انه شهد تلك المأساة المذهلة.

قال مايكل انه لن يكف عن السباحة والغطس، لكنه لا يعتقد انه سيسبح قريباً في جدول ميلر. وهو يفكر دائماً في نجاته العجيبة من الموت، لكن والديه واثقان بأن التجربة لن تترك اي ندب عاطفي.

واذ وقف مايكل هناك حمد ربه لان جروحه الجسدية التي سببتها هجمات التمساح غير بيِّنة. فجرح رأسه يحجبه شعره البني الكثيف. وجروح رجله وكاحله مغطاة بالجوارب. لن يعرف احد ابداً ان هذا الصبي كاد ان يفقد حياته مرتين.

الشاهد الوحيد الظاهر على الهجمات ثلاثة جروح صغيرة في يد مايكل اليمنى، لكنه لا يأبه لها، بل انه في الحقيقة يحملها شعاراً للحب، فهي تشهد للقوة الخارقة التي بذلتها امه اذ غرزت اظفارها في يده لانقاذه من شدقي الموت.

هنري هرت



كرة حاسمة

على اثر عاصفة ثلجية شديدة اكتسى حرم الجامعة طبقة كثيفة من الثلج وبات التنقل صعباً وتعذر الوصول الى المطعم. ومع ذلك أصرت الادارة على متابعة الدروس. الا ان بعض الطلاب رأوا غير ذلك، فصنعوا كرة ثلجية ضخمة ودحرجوها فسدت مدخل بناية الادارة. عندئذ تبلغ المسؤولون الرسالة وأوقفوا التدريس.

ج.ش.

صهر "محبوب"

اخيراً استقرّ رأي اخي على خطبة فتاة وكان قلقاً في شأن لقاء عائلتها. ولما عاد سألته امي: "حسناً، كيف جرت الامور؟"

فأجابها: "أظن ان والديها أحباني فعلا. فقد عرض علي ابوها ثلاث مرات ان يوصلني الى البيت."

ف.ج.

رواية غربية
عن الحياة العصرية
تحكي كيف
يطرد البشر هواجسهم
بأسلحة خفية

حورية الجسر

لربما صادف ان رأى احدكم امي تتزلج على الجليد في مركز روكفلر بمدينة نيويورك. ومع انها بلغت الثامنة والسبعين من عمرها فهي لا تزال ناحلة قوية وترتدي ثوباً من المخمل الأحمر. ولعله واجب عليّ ان احمد الله لأن أمي تسلي نفسها من غير ان تشغلني. لكنني أتمنى في الواقع لو انها اختارت هواية اكثر تواضعاً. فكلما رأيت سيدة مسنة

أنيقة ترتب الازهار او تقدم الشاي، فكرت في أمي وهي ترتدي ذاك الزي الذي يشبه زي نادلة مطعم وترقص على الجليد في قلب إحدى كبريات مدن العالم.

تعلمت أمي الرقص على الجليد في نيو انفلند (شمال شرق الولايات المتحدة) في قرية صغيرة تدعى سانت بوتولفس وهي مسقط رؤوسنا. وليس رقصها سوى تعبير عن تعلّقها بالماضي. صحيح انها امرأة صلبة لكنها لا تستسيغ التغيير. ذات يوم صيفي دبرت لها رحلة الى مدينة توليدو في ولاية اوهايو لتزور الاصدقاء. ولما وصلنا الى المطار لاحظت انزعاجها من قاعة الانتظار باعلاناتها المضاءة وسقفها المعقود ومشاهد الوداع المؤثرة المصحوبة بصخب موسيقى متواصلة.

ولما مضى على انتظارنا نصف ساعة بدأت امي تشعر بضيق تنفس واضح. اذ وضعت يدها على صدرها وراحت تلهث بشدة. تظاهرتُ بأني لم ألاحظ ذلك. وعندما أعلن موعد الاقلاع انتصبت واقفة وصاحت: "أريد ان أعود الى البيت! لا أريد أن أموت في آلة طائرة."

لم أذكر هذه النوبة امام أحد. لكن خوف أمي من الموت في حادث طائرة جعلني أدرك كيف أنها كلما طعنت في السن تناثرت في طريقها الصخور والاسود الخفية. وأدركت كم هي غريبة السبل التي اختارت سلوكها فيما العالم يغيّر حدوده ويتجاوز ادراكها.

اما أنا فلم أعانِ أياً من حالات الضيق التي تعانيها أمي. فلقد ورث اخي الكبير المدلل غرابة اطوارها. فذات مساء اتصل بي وسألني هل يمكنه ان يأتي الى منزلي لتناول العشاء. ولما لم اكن رأيته منذ نحو سنة فقد سرّني ان أدعوه الى العشاء. كنا نقطن في الطبقة الحادية عشرة من بناء عالٍ. وفي الساعة السابعة والنصف اتصل اخي من مدخل المبنى وطلب مني النزول. ظننت في بادئ الامر ان لديه ما يحدثني به على انفراد. ولكن عندما وصلت الى المدخل ولج المصعد معي. وما ان أغلق الباب حتى بدأت تظهر عليه أمارات الخوف نفسها التي شاهدتها على أمي في ذلك اليوم الغريب. وشرع العرق يتصبب من جبينه وهو يلهث كعدّاء.

فسألته: "بالله عليك اخبرني ما الامر."

فأجابني ببؤس: "أخاف المصاعد."

– ولكن ما الذي تخشاه؟

"أخشى ان ينهار المبنى على من فيه."

ضحكت بقسوة. فقد بدا لي الأمر مضحكاً جداً، خصوصاً رؤية اخي مباني نيويورك تتخابط مثل قوارير لعبة البولينغ. لطالما سادت الغيرة شعور واحدنا حيال الآخر، اذ كنت أدرك دائماً انه يكسب مالا اكثر مني وان ممتلكاته تفوق ممتلكاتي. انه الأخ الأكبر. انه المفضل. ولكني ما إن رأيت بؤسه في المصعد حتى ادركت انه ليس سوى أخي الغارق في قلقه واضطراباته. توقف في الرواق ليستعيد انفاسه وشرح لي أنه يعاني هذا الرُهاب منذ أكثر من سنة، وأنه يرتاد عيادة طبيب نفسي. لكني لاحظت ان العلاج لم يجدِ.

ومع ان حاله تحسنت لدى خروجه من المصعد فقد قال لي عندما حان وقت الرحيل: "أنني مضطر الى نزول السلالم." فقدته الى السلالم ونزلنا بتمهل الى الطبقة الاولى. وفي مدخل المبنى ودعته ثم صعدت وأخبرت زوجتي عن خوف أخي من انهيار المبنى. فبدا لها الأمر غريباً ومحزناً. وهو بدا لي كذلك ايضاً، لكني وجدت هذا الخوف مضحكاً.

حواجز خفية

كان أخي يشعر بارتياح كبير وهو على الارض. فقد زرته ذات مرة مع زوجتي وأولادي في منزله في نيوجرزي لتمضية عطلة نهاية الاسبوع، فبدا لنا في صحة جيدة. لم أسأله عن رهابه. وبعد ظهر الاحد عدنا الى نيويورك. واذ اقتربنا من جسر جورج واشنطن رأيت عاصفة رعدية تكتنف المدينة. وما ان اصبحنا على الجسر حتى ضربت السيارة ريح عاتية كادت ان تفقدني السيطرة على المقود. وأظن انني شعرت بالهيكل الضخم يترنّح. ولما اصبحنا في منتصف الجسر خيل الي ان الطريق تنهار. لم أرَ اي علامة انهيار، لكني كنت مقتنعاً بأن الجسر لن يلبث ان ينشطر قاذفاً السيارات الى المياه القاتمة تحتنا. هذه الكارثة التي نسجها خيالي أرعبتني. وأصبحت قدماي من الوهن بحيث أحسستني عاجزاً عن السيطرة على السيارة. ثم أضحى تنفسي عسيراً وانسدل غشاء أسود أمام عيني.

ما ان قطعنا نصف الجسر حتى خفّ ألمي ورعبي. كانت زوجتي واولادي منشغلين بالعاصفة فلم يلاحظوا ما بي.

وبعد ايام اضطررت الى قيادة سيارتي الى منطقة ألباني. ومع ان النهار كان مشرقاً والريح هادئة، فقد بقيت ذكرى نوبتي قوية. فما كان مني الا ان لازمت الضفة الشرقية لنهر هدسون الى ان بلغت مدينة تروي حيث عثرت على جسر من الطراز القديم سهل عليّ اجتيازه بارتياح. وهكذا انحرفت عن سبيلي بحوالى ٤٥ او ٣٠ كيلومتراً. وادركت كم هو مخجل ان تعوق سفر المرء حواجز خفية. وعدت من ألباني سالكاً الطريق نفسها.

لم ترقني فكرة وجود عوائق خفية تتحكم بالحياة. وقررت ان اكون اكثر تطلباً من نفسي. ولما كان عليّ الذهاب الى المطار في الاسبوع التالي فاني قدت سيارتي بدلا من ان أركب حافلة أو سيارة أجرة. وحين أصبحت على جسر تريبورو كدت أفقد وعيي. وحين وصلت الى المطار طلبت فنجان قهوة، لكن يديّ كانتا ترتجفان فأرقت القهوة على المنضدة.

طرت الى لوس انجلس ذاك المساء. كنت متعباً فأخذت سيارة اجرة اوصلتني الى الفندق الذي أرتاده عادة، لكن النوم لم يعرف سبيله الى جفوني. ورأيت من نافذتي سيارتين بدا انهما تتسابقان في جادة سانسيت، فتوقفتا عند الضوء الاحمر وخرج من كل منهما ثلاثة رجال راحوا يتلاكمون. وعندما أضيئت الاشارة الخضراء سارعوا الى السيارتين وراحوا يتسابقون من جديد.

وفيما انا انظر الى جادة سانسيت في الثالثة بعد منتصف الليل، ادركت ان خوفي من الجسور ليس الا تعبيراً عن

اشمئزازي الغامض مما حدث للعالم. في وسعي ان أقود سيارتي بهدوء في ضواحي توليدو، فأمرّ بمحلات المدينة ومطاعمها وأرى هندستها الرتيبة. ويطيب لي التنزه في جادة هوليوود بعد ظهر الأحد، مبتهجاً بالسماء المظلمة فوق اشجار البلح المهجّرة من مواطنها. لكن الجسور الشاهقة هي على ما يبدو الحلقة المفقودة التي اعجز عن صوغها في هذه السلسلة الزائفة من الاشياء التي اتقبّلها. فأنا في الواقع أكره الطرق العامة والمطاعم. أما أشجار البلح والأبنية الرتيبة فتثير الكآبة في نفسي. أكره تدمير الحدود التي ألفتها. ويزعجني ما أراه من بؤس بين أصدقائي. وكنت كلما وصلت الى اعلى الجسر ادركت فجأة عمق شعوري حيال الحياة العصرية ومدى توقي الى عالم اكثر اشراقاً وبساطة ومسالمة.

تدخُّل رحيم

عدت الى البيت من رحلتي نهار السبت فوجدت ابنتي قد رجعت من المدرسة الداخلية لتمضي معنا عطلة نهاية الاسبوع. وصباح الأحد سألتني ان أعيدها الى مدرستها في نيوجرزي. فغادرنا المنزل بعيد الساعة السابعة وكنا نتحدث ونضحك. ولما اصبحت على الجسر لم أتذكر ما أصابني المرة السابقة. لكن النوبة ما لبثت ان اعترتني فجأة. فوهنت قواي ورحت الهث وقد ضاق نفسي وشعرت هَلِعاً باشرافي على العمى. نجحت في اجتياز النصف الثاني من الجسر لكني بقيت أرتعش كورقة خريف.

وبدت ابنتي كأنها لم تلاحظ ما اصابني أوصلتها الى المدرسة وودعتها ثم عدت.

لم يكن وارداً أن اعبر جسر جورج واشنطن ثانية، فقررت ان اتوجه شمالا الى نياك وأعبر جسر تابانزي الذي تصورته أكثر تدرجاً وأماناً. ولما دنوت من الجسر عاودتني الأعراض كلها. فضاق نفسي من جديد وأصابتني رعشة أفلتتت زمام السيارة من يدي. فوجهتها الى جانب الطريق وأوقفتها. وتذكرت اخي في المصعد ورأيت وجهه الشاحب والعرق المتصبب من جبينه. وتذكرت امي بثوبها الاحمر وهي تؤدي حركات الرقص الانيقة. وخلت اننا ابطال مسرحية مأسوية ألقيت على عاتقنا اعباء مستحيلة وأبعدتنا بليتنا عن سائر البشر. لقد ولّت حياتي الى غير رجعة وولى معها كل ما كنت احب. الشجاعة المستمدة من زرقة السماء والتلهف والتشبث الطبيعي بأمور الحياة. سينتهي بي المطاف ولا شك الى مستشفى الأمراض العقلية وأنا أصرخ بأن جسور العالم كلها مشرفة على الانهيار.

فجأة فتحت فتاة باب السيارة وصعدت اليها. قالت لي: "لم أصدق ان احداً سيقلّني." كانت تحمل علبة كرتون وقيثارة صغيرة ملفوفة بمعطف عتيق. وكان شعرها الكستنائي ينسدل على كتفيها. وبدا وجهها ممتلئاً وسعيداً.

سألتها: "أتوقفين السيارات لتسافري مجاناً؟"

– نعم.

"ولكن أليس في ذلك خطراً على فتاة في سنك؟"

– لا، أبداً.

"أتسافرين كثيراً؟"

– أسافر دائماً. فانا أغني وأعزف على قيثارتي في المطاعم لأكسب المال.

"ماذا تغنين؟"

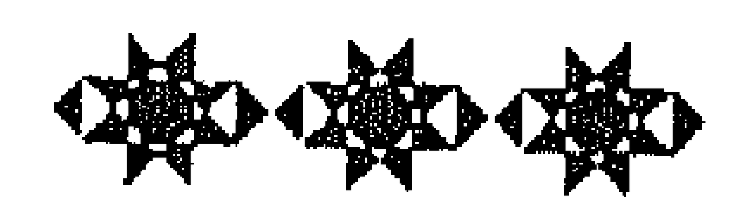
– معظم أغنياتي من النوع الشعبي. كما انني اردد بعض اغنيات قديمة.

وراحت تغني لي وأنا اعبر الجسر فبدا لي عظيماً ومتيناً صممه رجال أذكياء ليسهلوا سفري. أما مياه نهر هدسون تحتنا فكانت هادئة ساكنة. وعادت الي الشجاعة وروح التلهف والهدوء المبتهج.

انتهت أغنية الفتاة عندما وصلنا الى الضفة الشرقية. فشكرتني وودعتني ونزلت من السيارة. عرضت ان أوصلها الى حيث تشاء لكنها رفضت وابتعدت. أما أنا فعدت الى المدينة وقد رمم عالمي فغدا في منتهى العدل والروعة. وعندما بلغت المنزل فكرت في أن أتصل بأخي لأخبره بما حدث وبي امل وطيد ان تكون للمصاعد ايضاً حوريتها. لكني عدلت عن هذه الفكرة لانها كانت ستجعلني أبدو مضحكاً او مجنوناً.

أتمنى لو أصادف دائماً تدخلا رحيماً يساعدني في حل أسباب قلقي. لكني لا أؤمن بحسن الطالع، لذا سأتجنب جسر جورج واشنطن مع اني بت استطيع عبور جسري تريبورو وتابانزي بارتياح. وما زال أخي يخشى المصاعد وما زالت امي ترقص على الجليد.

جون تشيفر



مدير بدين

أراد زوجي ان يشتري بذلة جديدة، فطلب مني أن ارافقه الى السوق. دخلنا عدة محلات فواجهتنا المشكلة ذاتها، اذ كانت السترات تناسب زوجي لكن السراويل كانت ضيقة. وفي نهاية المطاف دخلنا محلا فأتانا بائع شاب نشط بعدة نماذج، لكن المشكلة نفسها برزت. فقال البائع: "لديّ الحلّ. ستجد يا سيدي ما يلائمك بين البذلات التي خيطت خصوصاً لمديري المكاتب. لم يتبقّ لدينا اي منها، لكني سأتصل بفرعنا الثاني لأرى ان كانت لديه واحدة."

ودخل زوجي حجرة القياس ليبدّل ملابسه. أما أنا فجلست بعيداً عن مرأى البائع ولكن قريباً من الهاتف. فسمعته يقول: "مرحباً، هل تبقّت لديكم بذلة لرجل بدين؟"

د.ل.

سائحان في أوستراليا

زوجي لا يحب قيادة السيارة الا في الريف. وقد ابدى امتعاضاً شديداً وهو يقود سيارة في ضواحي مدينة سيدني الاوسترالية لكثرة ما صادف من اشارات ضوئية ومشاة. وبعد منعطف جبلي طويل طالعتنا سلسلة هضاب تكسوها الغابات. وبدت مهجورة. فصاح زوجي فرحاً: "أنظري. ها هي الحضارة أخيراً!"

ر.هـ.

لا تستسلموا للانفعال والمرض



١- المقاومة الشافية

تثبت الابحاث الجديدة أن المناضلين الذين يرفضون الاستسلام للمرض المنهك يتمتعون بحظ أكبر في الشفاء

عندما كان ميهاي ديمانسيسكو طبيباً متمرناً في مستشفى كونيتيكت، رافق رئيس قسم جراحة الاعصاب ذات يوم في جولة على المرضى. فوصلا الى مريضة في الرابعة والعشرين من عمرها ما زالت في غيبوبة منذ ثلاثة أشهر. قال رئيس القسم: "لا تضيعوا الوقت معها. فهي لن تصحو أبداً."

بعد أسابيع قليلة استعادت المرأة وعيها. وحين سألها ديمانسيسكو هل تذكر أي شيء حدث أثناء غيبوبتها أجابت: "أذكر ذاك الطبيب يقول انني لن أشفى ابداً. وقد قررت أن أبرهن العكس."

يعلق ديمانسيسكو الذي يعمل حالياً في مستشفى ناسو الجنوبية بولاية نيويورك: "صممت المرأة على الكفاح من أجل الحياة ونجحت. وانا صادفت حالات عدة مماثلة."

باحثو السرطان في مستشفى جامعة كينغ بلندن متفقون في الرأي. انهم أجروا أبحاثاً دقيقة على ٥٧ إصابة بسرطان الثدي أخضعت لجراحات استئصال. فنقلوا الى الصحيفة الطبية البريطانية "لانسيت" أن سبعاً من عشر نساء يتمتعن بروح المقاومة تمكنّ من العيش عشر سنوات اضافية. لكن أربع

Illustrations: Dennis Magdich

نساء من كل خمس فقدن الامل حين عرفن بدائهن، فارقن الحياة. كذلك توفيت ٢٤ مصابة من اصل ٣٢ استسلمن للمرض.

الكافور والمناعة – تتكاثر البراهين لدعم معلومات هؤلاء الاطباء وغيرهم. فالمرضى المكافحون ينالون فرصاً للشفاء أفضل من الذين يستسلمون لمرضهم. والواقع ان فرعاً جديداً في حقل الطب يدعى "علم المناعة النفسية العصبية"(١) يهتم بتأثير المواقف العقلية في مقاومة الجسد للأمراض ويحدد الروابط بين العقل والدماغ وجهاز المناعة في الجسم.

لمَ ينجح المكافحون؟

أحد الاسباب اهتمامهم بأنفسهم. ويذكر جراح القلب الدكتور واين ايسوم من المركز الطبي في مستشفى كورنيل بنيويورك: "المريض المدافع يمارس المشي الصباحي على رغم جروحه المؤلمة، بينما المريض المستسلم يستلقي طوال النهار ويتعرض لالتهابات رئوية."

لكن السبب الرئيسي وظائفي(٢). فالباحثون في علم المناعة النفسية العصبية يثبتون أن الاحاسيس والمواقف العقلية والمكافحة تؤثر في جهاز المناعة.

نشر الطبيب النفساني جورج سلمون والعالم النفساني رودولف موس أولى الحقائق المتقدمة عن مفهوم هذه المناعة وذلك اثناء عملهما في كلية الطب بجامعة ستانفورد في كاليفورنيا عام ١٩٦٤. درسا سجلات ٥٠٠٠ مصاب بالتهاب المفاصل الرثياني واستنتجا ان وضعهم العاطفي يؤثر في وضعهم الجسدي.

وركزت سلسلة حديثة من التجارب المخبرية على الارتباط الوثيق بين الدماغ وجهاز المناعة، وأكثر هذه الاختبارات اقناعاً نفذها البروفسور نوفيرا سبكتور من معاهد الصحة الوطنية في الولايات المتحدة وباحثون من كلية الطب في جامعة آلاباما. لقد علموا الفئران تقوية دوافع مناعتها. وفي العام ١٩٨٤ حقن الفريق الفئران دواء يزيد نشاط الخلايا القاتلة الطبيعية في الجسم. وهذه الخلايا تؤلف جهاز المناعة الذي يدمر الخلايا السرطانية والسموم وكل عنصر غريب في الجسم. وفي اللحظة ذاتها عرض الباحثون الفئران لرائحة الكافور.

في وقت لاحق تنشقت الفئران رائحة الكافور لوحده من دون حقنها الدواء، فلوحظ ارتفاع ملحوظ في نشاط الخلايا القاتلة الطبيعية. لقد تعودت الفئران تقوية دوافع مناعتها حينما تشتم رائحة الكافور.

الايجابية الشافية – كيف يوجه الدماغ جهاز المناعة؟

كشف البروفسور آلان غولدستاين والدكتور نيكولاس هول من كلية الطب في جامعة جورج واشنطن خفايا هذه المسألة، واكتشفا أن الدماغ وجهاز المناعة يتصلان بواسطة مجموعة مختصة من الهرمونات تدعى "ثايموسين" وعناصر أخرى في الدم.

---

(١) Psychoneuroimmunology

(٢) Physiological

تأكد لعدد من الباحثين ان لبعض المشاعر تأثيراً واضحاً في جهاز المناعة. فقد ربطت عالمة النفس مارغريت كيمني من جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلس بين الاصابة بالحَلاء (العقبولة) التناسلي والشعور بالهبوط النفسي. وتحقق فريق مؤلف من زوجين في جامعة أوهايو بكولومبوس من الأذى الشديد اللاحق بجهاز المناعة نتيجة الاجهاد العقلي. فقد عمدت العالمة النفسانية الدكتورة جانيس كيكولت غلاسر وزوجها عالم الفيروسات رونالد غلاسر، الى فحص دم أربعين طالب طب خلال مراحل مختلفة من السنة الدراسية وأثناء أسبوع الامتحانات، ووجدا أن الاجهاد أحل الفوضى في جهاز المناعة ونشاط الخلايا الطبيعية القاتلة وقدرتها على صنع الانترفيرون، وهو بروتيين طبيعي يمنع الاصابات الفيروسية، خصوصاً في فترة الامتحانات، مما زاد اصابات الانفلونزا والزكام لدى الطلاب.

وتزداد الادلة وضوحاً، اذ أتم الاطباء من مركز هاربرفيو الطبي في سياتل بولاية واشنطن أبحاثاً دامت سنتين على ٢٠٠ إصابة بحروق، وأظهرت ان المواقف الايجابية لبعض المرضى عجلت شفاءهم. كما قارنت عالمة النفس ليديا تيموشوك من جامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو اوضاع ١١٧ مريضاً بعد فترة وجيزة من اعلامهم عن اصابتهم بالورم القتامي الخبيث. وبعد ثمانية وعشرين شهراً توفي عشرون منهم، فقابلت العالمة هذه المجموعة مع عشرين من الباقين احياء. وعلى رغم ان مؤشرات المرض كانت مماثلة للمجموعتين فقد وجدت ان الذين ماتوا اظهروا أسى واكتئاباً وقلقاً.

تسلحوا بالايمان - من جهة اخرى، تبقى المراجع الطبية مرتابة في ادعاءات علم المناعة النفسية العصبية. أستاذ الطب باري كاسيليث من مركز الابحاث السرطانية بجامعة بنسلفانيا في فيلادلفيا درس المواقف العقلية لـ٢٠٤ مصابين بسرطان استعصى على الجراحة و١٥٥ مصاباً بالورم القتامي او سرطان الثدي. وأشارت البيانات الى ان ذوي المواقف الايجابية لم يصمدوا اكثر من المرضى المستسلمين.

أيدت صحيفة "نيو انغلند" الطبية نتائج أبحاث كاسيليث. وفي مقال افتتاحي صرحت الدكتورة مارشا انجل: "حان الوقت لنعي أن ايماننا بالمرض كانعكاس مباشر للوَضع العقلي هو تقليد قديم." لكن النقاد اشاروا الى أن ابحاث كاسيليث خاطئة إذ أجريت على مرضى في المراحل الاخيرة من السرطان المستعصي.

لكن الدكتور اسحق دجيراسي رئيس قسم الاورام في المركز الكاثوليكي الطبي في فيلادلفيا يؤمن بامكان شفاء المصابين المكافحين، ويقول: "لدينا البراهين المقنعة على ان الموقف العقلي الصحيح يجعل عمل جهاز المناعة اكثر فاعلية."

كيف تحصل على روح المقاومة لمواجهة المرض؟ وكيف تحافظ عليها؟ ينصحك الخبراء بما يأتي:

١. لا تهلع عند تشخيص المرض. تذكر

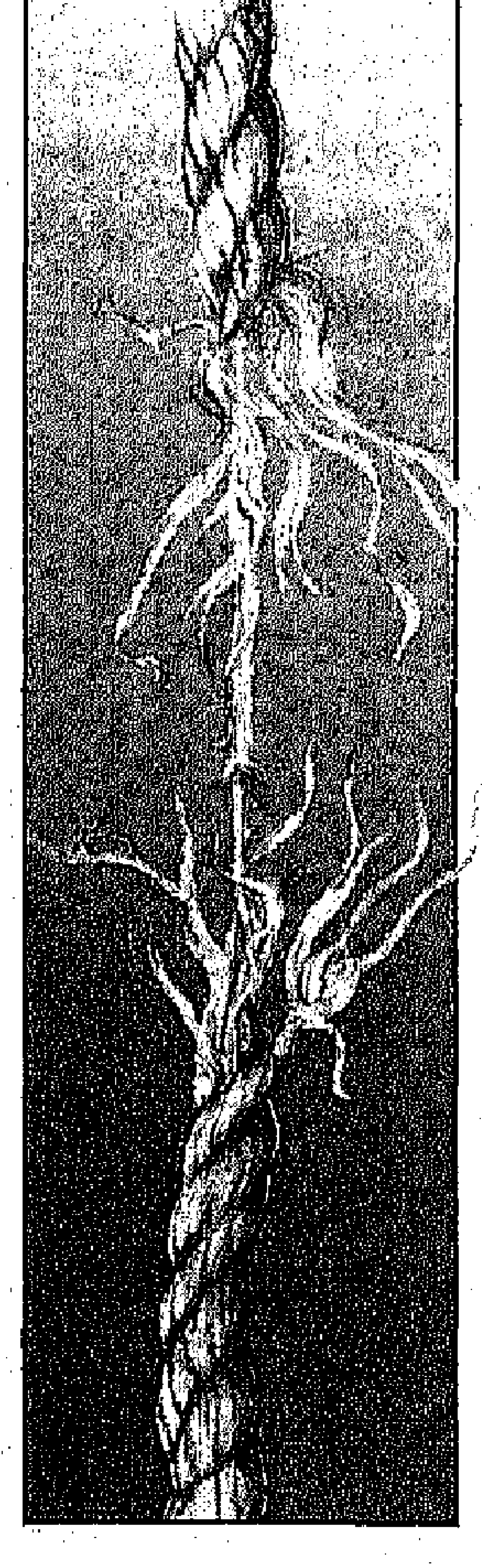
ان كثيرين صارعوا المرض وانتصروا.

٢. اختر طبيباً مكافحاً، خصوصاً في الحالات السرطانية. يقول دجيراسي: "إن كان طبيبك انهزامياً فابحث عن طبيب آخر مستعد لمشاركتك في النضال."

٣. لا تقلق إن خفت أحياناً، فهذا طبيعي جداً. ولكن لا تجعل المخاوف تسيطر عليك بل حاول مقاومتها.

٤. تسلح بالايمان. يقول دجيراسي: "لقد عالجت أكثر من عشرة آلاف مصاب بالسرطان خلال السنوات الثلاث والثلاثين الاخيرة، وكان المؤمنون أفضل المكافحين."

دونالد روبنسون ■



٢- حَذار المشَاحنات اليَوميَّة

يؤكد الخبراء ان الانفعالات اليومية البسيطة تؤدي الى مشاكل صحية. اليك الوسيلة للتغلب عليها

موت الزوج ١٠٠ علامة. الطلاق ٧٣ علامة. الطرد من العمل ٧٤ علامة...

يتكهن جدول "هولمز" (٣) الشائع اليوم بنسبة المرض الناتج من الاجهاد. إن كان مجموع علاماتك ٣٠٠ عن جميع الانقلابات المفاجئة في حياتك خلال سنة فاعلم انك ستمرض. فبيانات جدول هولمز تظهر الارتباط بين التغييرات الجذرية في الحياة وما قد ينتج منها.

معظم الباحثين اليوم مقتنعون بأن المتاعب الاساسية تفرض ضريبة على صحتك. لكن الدراسات الاخيرة تشير الى أن المشاحنات اليومية تسير بالانسان الى المرض والهلاك كما لو كان غارقاً في المآسي المفجعة. من هذه الازعاجات المتكررة رنين الهاتف المتواصل أثناء انهماكك في انهاء أحد التقارير، وتأنيبك لذنب لم تقترفه، و"انكشاف" حسابك في المصرف. ويقول العالم النفساني ريتشارد لازاروس من جامعة كاليفورنيا في بركلي: "إن هذه المشاكل تبرز على حساب سلامتك العقلية والجسدية.

(٣) Holmes Stress scale

ما توصل اليه لازاروس مستنداً الى أبحاث في حياة كثير من النساء والرجال يؤكد أن التغييرات الجذرية، كالطلاق والموت، تسبب ضغوطاً نفسية كبيرة. ويوضح ان "التغييرات الخطيرة التي تنجم عن أحداث مهمة في حياتنا اليومية تؤثر في صحتنا. فالطلاق مثلا يعادل ألف مشاجرة عادية."

يوافق عدد من الباحثين على استنتاجات لازاروس. لويس فربورغ عالم الاجتماع بجامعة ميشيغان تابع حياة ٥٨٩ رجلا وامرأة ووجد ان الإثارات اليومية تحدث اضطرابات نفسية تسبب بدورها مشاكل جسدية. ويقول العالم النفسي تشارلز سبيلبرغر من جامعة جنوب فلوريدا: "أفادت أبحاث أجريت على ٢١٠ ضباط شرطة في فلوريدا ان اسباب الاجهاد لا تعود الى التحقيقات المثيرة مع المعتقلين بل الى تكدس الازعاجات اليومية كالتقارير والمراجعات الخطية."

لقد تأكد للعالم النفسي آرثر ستون من كلية الطب بجامعة نيويورك ان الضغوط الثانوية اليومية ازدادت قبل مدة راوحت بين ثلاثة ايام وخمسة من ظهور اعراض المرض في الجهاز التنفسي العلوي لدى مجموعة من الازواج في لونغ آيلند. وفي بحث سابق تناول الاختبارات اليومية لخمسين زوجاً، وجد ستون ان الازعاجات الخمسة الاكثر انتشاراً هي الخلافات مع الزوج ومتاعب الاولاد والزملاء والمشاكل الشخصية وضغوط العمل. واكتشف أن نسبة الامراض تزيد بسبب الازعاجات اليومية الثانوية اكثر من الاحداث الرئيسية في السنة الماضية.

لكن هذه الازعاجات هي واحد من العوامل التي تدفع الى الاجهاد. والمهم طريقة تجاوب الافراد معها. ويشير بول روش رئيس المؤسسة الامريكية للاجهاد النفسي الى ان "ما يرهق البعض قد يبدو عائقاً بسيطاً للبعض الآخر." قد يغتاظ احدهم مثلا، ان فاته القطار، بينما يمكث آخر بهدوء مكملا قراءة رواية او كتابة تقرير.

أما المآسي، كموت الزوج، فتفوق القدرة على الاحتمال. ولكن لا يجوز للمرء ان يقف مكتوفاً في وجه المشاكل، بل عليه العمل على خفض ضغطها ومقاومة المرض.

ست نصائح – راقب العالمان النفسانيان سوزان أوليت كوباسا وسالفاتور مادي من جامعة شيكاغو في ايلينوي مئات من رجال الاعمال، ولاحظا ميزات مشتركة بين الذين يقاومون الكثير من الاجهاد اليومي من دون الاصابة بالمرض، فهم يشعرون بالسيطرة التامة على حياتهم ويتحدون الاحداث غير المتوقعة ويلتزمون أعمالهم. كذلك فانهم يواجهون المشاكل بجرأة ويحاولون حلها.

علّم كوباسا ومادي هذه الاساليب اناساً تحت وطأة الاجهاد، فأظهروا تحسناً صحياً ونفسياً ملحوظاً.

يمكنك انت ايضاً مقاومة الانفعال والاجهاد. واليك ست خطوات تساعدك على مواجهة مشاكل الحياة اليومية:

١. احتفظ بسجل يومي عما يغيظك. ماذا يثيرك؟ كيف تتفاعل مع هذه الاثارات؟ أتغضب حين تفقد السيطرة

على وضع معين؟ أترهق نفسك بعمل ما لأنك لا تستطيع رفضه؟

٢. أصغ الى ذاتك. فجأة يتجاوز سائق مسرع فتصرخ: "يا ابن الـ... ." إن رد فعلك هذا يرفع ضغط الدم. بدلا من ذلك حاول أن تقول: "شكراً لله، لم نصب بأذى." وعندما يواجهك عمل صعب قل: "استطيع القيام بذلك" عوض ان تقول: "يبدو العمل صعباً." فكلامك المهدئ لنفسك يغير أفكارك ويساعدك كي تسيطر على انفعالاتك.

٣. تصرف ان استطعت. لقد وجد ستون ومادي وكوباسا أن الوسيلة الشائعة بين الاشخاص المعافين لمواجهة الضغط النفسي هي التصرف المناسب. إن جافاك أحد الاصدقاء فمن الأصح ان تسأل: "هل من مشكلة؟" انها محاولة لحل الوضع. أما اللجوء الى التذمر او الكحول فقد يشعرك بالتحسن موقتاً لكنه يبقي الضغوط النفسية على حالها.

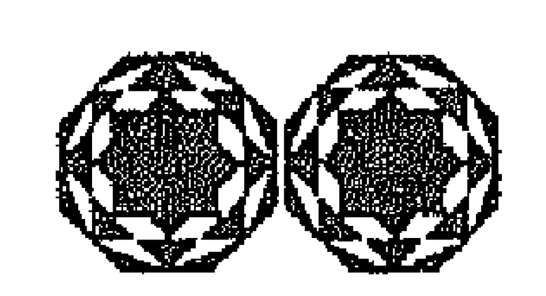
٤. إقبل بالواقع اذا تجاوز محدودياتك. فإن كنت تنتظر نتائج الامتحانات، حاول ان تكون متفائلا أو تتلهى قليلا.

٥. أثبت على نظام حياتي معين. حين راقبت الباحثة كاثرين شيفر من جامعة تكسن في أريزونا اطفالا من ١٨٩ عائلة، وجدت ان الذين اتبعوا نظاماً يومياً، كأوقات الطعام والنوم، قلّت مشاجراتهم وانخفضت نسبة اصاباتهم بذات الرئة والالتهاب الشعبي.

٦. كن ثاقب الفكر، خصوصاً في "الايام المنحوسة" حين يهرب الكلب او تتأخر الحافلة او تمطر فجأة او يغضب رئيسك. اعتمد حدة الذهن وروح النكتة في مواقف كهذه.

تذكر: لا يمكنك تجنب الازعاجات، فمحاولة ذلك تجعلك في ورطة أكبر. ولكن حاول ابتكار أساليب مناسبة لمواجهتها فتثبت أنك سليم العقل والصحة.

نورما بيترسن



كُتُب المضرب

كرة المضرب هي رياضة عائلتنا. وخلال اجازته من الجامعة لعب ابننا الاصغر مع والده وأخيه، فجاء أداؤه سيئاً خلافاً لما كان وهو في المدرسة الثانوية. وبعد انتهاء اللعب أخذ يلوم نفسه مردداً: "هذه نتيجة عدم التمرين."

فقال له أخوه معزياً: "خفف من كدرك، والدك يعرف أنك الآن تضرب الكتب بدلا من الطابة."

البسمة الفاتنة أجمل زينة مكملة لثوب رائع.



مغامرة ملحمية فوق الجليد القطبي

بلغهما في مجاهل القطب الشمالي ان الحرب العالمية الثانية اندلعت، فانطلقا في مغامرة ملحمية وفي ظنهما أن الطريق الاطول ستكون الأسرع

لسنة ونصف سنة أكبّ المستكشف البريطاني تومماننغ (٢٩ عاماً) وزوجته الكندية جاك (٣٠ عاماً) على رسم خرائط للساحل الغربي المجهول في جزيرة بافن. وهما لفا جهاز الراديو لديهما ببطانية اتقاء للصقيع، ولم يستعملاه الا كمقياس للمسافات على الخرائط ادخاراً للبطاريات. ولذا حين جاءا بصحبة الكلاب الى المحطة التجارية في كيب دورسيت في ٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٠ لم يكونا يعرفان، شيئاً عن احداث العالم. وسألهما مدير شركة خليج هدسون: "هل سمعتما بالحرب؟"

— لا.

"لقد بدأت في سبتمبر (أيلول)."

كان توم وجاك تواقين الى اكمال

مشروع المسح الذي رعته الجمعية الملكية للجغرافيا والمتحف البريطاني. لكن أياً منهما لم يساوره ريب في الواجب الذي ينبغي ان يؤدياه الآن.

قال توم: "علينا ان نخرج ونقوم بما نستطيع." وهو قصد الخروج من الشمال. ووافقت جاك. لكن كيف؟

كانت كيب دورسيت عالقة في قبضة الشتاء، تعزلها عن الخارج مئات الكيلومترات من الجليد المتراص. لا مهبط للطائرات، والسفينة السنوية الوحيدة "ناسكوبي" المرتقب وصولها في اغسطس (آب) لا تستطيع انزال آلماننغ الى مونريال قبل اكتوبر (تشرين الاول).

قال توم مفكراً: "ثمة سبيل آخر. نبحر الى الشمال صعوداً في محاذاة الساحل كما كنا نعتزم. وننجز ما امكننا من مسح وخرائط، ثم نتابع عبر الطريق الطويلة الى الخارج. واذا ما سار كل شيء على ما يرام فسنقهر الجليد ونبلغ مونريال في الخريف."

اقتراح توم هائل. ففي مركبهما البالغ طوله عشرة أمتار والمفتوح باستثناء قمرة نوم صغيرة، سيتقفيان الشواطىء المثلجة في بحر فوكس الزاخر بالجزر والذي يقع شمال خليج هدسون وغرب جزيرة بافن.

سيشكل مسارهما ثلاثة أرباع دائرة عبر حدود بلاد وطأتها قلة من الرواد. وحالما يصلان الى الشاطىء الغربي لخليج هدسون سيكون رجاؤهما ان يصادفا أحد المراكب الشراعية التي تموّن البعثات والمحطات التجارية. ومن ثم يعبران الى تشرشل في مانيتوبا ويركبان القطار الى وينيبغ.

قدرت جاك في ذهنها المتاع المتوافر لديهما: خيمتهما الكبيرة بالية تماماً، غير ان في امكانهما ان يبيتا في المركب. الوقود غير كاف لكن للمركب شراعاً. زيت الفقمة المتوافر لهما والمستعمل في التدفئة والطهو يدوم حتى الخريف، والطحين حتى عيد الميلاد. قالت جاك: "وضعنا ليس سيئاً جداً، اظن ان علينا القيام بالرحلة."

زواج طريف – تومماننغ القوي البنية ذو اللحية الشقراء والعينين الزرقاوين هو احد الرحالة القطبيين الاشد بأساً والاكثر خبرة. هجر دراسته في علم الحيوان بجامعة كمبريدج قبل سبع سنوات، ورفض العمل في شركة تخمير تملكها أسرته. وانطلق الى القطب الشمالي.

وفي العام ١٩٣٥، وفيما هو عائد الى بريطانيا على متن إحدى البواخر العابرة للاطلسي لينظم بعثة الى بحر فوكس، لمح فتاة تدعى جاك مفعمة بالحياة سديدة الرأي من نوفاسكوشيا شرق كندا، درست الآداب الكلاسيكية وعلم الحياة في جامعة دالهاوسي. والتقيا في بريطانيا ثم في مونريال حين كان توم متجهاً شمالا بعدما اصبح قائداً للبعثة البريطانية – الكندية الى القطب والمؤلفة من ستة رجال. وبعد سنة تفرق شمل البعثة واستقل كل فرد بمشروع خاص. ولما كان البريد يصل مرة في السنة فلم تتلق جاك اخباراً كثيرة من توم. وفي العام ١٩٣٨ وردت عليها برقية.

كتب توم نص البرقية في مخيم أمضى فيه الشتاء بمفرده، وحملتها مزلجة كلاب الى محطة ابراق: "يسرني ان تنضمي إلي في كيب دورسيت هذا الصيف لمدة سنتين. فكري ملياً. الحمقى وحدهم يتسرعون. الثياب الاضافية وسواها غير ضرورية. سجلي المصاريف على حسابي في شركة خليج هدسون. لن استطيع تلقي الجواب. تومماننغ."

لم تكن جاك في حياتها نامت في خيمة او أبحرت في مركب مفتوح. غير انها لم تتردد. فالرسالة الهبت احساسها بالمغامرة. وهي عرفت ان توم ماننغ رجل الكلمات القليلة. وما كان يصبو اليه هو موعد مع عروس.

وصلت جاك الى كيب دورسيت على متن "ناسكوبي" في يوليو (تموز) ١٩٣٨. وفي اليوم التالي تزوجت توم. كان بيت العروسين مركب توم "بولكات." واستعملت فيه الرفوف سريراً وجلود الايائل اغطية. وبعد ستة ايام أبحر الزوجان صوب ارض مجهولة.

وتولى توم صيد الحيوانات والاسماك فيما تدربت جاك على تحضير كعك هش من الطحين والماء. واكتشفت طريقة ناجعة هي ابقاء اعواد الثقاب جافة في شعرها، واكرهت نفسها على الاستيقاظ في خيمة مثقلة ببلورات الجليد.

واذ بقيت وحيدة لايام فيما توم يجول بحثاً عن الطعام، فقد مرت بلحظات عصيبة. وجاء في مذكراتها: "استيقظت هذا الصباح بشعور قابض للصدر، لذا نزلت قبل الفطور وشكوت همي الى صخرة." وخلال شتاءين وصيف كانت الصعوبات متنوعة. وسجلت جاك في المفكرة: "لا مكان هنا له سقف يظلله. لا مأوى في الليل ان لم نرتبه بأيدينا. لا طعام ولا دفء ما لم نوفره بجهودنا المتواصلة. لا راحة من الكفاح لابقاء الترابط بين جسدينا وروحينا."

اما الآن وقد جاءهما خبر الحرب فقد كان هدف آل ماننغ ان ينجزا ما امكن من مسح جغرافي خلال الوقت المتاح لهما ويخرجا قبل فصل التجمد. كان عليهما اولا ان يرحلا في مزلجة الكلاب الى بانيرتونغ على الساحل الشرقي لجزيرة بافن للتموّن. وذهبا بعد ذلك الى المخيم الشتوي في خليج تافرنر حيث قطنا بيتاً ثلجياً. كان البرد قارساً. واشتد الالم في اصابع قدمي جاك التي قرصها الجليد في الربيع الماضي. وتورمت قدماها وتقرحتا، ولم تكن تشعر بالدفء الا داخل كيس النوم.

بداية بائسة – عزم آل ماننغ في الصيف الاخير الذي يمضيانه في المنطقة ان يستكشفا الساحل جنوب خليج تافرنر. وختاماً في ٦ يوليو (تموز) باشرا رحلتهما للخروج من القطب. سيمضيان وقتاً طويلا يتجهان نحو الشمال. والمرحلة الاولى هي العودة الى خليج تافرنر حيث ترك المركب "بولكات." لكن الرياح الشمالية الغربية العاصفة رصّت اطواف الجليد على الشاطىء، فغدا التطواف متعذراً الا في ذروة المد حيث يتوافر ماء كاف يتيح لتوم ان يوجه المركب المحمل اثقالا. ورافقته جاك براً مع الكلاب التي أدمى وجوهها لسع البعوض.

وصلا الى مخيمهما بعد ثلاثة اسابيع من الاهوال. وفي ٤ أغسطس (آب) انزلا المركب الى الماء وأبحرا بضع مئات من الامتار قبل ان يتوقفا ليصلحا الدفة المعوجة.

بعد هذه البداية البائسة خابت كل الآمال برحلة يسيرة تحت خفق الشراع، اذ تراكم الثلج على الساحل واستهلك الوقود العزيز المنال خلال الساعات الطوال من الدوران بين اطواف الجليد. ومرة تلو اخرى أفلتا بجهد من الانسحاق. كان ينبغي دفع الاطواف جانباً، او ان يخرجا الى حيث الجليد ويجذبا المركب بقوة وحشية. وكانا اذ يعوقهما الثلج او الجزر او الطقس ينامان وهما يضبطان الساعة المنبهة ليتأكدا من الاستيقاظ. كان مقصدهما اغلوليك في جزيرة قبالة الساحل الشمالي الشرقي لشبه جزيرة ملفيل حيث من المقرر وصول سفينة شراعية في أواخر أغسطس (آب).

شمال غرب بحر فوكس كانا اجتازا الف كيلومتر وقد أتما مهمة المسح. واصبحا على أهبة التوجه جنوباً. ولكن كان عليهما ان يندفعا بسرعة عبر مضيق فيوري وهكلا ليبلغا شبه جزيرة ملفيل. وترنح المركب بشدة وأخذ الرذاذ يتطاير اثناء اجتياز القناة البالغ طولها ٦٥ كيلومتراً في نحو ثماني ساعات. وأوصلهما السحب والجنب نزولا على الساحل الى اغلوليك في ٤ سبتمبر (ايلول) حيث علما ان السفينة الشراعية ستصل في اليوم التالي.

ولكن تبين ان "بولكات" عريض جداً فلا يمكن تحميله على متن السفينة. ولم يشأ توم ان يترك مركبه. وكان واثقاً من انه سيصل الى تشرشل قبل الجليد.

ارتفاع المعنويات – في الثامن من سبتمبر (ايلول) انطلق الزوجان في "بولكات" قاصدين تشرشل التي تبعد ١٦٠٠ كيلومتر. وعلى الفور تساقط الثلج عليهما. وفيما اتجه "بولكات" جنوباً صوب الدائرة القطبية انقلب الطقس بارداً ضبابياً ماطراً. ولمدة يومين شق توم وجاك طريقهما فيما هبت الانواء فوق رأسيهما.

النهارات تقصر بسرعة مروعة. مراسي الليل تتجمد عند مجيء الصبح. وتطلب الامر احياناً اربع ساعات من التدفئة والتلقيم والادارة قبل ان يهدر المحرك معاوداً عمله.

في ٨ اكتوبر (تشرين الاول) افاقا ليجدا المركب متجمداً والثلج يسد مسرب المحرك. وباستعمال زورق صغير لديهما تمكنا من جرف الثلج بعيداً وشقا سبيلهما الى المياه المفتوحة. لن يصلا الى تشرشل قبل العاصفة الثلجية.

تهيأ توم للابحار في اتجاه ثكنة مهجورة في كيب فولرتون حيث توقع ان يجد المأوى والوقود. كان البناء قذراً والنوافذ محطمة والابواب تترجح على مفاصل ذات صريف. ونظفت جاك جانباً منه بفرشاة شعر قديمة. وعثر توم على فراش ثبته على اربع صفائح للوقود.

في ٣١ ديسمبر (كانون الاول) قدّر توم ان الثلج في خليج هدسون صلب على نحو كاف للرحيل. وودع الزوجان الحزينان مركبهما وحملا المزلجة وشدا عدتهما الى

الكلاب وانطلقا في سباق أخير مسافة ٧٥٠ كيلومتراً نحو تشرشل. ويوم عيد الميلاد احتجزتهما العاصفة في بيت ثلجي يرشح سقفه، وأمضيا الوقت وهما يحلمان بمآكل شهية.

في اليوم التالي، في خليج تشسترفيلد، بلغهما ان القطار سيغادر تشرشل في ٢١ يناير (كانون الثاني). واذ بقي أمامهما ٦٥٠ كيلومتراً وما يربو على ثلاثة اسابيع لاجتيازها فقد سمحا للكلاب بالاخلاد الى الراحة واطعماها ثم غادرا تشسترفيلد بمعنويات مرتفعة.

نفاد الطعام – انخفضت درجة الحرارة وهبت ريح هوجاء من الجنوب الغربي. وأهدرت ايام بسبب الطقس السيىء. وتدنت الحرارة الى ما دون ٤٥ درجة مئوية تحت الصفر وتغلغلت الريح الى كل منفذ في ثيابهما الكثيفة.

وبعد الرحلة القاسية في كل يوم، ثمة ثلاث ساعات من العمل الشاق قبل ان ينعما بالراحة. اذ ينبغي بناء بيت ثلجي واطعام الكلاب وتحضير العشاء. ثم كانا يدبان نحو حقيبة النوم التي تعرضت طوال اليوم لحرارة ٤٠ درجة تحت الصفر.

أضحى الطعام غير كاف. ولمدة ثلاثة أيام اقتاتا بلحم الايل والبسكويت. ثم نفد هذان أيضاً ولم يبقَ لديهما سوى لحم مفروم مقدد وقليل من الرز. وغدت جاك منهكة على نحو باعث على اليأس.

وذات يوم أوقف توم الكلاب مشيراً نحو الافق: "أتدرين ما ذاك؟"

فاجابت جاك: "لكأنه كوخ."

وابتسم توم: "انها رافعة الحبوب في تشرشل."

التاريخ: ٢٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٤١. لقد ارتحلا مدة سنة و١٨ يوماً مجتازين نحواً من اربعة الاف كيلومتر على متن المركب والزورق ومزلجة الكلاب في احدى المناطق الاكثر وعورة في العالم. واخفقا في بلوغ مونريال قبل "ناسكوبي" وتخلّيا عن "بولكات." لكن توم وجاك أنجزا احدى الرحلات الملحمية في كندا القطبية. وفي اليوم التالي ركبا القطار الى وينبيغ والى الحرب.

التحق تومماننغ بالبحرية الملكية الكندية عاملا بادىء الامر كخبير رموز ثم في بعثات مسح في القطب. وساعد في انتقاء مواقع للمطارات الشمالية ومسحها، وأسدى العون في مسح المنطقة خلال الحرب وبعدها. ثم كرس حياته في القطب لمشاريع ابحاث في علم الحياة، كتقفي الدبب القطبية عاملا في المؤسسة الكندية للحياة البرية. والفت جاك كتاباً عن تجاربها.

وآل ماننغ يسكنان الآن في مدينة أوتاوا.

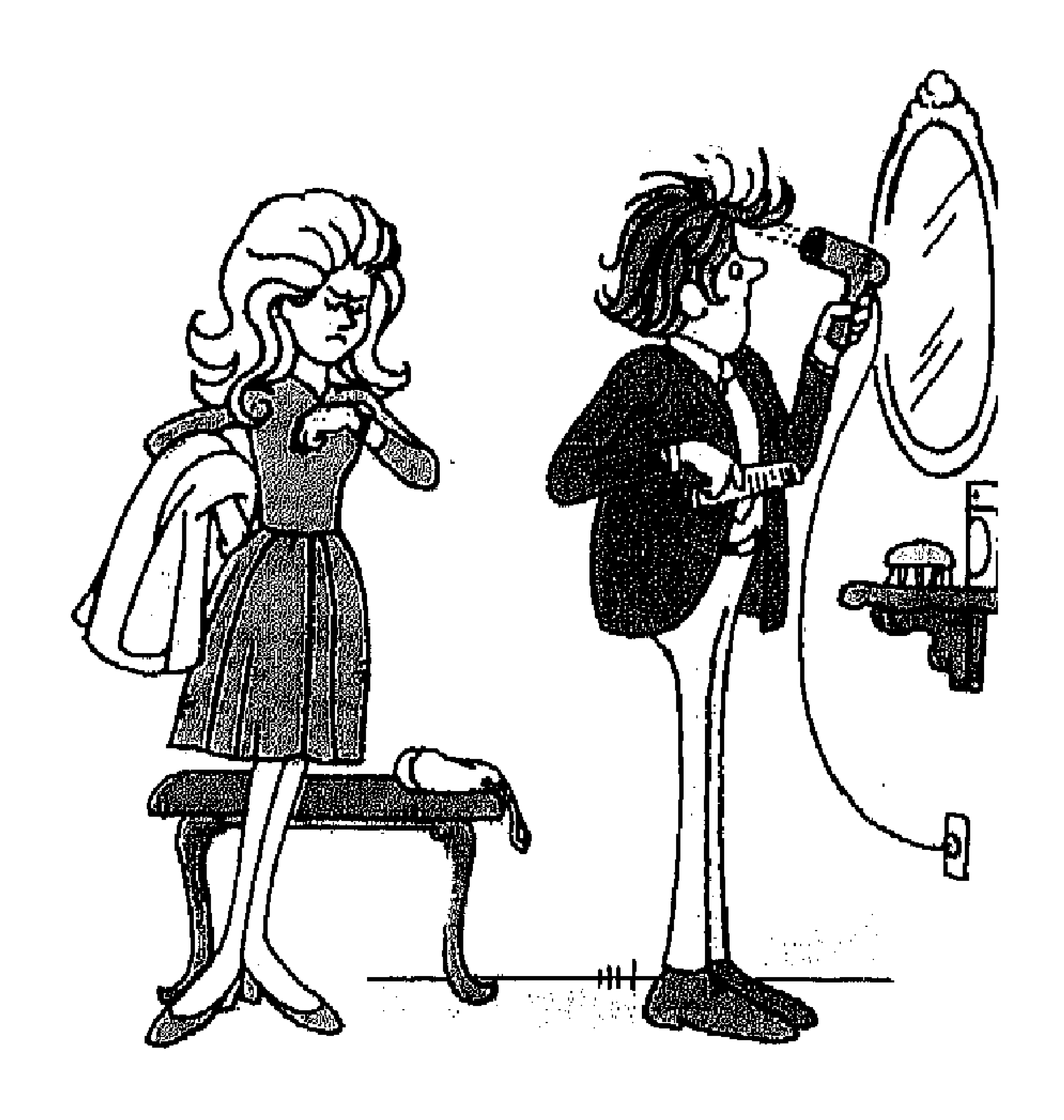
جون دايسون

❁❁❁

السعادة

السعادة كالقطة: ان حاولت ملاطفتها تحاشتك، وان تجاهلتها راحت تحتكّ بقدميك وتثب من تلقائها الى حضنك.

ز.د.



دائرة المعارف

تتضمن الدائرة في هذا العدد كلمات ترد غالباً في الصحف. وقد وضع أمام كل كلمة أربعة معان، واحد منها صحيح. وعلى القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **طغمة:** ظلم - جماعة - كلام مبهم - عتمة.

٢. **تخاذُل:** خيانة - كذب فاضح - ضعف - تجاهل.

٣. **أعرب.** أنكر - أدار ظهره - أشار - أبان.

٤. **جزافاً:** كيفما اتفق - نادراً - بصعوبة - بلا فائدة.

٥. **تريَّث:** أقام في المكان - أبطأ - كظم غضبه - تردد.

٦. **عزا:** اتهم - نقل خبراً - احتاج - نسب.

٧. **ناوأ:** عادل - أبعد - عادى وعارض - ساند.

٨. **ملاسنة:** مغالبة في الجدل - تزلف - ملاطفة - محاكمة.

٩. **اعتمل:** قرر - انفعل واضطرب - انتهى - عمل لجهة معينة.

١٠ - **جَبَه:** عالج - فاجأ - أقام جبهة - أرغم.

١١. **تطرَّق:** تحدث - دخل بلا إذن - نقض - ابتغى طريقاً.

١٢. **شراذم:** أراض صغيرة - جيوش - جماعات قليلة - آراء.

١٣. **ناهض:** قاوم - شجع - أبدى استياء - أعان.

١٤. **انحاز:** توسط - تأثر - انسحب - عدل أو مال.

١٥. **شجب:** اعتدى - حزن - استحسن - دان.

١٦. **اضطلع:** تعلم - نظر - نهض بحمله - تدخل.

١٧. **رضخ:** كمن - رفض كلياً - أذعن - أهان.

١٨. **مهضوم:** منقوص - مكتسَب - معتدل - حسن.

١٩. **قطيعة:** هدنة - أرض مقتطعة - مصالحة - هجران.

٢٠. **استرسل:** ناقش - اتسع - راسل - تكلم جهاراً.

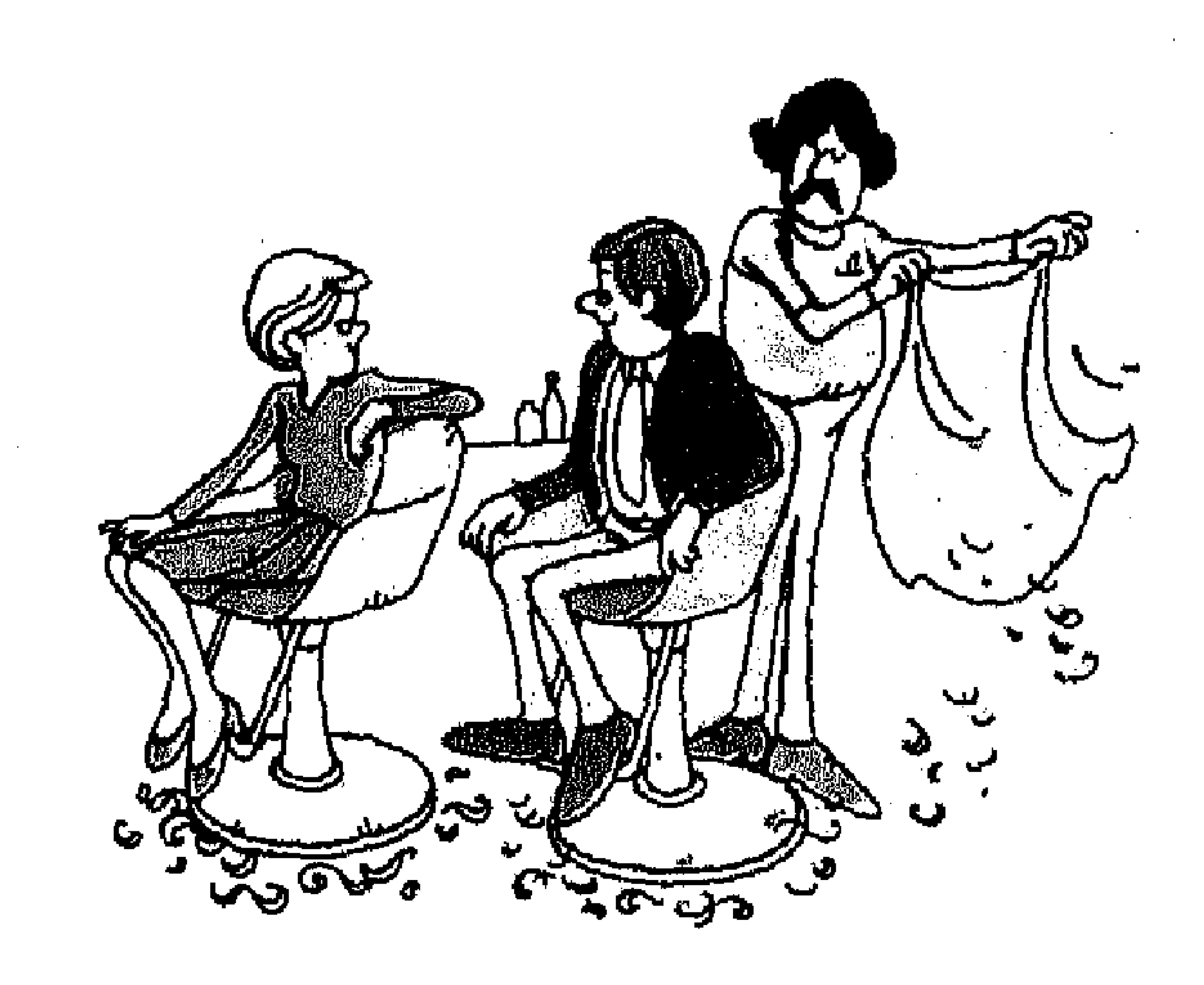
٢١. **تأويل:** تفسير وتقدير - تهديد - تكذيب - تغيير.

٢٢. **شبهة:** التباس - شبه غريب - ثقة - احتمال.

٢٣. **مناوشة:** محادثة - تقارب - منازلة - مداراة.

٢٤. **استشرى:** تسلل - استطلع الآراء - سال - تفاقم.

٢٥. **ترَّهات:** أحلام - أباطيل - مشاكل - أخطار.



الأجوبة الصحيحة

١. **الطُغمة:** الجماعة أمرُهم واحد. الطُغومة: الحمق والدناءة.
٢. **تخاذل القوم:** ضعفوا ولم ينصر بعضهم بعضاً.
٣. **أعرب عن حاجته:** أبان عنها. أعرب الرجلُ: تكلم بالفحش والقبيح.
٤. **جزافاً (بتثليث الجيم):** كيفما اتفق، أي من غير قانون أو تبصر.
٥. **تريَّث:** أبطأ. الرَيْث: مقدار المهلة من الزمن. يقال: وقف ريثما صلّينا، أي مقدار ما صلينا.
٦. **عزا الأمر الى فلان:** نسبه اليه.
٧. **ناوأه:** عاداه. أيضاً: فاخره وعارضه. ناء بالحمل: نهض به مثقلا.
٨. **الملاسنة والتلاسُن:** المغالبة في الجدل والكلام. اللَسَن: الفصاحة.
٩. **اعتمل:** انفعل، اضطرب في العمل.
١٠. **جبهَهُ:** فاجأه. أيضاً: تصدى له وضربه على جبهته. جبهَهُ بالمكروه: استقبله به.
١١. **تطرَّق الى الامر:** ابتغى اليه طريقاً.
١٢. **شرَّذ الجمع:** فرَّقه. الشرذِمة: الجماعة القليلة من الناس، جمعها شراذم وشراذيم. ثياب شراذم: ممزقة.
١٣. **ناهضه:** قاومه. استنهضه للامر: أمره بالنهوض له.
١٤. **انحاز عنه:** عدل. وإليه: مال. والقومُ: تركوا مراكزهم الى مركز آخر.
١٥. **شجب:** حزن. أيضاً: جذب وشغل وهلك. وهي تستعمل خطأ بمعنى دانَ.
١٦. **اضطلع بحمله:** نهض به وقوي عليه. تضلَّع من العلوم: نال منها حظاً وافراً.
١٧. **رضخ:** خضع وأذعن.
١٨. **هضم:** ظلم وغصب. هضمه حقَّه: نقصه. حقوق مهضومة: منقوصة.
١٩. **القطيعة:** الهجران وقطع العلاقات. الاقطع: المقطوع اليد، الاصمّ.
٢٠. **استرسل في الكلام:** اتَّسع وانبسط. والشَعْرُ: تدلّى.
٢١. **أوَّل الكلام:** فسَّره وقدَّره. وقيل التأويل هو بيان أحد محتملات اللفظ، والتفسير هو بيان مراد المتكلم.
٢٢. **الشبهة:** الالتباس، وما يلتبس فيه الحق بالباطل والحلال بالحرام. جمعها شُبَه وشُبُهات.
٢٣. **ناوشه مناوشة:** نازله. تناوشوا بالرماح: تطاعنوا.
٢٤. **استشرت الامور:** تفاقمت وعظمت.
٢٥. **التُرَّهات:** الاباطيل والدواهي. واحدتها ترَّهة.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز
١٤ - ٢٠: جيد جداً
٩ - ١٣: مقبول



Illustration: Ed Acuna

هنري فورد

صنع هنري فورد أنجح السيارات الاولى، وكان رائد
خط التجميع الحديث. وعُرف كمصمم ملهَم ومواطن أصيل
وبطل شعبي أنتج "سيارة الشعب" التي وضعت العالم كله على عجلات.
ولكن خلف هالة الاسطورة كمنت شخصية معقدة تصارع فيها
الرجل الحالِم النبيل مع الشرس العنيد الغريب الاطوار.
في هذا الكتاب الرائع حول سيرة هنري فورد،
يعرض روبرت لاسي الانجازات المذهلة والخيبات المحبطة
في حياته، وخصوصاً اخفاقه الذريع كأب.
ان حكاية هذا الرجل العظيم والشركة التي أسسها
والسلالة التي أرساها هي من أروع حكايات العصر

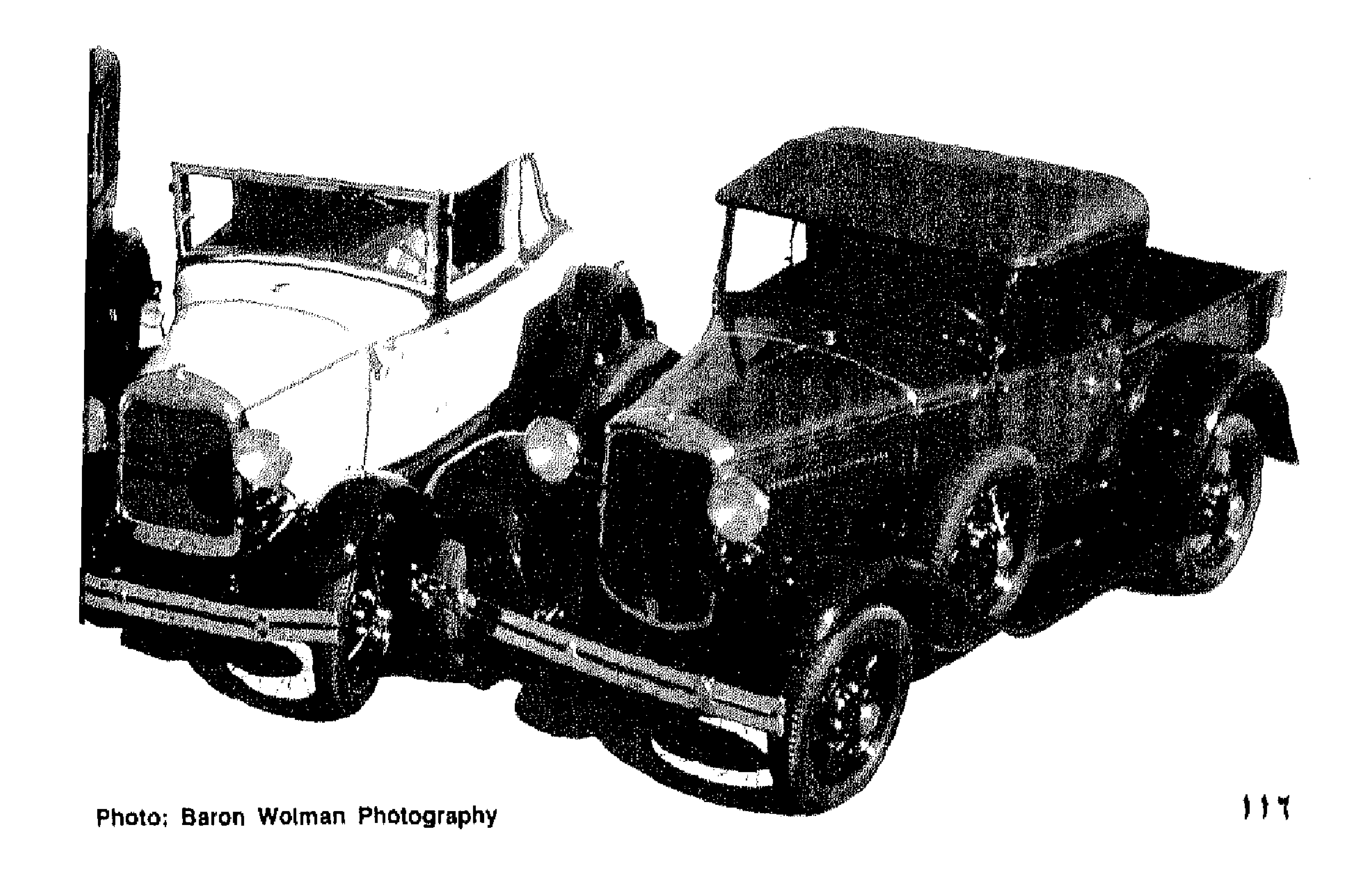


Photo: Baron Wolman Photography

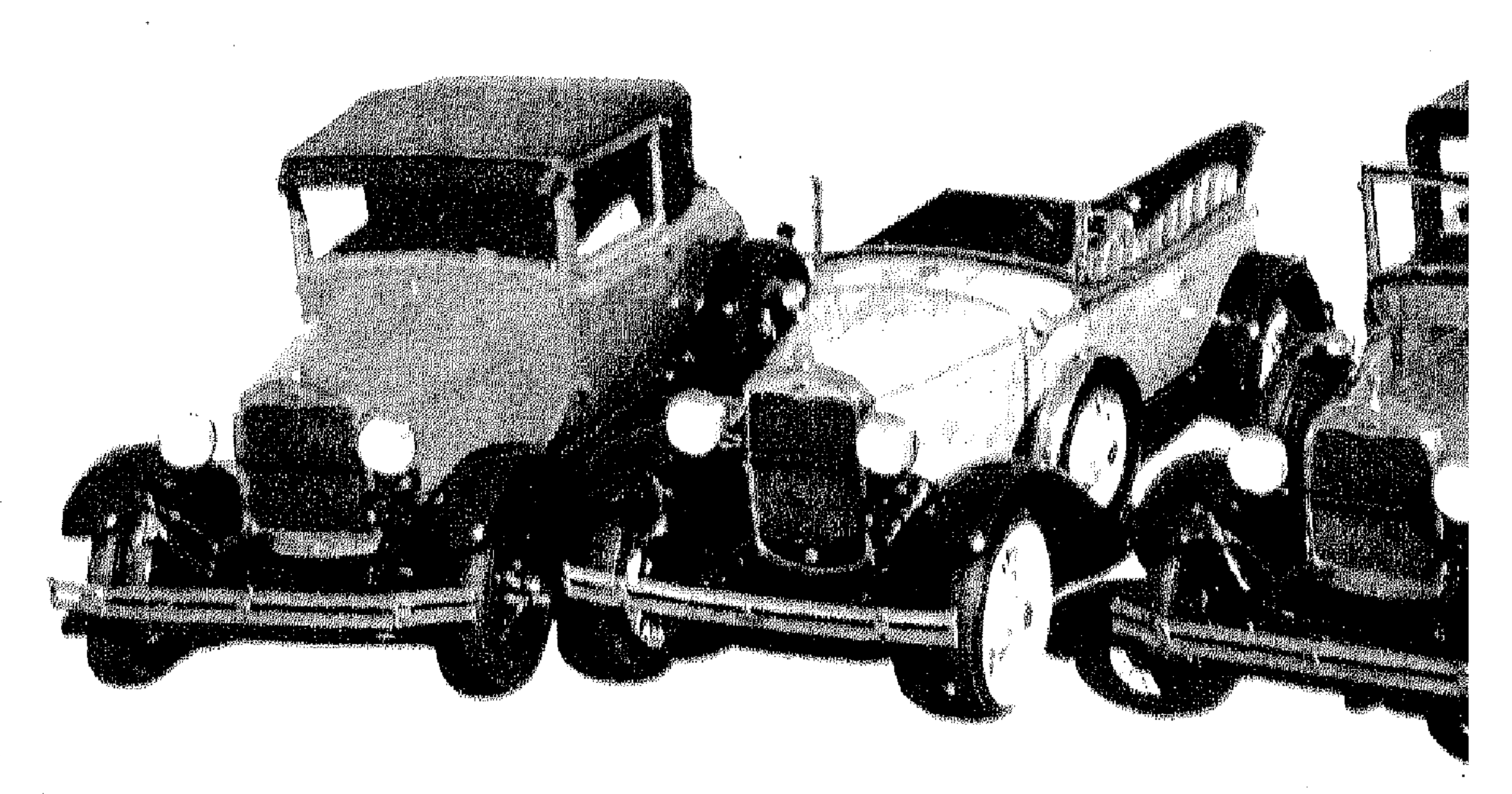
في الطريق من المطار الى مدينة ديترويت بولاية ميشيغان تستوقف المرء لافتة عالية تبدو كعدّاد المسافات في سيارة. وفيما النظر معلق بها يهبط الرقم الاخير في الجانب الايمن ليحل محله الرقم الذي يليه. إنه عدّاد الكتروني ضخم لا يسجل الأميال المقطوعة بل عدد السيارات المنتجة في الولايات المتحدة، الذي يبلغ في سنة "جيدة" ٣٤ الف سيارة يومياً أي ثمانية ملايين سيارة سنوياً.

في جميع البلدان الصناعية مصانع للسيارات، إلا أنها متناثرة في أنحاء مختلفة. وليس من مكان آخر في العالم مثل ديترويت تجمّع فيه صانعو السيارات في مكان واحد مثل ذلك الموقع الرمادي الداخن. ولا من اسم بين جميع الاسماء يضاهي "فورد" سحراً.

الكلمة تطالع المرء حيثما توجه. فمن "مستشفى فورد" و"قاعة فورد" و"شارع فورد" الى الطريق العامة "ادسل فورد" التي يجتازها المرء آتياً من المطار والتي تخترق "بلاد" فورد، تلك الارض المسطّحة الخضراء في ميشيغان حيث ترعرع هنري فورد. وهو ولد في قرية ديربورن التي هي الآن الضاحية الغربية لديترويت. وعند انتهاء الطريق العامة على مشارف المدينة يقع المصنع الذي أنتج، وما زال، اكبر عدد من سيارات "فورد" واسمه مصنع "نهر روج لسيارات فورد" (١).

إنه لمنظر مهيب، مصنع فورد: كتلة ضخمة من المداخن والابراج وهكتارات من السطوح المتعرّجة والمسننة. عندما بناه هنري فورد العجوز كان أكبر مجمّع صناعي على وجه الأرض. وهنري فورد لم يكن كسواه من صانعي السيارات الذين اكتفوا

(١) The Ford Rouge River



عائلة الطراز "أ" التي أنتجت بين ١٩٢٧ و١٩٣١ ولقيت رواجاً شعبياً.

بجمع الاجزاء، بل أراد أن يعود الى الأرض ليستخرج منها المواد الخام التي يصنع منها سياراته. فاشترى لهذا الغرض مناجم فحم ومناجم حديد. وابتاع مساحة من البرازيل قرب أرض مقطوعة الشجر في محاذاة الامازون ليزرع فيها أشجار المطاط، وسمّاها "فوردلانديا." وملك تلالا بكاملها مكسوّة بأشجار الصنوبر. ولنقل كل ذلك الى ديربورن بنى أسطوله الخاص: "اسطول فورد."

المراكب التي بناها - هنري فورد الثاني وبنسون فورد ووليم كلاي فورد - ما زالت تعبر نهر روج محيية ذكرى أموات وأحياء من عائلة فورد. حتى أفران صهر المعادن تحمل أسماء أفراد من العائلة.

يحلو لأخيلة الناس أن تصوّر هنري فورد كصبي نشل نفسه من العدم. والحقيقة أن هذه الصورة تنطبق على والده وليم الذي وصل مع عائلته الى الولايات المتحدة في العام ١٨٤٧ بعد اجتياز المحيط الاطلسي هرباً من المجاعة التي ضربت ايرلندا. وكان آل فورد من الفقراء الذين استوطنوا ايرلندا الجنوبية. وفي الولايات المتحدة انضمت العائلة الى أقارب لها في ميشيغان، وما لبثت ان اشترت قطعة أرض. وعندما أبصر هنري النور كان صار لآل فورد شأن.

تزوج وليم فورد في ٢٥ ابريل (نيسان) ١٨٦١ ماري اوهرن ابنة أحد جيرانه بالتبني. ولم يكن هنري بلغ الثالثة عشرة من عمره عندما ولدت أمه طفلها الثامن. وبسبب مضاعفات صحية، توفي الطفل وتبعته أمه بعد ١٢ يوماً اي في ٢٩ مارس (آذار) ١٨٧٦.

قال هنري لاحقاً: "شعرت كأن إساءة كبيرة لحقت بي." فالبيت والعائلة أصبحا في نظره "كساعة من دون زنبرك." وهو ظل طوال عمره يبجّل ذكرى أمّه بحماسة بلغت حد العقدة.

وفي مقابلة أجريت مع صبي المزرعة الذي أصبح احد أغنى أغنياء العالم، لم يجد سوى تفسير بسيط لنجاحه الباهر. قال: "حاولت أن اعيش حياتي كما كانت والدتي لتتمنى." وعلى رغم ما أضفى عليه النجاح من قسوة فقد ظلّ ذكر أمه يرسم على ملامحه تعبيراً يقرب من الحنان.

●●● مفكك الهدايا ●●●

بعد وفاة والدته بأشهر قليلة كان هنري الصغير راكبا مع والده في عربة تجرّها الخيول عندما رأى قاطرة بخارية مدفوعة بطاقة ذاتية مقبلة نحوهما.

وبعد ٤٨ سنة قال: "ما زلت أذكر تلك القاطرة وكأنني رأيتها البارحة."

كانت تلك القاطرة التي لا تجرّها أحصنة، الاولى التي رآها هنري فورد في حياته. وهي كانت نسخة معدّلة عن المراجل العمودية التي كان المزارعون يستمدون منها الطاقة لآلاتهم الصغيرة. وفي وقت لاحق كتب فورد: "كنت شاهدت كثيراً من تلك المحركات محمولة على ظهور الخيل. لكن تلك العربة كانت مزوّدة سلسلة تصل المحرك بالعجلتين الخلفيتين للهيكل الذي حمل المرجل."

ولطالما اعتبر هنري فورد لقاءه تلك القاطرة موعداً مع القدر. والواقع أنه ليس من الصعب أن يتصور المرء لماذا

تترك لقاء تلك العربة المبتكرة القوية الضّاجة هذا الوقع في نفسه. فهو كان في ذلك الوقت يرزح تحت وطأة الصدمة التي أحدثتها وفاة والدته، يتلمّس طريقه الى منطلق جديد في الحياة.

سيرة هنري فورد في صباه تزخر بحكايات عن مواهبه الميكانيكية الفذّة. ومن الروايات المتداولة أنه منذ رأى داخل احدى الساعات، وهو بعد في السابعة، أصبح مصلح ساعات موهوباً. ولفرط ولعه بهذا العمل كان يقايض كرياته الزجاجية بدواليب ساعات. وتتذكر أخته مارغريت أن أشقاءه، عندما كانوا يتلقون هدايا ميكانيكية في الاعياد، كانوا يتفقون: "لا تدعوا هنري يأخذها، فهو سيفككها."

· في السبعينات من ذلك القرن لم يكن مستقبل الابن البكر لعائلة فورد خافياً على أحد من أفرادها. وقالت مارغريت: "كنا نعلم جميعاً أن هنري لا بد من أن يغادرنا الى ديترويت."

المدينة التي وطىء هنري أرضها في أول ديسمبر (كانون الاول) ١٨٧٩ كانت أقدم المستوطنات الرئيسية على شواطىء البحيرات الكبرى (٢). بقي فورد هناك حتى العام ١٨٨٢. فعمل اولا في متجر للآليات يملكه "جايمس فلاور وإخوانه" ثم في "دراي دوك" كبرى شركات بناء السفن في المدينة. وبعدما أنهى ما اعتبره تدريباً ميكانيكياً كافياً، عاد الى المزرعة وهو في السن التاسعة عشرة ليساعد والده في جمع الغلال. وبقي هناك حتى قارب الثلاثين من عمره.

القاطرة البخارية التي ألهمت الفتى كانت في الواقع آلة زراعية. وهو من اجل آلة زراعية أخرى تخلى موقتاً عن ديترويت. فالذي حصل ان أحد الجيران ابتاع من شركة "وستنغهاوس" محرّكاً زراعياً صغيراً يحمل باليد بغية استخدامه في حصد محصوله و"درسه" ولتأجيره من ثم في الجوار. لكن عطلا طرأ على المحرّك بسبب قلّة مهارة العامل الذي شغّله.

واستدعي هنري لمساعدة جاره. وهو قال لاحقاً: "أظن انه كان خائفاً من الآلة. والحقيقة انني خفت منها انا أيضاً." لكن التدريب الذي تلقاه في ديترويت لم يذهب سدى. فأكبّ على الآلة وراح يتفحصها. ويتذكر ذلك اليوم: "بدأت أعمل على المحرّك الصغير. وعندما ملكت زمامه، ملكت زمام نفسي كذلك."

●●● أوتو الصامت ●●●

بعد عمل يوم بطوله على المحرك شعر هنري بأنه تعلّم الكثير عن شركة "وستنغهاوس." وكان ذلك اليوم في حياته بداية صيف جميل أمضاه وهو يسوق المحرّك من مكان الى آخر في ديربورن. ومع انقضاء الصيف انضمّ هنري الى شركة "وستنغهاوس." وكان عمله يقتضي تنقلا في الريف الجنوبي لولاية ميشيغان من اجل تشغيل آلات الشركة وصيانتها:

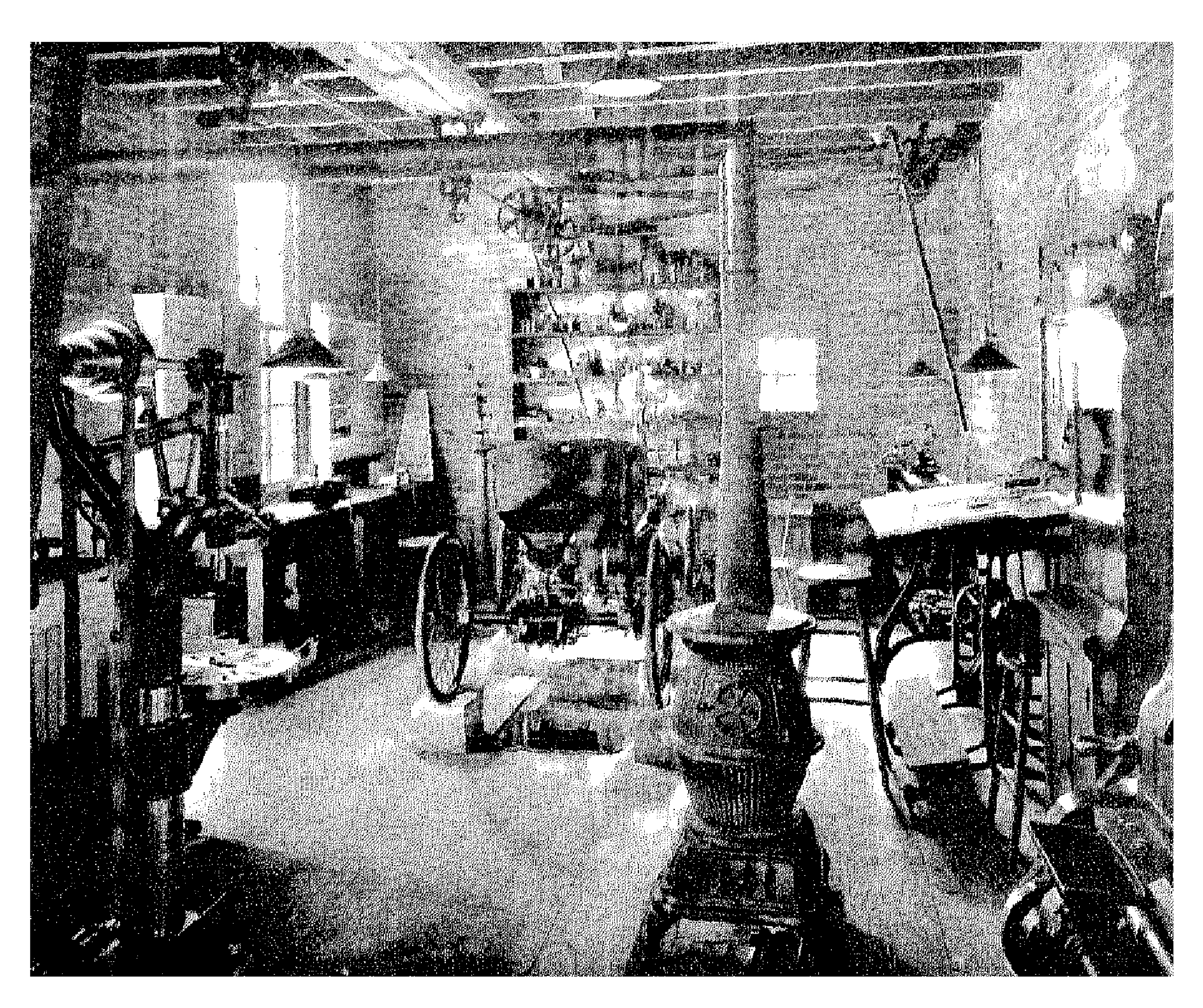
في أول يناير (كانون الثاني) ١٨٨٥ قصد آل فورد نزلا ريفياً في غرينفيلد بالقرب من ديربورن للاحتفال بالسنة الجديدة. وهناك أعجب هنري بصبية ناعمة تزخر حيوية ذات عينين سوداوين

(٢) البحيرات الكبرى هي سوبيريور وميشيغان وهورون وإري وأونتاريو، وهي تفصل بين الولايات المتحدة وكندا.

وشعر كستنائي تدعى كلارا جين برايننت.
عن هذا اللقاء قال هنري في مقابلة أجريت معه عام ١٩٢٣: "علمت خلال نصف ساعة أنني وجدت ضالتي."
وفي ١١ ابريل (نيسان) ١٨٨٨ تزوجا، وكان ذلك اليوم العيد الثاني والعشرين لمولد كلارا. وهما أمضيا شهر العسل في المزرعة الصغيرة التي عاش فيها هنري في السنتين السابقتين: ١٦ هكتاراً من الاحراج كان والده اشتراها في الستينات من ذلك القرن ولم يتسنّ له أن يقطع أشجارها. وأتيح لهنري أن يقطع الاخشاب بآلاته البخارية.
اهتم هنري فورد بالارض وزرع ما يكفيه وكلارا إلا أن غرامه الحقيقي انصبّ على الآلات. وهو أمضى صيفين متتاليين ... لا على تجميع الآلات الزراعية واصلاحها لشركة "باكي للحصاد." ودعي الى ديترويت مراراً. وفي إحدى الرحلات تسنى له أن يشاهد عن كثب المحرك الذي اخترعه الالماني نيكولاوس أوغست اوتو ولقي اقبالا واسعاً واستأثر باهتمام الجميع في عالم الآلات. "أوتو الصامت" ذاك لم يكن يعمل على البخار، بل كان أحد المحركات الجديدة ذات الاحتراق الداخلي التي تعمل بالنفط.
لدى عودة هنري الى البيت حاول أن يشرح الامر لزوجته مستعيناً برسوم. وهو شعر في قرارته بأن بعض التعديلات كفيلة بتثبيت مثل ذلك المحرك على دواليب بحيث يندفع من تلقائه على نحو شبيه بذلك المرجل الذي كان رآه وهو في السن الثالثة عشرة.
على أن المحركات ذات الاحتراق الداخلي تعتمد على الكهرباء في تشغيلها. ولم يكن هنري يعرف الكثير عن هذا الموضوع. فراح يستكشف فرص العمل في ديترويت. ثم تلقى عرضاً من شركة "اديسون" للانارة وغدا في وسع الزوجين - اذا وافقت كلارا - أن ينتقلا الى ديترويت للحال.
أقرّت كلارا بأن فكرة الاقتلاع من الجذور أرهبتها وكادت أن تحطمّ قلبها. إلا أن هنري لم يجد سبباً لبقائهما في الريف، "حيث قطعت جميع الاشجار" على حدّ قوله.

●●● برميل نقود ●●●

بالامس كان هناك بل والهاتف، اديسون والمصباح الكهربائي، الاخوان رايت والطائرة. واليوم ها هو هنري فورد وسيارته جديران بالتكريس بين عظماء المخترعين الابطال. غير أن هنري فورد لم يكن مخترعاً مثل بل واديسون والاخوين رايت الذين اخترعوا هم شخصياً الآلات التي شهرتهم. أما انجاز فورد فكان مبنيّاً على عمل سواه.
عندما انتقل هنري وكلارا في العام ١٨٩١ الى ديترويت، كانت في فرنسا مصانع تنتج السيارات. أما شرف انتاج السيارة الاولى فيتقاسمه الالمانيان غوتليب ديملر وكارل بنز اللذان صنعاها بين العامين ١٨٨٥ و١٨٨٦. أما في الولايات المتحدة فيعود شرف انتاج السيارة الاولى الى الاخوين فرانك وتشارلز دوريا اللذين حق لهما ان يفخرا بأول عرض لسيارة تشغّل بالغازولين



نسخة في قرية غرينفيلد للكوخ القرميدي في جادة باغلي حيث صنع فورد سيارته الاولى.

(البنزين) وكان ذلك في العام ١٨٩٣.

هنري فورد رجل هجر مزرعته في العام ١٨٩١ بحلم استحوذ على تفكيره وهو ابتكار عربة لا تجرّها خيول. وهذه الصورة لا تتفق مع شهادته الشخصية ولا مع السنوات الاربع الاولى التي أمضاها في أعمال متفرّقة.

ومما قاله في العام ١٩٢٢: "في البدء لم تبد لي فكرة العربة التي لا تجرّها خيول عمليّة كفكرة المحرّك الذي يؤدي الاعمال الصعبة في المزرعة. ان رفع الاعمال الشاقة عن كاهل المزارع وايكالها الى الحديد والآلات، كانا طموحي الدائم."

اتخذ فورد مكاناً خالياً في شركة "اديسون" للانارة وحوّله ورشة خاصة. وكان كلّما تسنّى له بعض الوقت يختلي في غرفته الصغيرة تلك، يعبث بقطع من المعدن وبأسلاك كهربائية.

ربما كان يناير (كانون الثاني) ١٨٩٦ نقطة الانطلاق لانتاج أولى سيارات فورد. ففي وقت سابق زار هنري فورد مكتب صديق له يدعى تشارلز كنغ، وكان أحد المتحمسين لفكرة العربة من دون خيول، حيث وقع على مقال صحافي يشرح طريقة بناء محرّك بسيط يشغل بالغازولين، باستخدام أدوات ونفايات منزلية. بعد ذلك بوقت قصير علّق على المقال أمام

Photo: Courtesy Ford News Bureau

جورج كاتو وهو تقني كهربائي عمل معه في شركة "اديسون": "ان مشروعاً كهذا قد يدرّ برميلا من النقود."

●●● مهووسو الميكانيك ●●●

كان كاتو أحد الميكانيكيين الموهوبين في الشركة الذين عملوا مع فورد على المحركات وأنظمة الاشعال التي كان يتسلّى بها في ورشته الخاصة. وكان هناك "مهووسان" آخران هما جايمس بيشوب وإدوارد هاف.

وعندما حان الوقت جدّياً لبناء سيّارة نقلوا نشاطهم الى سقيفة صغيرة خلف منزل فورد، سطحها من الآجر وفيها نوافذ صغيرة وباب ضيّق وفسحة في الوسط تكاد لا تتسع للسيارة التي عزم هنري على صنعها بنفسه.

لبناء قلب المحرك، استعملوا أنبوباً أخذوه من محرّك بخاري قديم ووسعوا داخله وقطعوه نصفين طول كل منهما ٢٨ سنتيمتراً. وهكذا حصلوا على اسطوانتين. ووضعوا خزان الوقود فوق المحرك مباشرة لكي يجعلوا الغازولين يتدفق الى المحرّك بفعل الجاذبية. وأوصلوا الطاقة الى الدواليب بواسطة سلسلة معدنية بلغ طولها ثلاثة امتار.

صُمّمت سيارة هنري فورد على أساس أن تبلغ سرعتها القصوى ٣٢ كيلومتراً في الساعة، وهي سرعة كبيرة بالنسبة الى المقاييس السائدة آنذاك. أما سرّ سرعتها فكان وزنها الذي لم يتجاوز الـ٢٣٠ كيلوغراماً بحيث أن رجلا بمفرده كان قادراً على رفعها بسهولة وهي خالية من المحرّك.

بدا واضحاً لفورد أن السيارات الاولى كانت هشّة والاستغناء عن كيلوغرام واحد أو اثنين من الوزن ربّما خفّف الضغط عليها وجعلها أسرع واقتصادية اكثر وأقلّ تعرضاً للعطل.

سرعة، ثقة، وسعر متدنّ. تلك كانت المبادىء التي أراد هنري فورد اعتمادها في انتاج السيارة.

سمّى فورد سيارته الدراجة ذات العجلات الاربع(٣). كانت دواليبها رفيعة كدواليب دراجة هوائية وهيكلها صغيراً يكاد لا يرى. وهو أخفى داخليتها في اطار خشبي ووضع في المقدّم لوحاً تجميلياً من الخشب. ومع ذلك ظلّ منظر السيارة كمنظر عربة أطفال.

في ساعات الفجر الاولى يوم ٤ يونيو (حزيران) ١٨٩٦ انتهى العمل على السيارة. كانت كلارا هناك، وهي التي لازمت زوجها أثناء العمل. وكان أيضاً جيم بيشوب الذي تقرر أن يرافق هنري فورد على دراجة هوائية. وفيما الاثنان يستعدان لدفع السيارة الى الشارع أدرك فورد أنه اقترف غلطة سخيفة. فباب السقيفة الضيّق لم يكن يسمح بمرور السيارة. فاحضر فأساً وانهال على الباب. وهدم صفوفاً عدة من الآجر قبل أن تصبح السيارة طليقة. وعندما أدار دولاب الموازنة(٤) لفظ المحرّك أصواتاً مفرقعة قبل أن تدب "الحياة" في السيارة.

لقيادة سفينته الصغيرة كان هنري فورد ابتكر ذراعاً تحمل في طرفها زراً متصلا بما سمّاه "بوقاً". ولم يكن هذا

---

(٣) Quadricycle

(٤) Flywheel

سوى جرس باب ثبّته في المقدّم.

الساعة الثانية بعد الظهر وصلت الرحلة التاريخية الى نهاية محرجة عندما تعطّلت السيارة فجأة أمام فندق "كاديلاك" وتجمّع حولها جمهور من الشامتين راحوا يهزأون بفورد وبصاحبه بيشوب. إلا أنهما أجريا بعض الاصلاحات على السيارة فعادت اليها الحياة ورجعا بها الى المنزل لينالا قسطاً من الراحة.

وبعد فترة قصيرة قاد هنري فورد السيارة مسافة ١٣ كيلومتراً الى ديربورن حيث زار أخته مارغريت.

●●● سباق العصر ●●●

في العام ١٨٩٨ حصل فورد على دعم مالي أولي لخليفة دراجة الدواليب الاربعة. فالمركبة الاولى التي طوّرها بدت كسيارة حقيقية: مقعد خلفي مبطّن، مصابيح من نحاس، رفاريف جذّابة. كانت جديرة بأن تقارن بأي عربة أخرى لا تجرّها الخيول في ذلك العصر. وفي العام التالي أعلنت شركة "ديترويت للسيارات" انتاجها. وكان هنري فورد المدير الفني في الشركة وهي كانت أولى شركات انتاج السيارات في ديترويت، وقد أنتجت في العام ١٩٠٠ بضع عشرة سيارة قبل أن تقع في عجز في شهر نوفمبر (تشرين الثاني) من العام ذاته.

عجز الشركة لم يثبط عزيمة وليم مورفي، أحد الممولين، فظل متحمساً للمشروع الجديد الذي كان فورد يعمل على إخراجه الى النور، وهو مشروع سيارة سباق.

لاثبات جدارة سياراتهم، درج جميع صانعي السيارات الأول على اقامة سباقات. وفي سبتمبر (أيلول) من العام ١٩٠٠ فاز الكسندر ونتون على عدد من المنافسين الاقوياء في سباق الـ٨٠ كيلومتراً في شيكاغو. وهو منتج سيارات من كليفلاند ذاع صيته بعد اشتراكه في عدد من السباقات. وفوزه الاخير جعله أبرز منتجي السيارات في الولايات المتحدة. وعندما عُرف أن ونتون سيأتي باحدى سياراته الى ديترويت ليتبارى بها ضد جميع المشتركين، لم يعد أمام هنري فورد مفر من قبول التحدّي.

جرى السباق في ١٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٠١ على طريق جديدة تمر



Courtesy Ford Motor Co.

صورة نادرة لهنري فورد ذي الشاربين وهو يقود "الدراجة" ذات الدواليب الاربعة في العام ١٨٩٦.

بالقرب من منتجع غروس بوينت على شاطىء البحيرة شرق ديترويت. ولاسابيع لم يكن لأهل ديترويت حديث سوى موضوع السباق الذي تجمّع ٨٠٠٠ متفرّج لمشاهدته. ثلاثة متبارين فقط وصلوا الى نقطة الانطلاق، وكانت اسطوانة احدى السيارات راشحة فلم يتمكّن صاحبها من الاشتراك مما جعل عدد المتبارين ينخفض الى اثنين هما: الوجه الابرز في دنيا انتاج السيارات ألكسندر ونتون وفتى ديربورن المنتج الخائب هنري فورد. خفض المشرفون على المباراة المسافة من ٤٠ كيلومتراً الى ١٦ إذ بدا واضحاً أن السباق سيقتصر على سيارة واحدة، ولن تكون مشاهدة ونتون يقود سيارته ١٤ دورة ذلك الحدث المشوّق.

أصبح ونتون للحال في المقدم. ومع أنه ساد شعور بأنه ربما كان لسيارة فورد السرعة التي تسمح بتجاوز السيارة المنافسة، فقد بدا واضحاً أن هنري فورد كانت تعوزه الخبرة، فتركيزه انصب على الناحية الميكانيكية وليس على القيادة، وهو كان يخسر في كل دورة.

بالقرب منه على موطىء السيارة قبع هاف ممسكاً مقابض خاصة. وكانت مهمته تنحصر في حفظ توازن العربة. وعند كل منعطف كان يمدّد جسده ويخفضه برشاقة محاولا أن يبقي السيارة ضمن المنحنى. ولكن بعد ثلاث دورات كان ونتون يتقدم بأكثر من ٣٠٠ متر. وبدا أن السباق أتى الى نهايته.

بعد ذلك اخذ هنري فورد يقترب من منافسه، فلقد توصّل مع هاف الى ايقاع متناغم فعّال على المنعطفات. وفي الدورة السادسة تمكنا من تضييق المسافة بين السيارتين الى حد ملحوظ، وبدأ البطل يفقد السيطرة.

في وصف مجريات ذلك النهار كتبت صحيفة "ديترويت تريبيون": "خيط رفيع من الدخان الازرق ظهر في مؤخر السيارة ما لبث أن تحوّل غيمة." وعبثاً حاول مرافق ونتون أن يجري بعض التصليحات على السيارة وأن يسكب زيتاً في محركها.

الا أن ذلك لم يجدِ. وفي الدورة السابعة انطلق هنري فورد الى المقدم حيث بقي الى نهاية السباق. ومع كل دورة ازدادت المسافة الفاصلة بينه وبين ونتون.

كانت كلارا فورد بين المتفرجين الذين أخذتهم الحماسة. وفي رسالة الى أخيها كتبت: "ليتك كنت هنا لتشاهده. فالناس كانوا مأخوذين. أحد الرجال قذف بقبعته في الهواء، وعندما وقعت على الارض داسها بقدميه من دون أن يكترث. فلقد كان شديد الحماسة."

ربيع الاربعين ●●

كان فوزاً ساحقاً وعن جدارة. اليوم ربما شعر السائق برضا أقل اذا فاز في سباق بسبب عطل ميكانيكي في سيارة منافسه. ولكن في ١٠ أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٠١، فان ذلك الدخان الأزرق الذي انبعث من سيارة ونتون ومقدرة سيارة

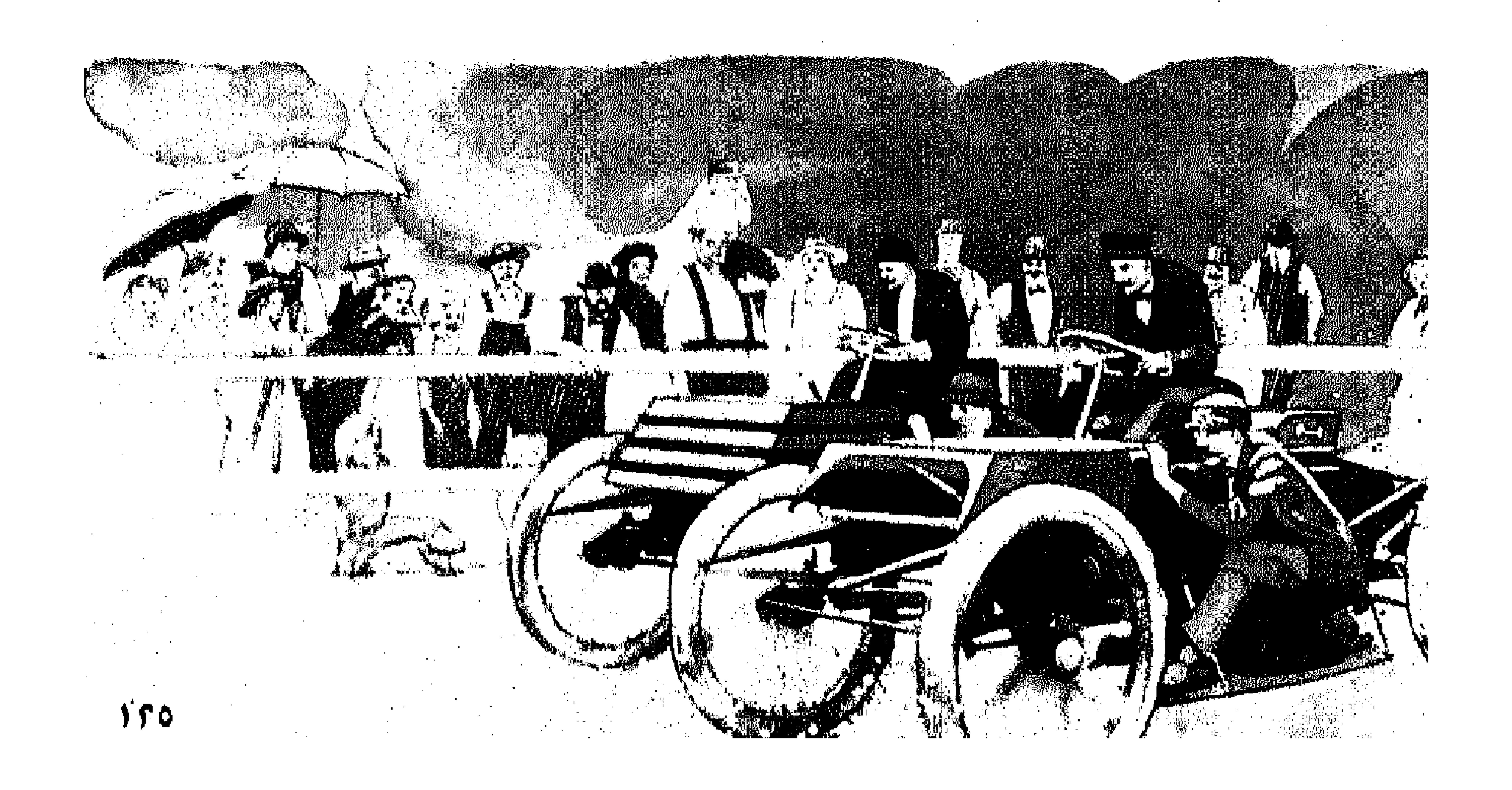
سيارة فورد على الاستمرار والصمود، انعكسا مباشرة على مدى تصدي كل منهما للمشكلة الأهم في نظر المتسابقين في ذلك الوقت، الا وهي الثقة بالناحية الميكانيكية.

بين المتفرجين ذلك اليوم الخريفي كانت مجموعة من الرجال قرروا أن يعيدوا النظر في قضيّة هنري فورد. وسرعان ما حصل على دعم جديد لانشاء شركة ثانية.

لكن انتاج أعداد كبيرة من السيارات يحتاج الى أنواع من المهارات تختلف عن تلك المطلوبة لانتاج نموذج منفرد. إلا أن فورد المدفوع بحبّ الاعمال التجريبية لم يستطع كبح جماح هوايته مجازفاً بأموال داعميه. وبعد مضي أربعة اشهر فُصل.

الاخفاق المزدوج لم يقلق هنري فورد. وشهد العام ١٩٠٣ ولادة شركة ثالثة إذ كان فورد يعمل على انتاج سيارة جديدة أثبتت متانتها لاحقاً. وهي عُرفت في ما بعد بإسم الطراز "أ" من "شركة فورد للسيارات." وبالمقارنة مع مشاريعه السابقة كانت تلك المحاولة دقيقة ويعوزها التمويل. وخلال أسابيع قليلة أعلن أفلاسها. ولكن في ١٣ يوليو (تموز) اشترى طبيب أسنان من شيكاغو اول سيارة من الطراز "أ". وكان ذلك بداية سيل جارف من المبيعات.

مع نهاية شهر مارس (آذار) ١٩٠٤ كانت شركة فورد باعت ٦٥٨ سيارة بسعر أساسي أولي بلغ ٧٥٠ دولاراً للواحدة. وبلغت حصة هنري فورد ٣٥ ألف دولار، وهو الذي لم يساهم بقرش واحد. ومع ذلك شعر بتعاسة في نهاية السنة الثانية، فشريكه الرئيسي أراد أن يصنع سيارات أغلى ثمناً. فالأثرياء هم السوق الاستهلاكية التقليدية لتحقيق أرباح مرتفعة. لكن فورد بحسّه المرهف أدرك أن هناك سوقاً اخرى أغنى وأكبر بكثير. فتدبّر أمره واشترى حصة شريكه في الشركة. ومع أن بعض حملة الاسهم بقوا معه فانه احكم سيطرته المطلقة على الشركة.



بعدما أتمّ هنري فورد هذه الصفقة في أحد أيام يوليو (تموز) طلب من أحد العمال الميكانيكيين ان يقود سيارته الى المنزل. وفي الطريق تخلّى عن تحفظه قائلا: "إنه ليوم عظيم هذا. سنوسّع الشركة وسترى كيف ستنمو بسرعة وتقفز من نجاح الى آخر. والفكرة الكبرى في رأسي هي ايصال السيارة الى الجمهور."

كان في وسع هنري فورد وهو في الثانية والاربعين من عمره أن يختار الطريق الاسلم، لكنّه اختار خطاً غير عادي. فالربيع لا يزور معظم الرجال وهم في الاربعين، لكنه خالف القاعدة في حال هنري فورد. وهو كان على عتبة مرحلة يُسر في حياته وحالفه النجاح في كل خطوة خطاها.

●●● الطراز "ت" ●●●

تعرّف تشارلز سورنسن الى فورد في العام ١٩٠١ وعمل لديه في ما بعد. وهو أرجع تاريخ الهامه بناء سيارة "ت" الى أيام تجارب هنري فورد على "الفناديوم" وأنواع اخرى من الفولاذ المعالج بواسطة الحرارة. فتلك التجارب أوحت اليه أن في الامكان صنع سيارة أمتن وأخف وزناً واشدّ سرعة من أي سيارة أخرى صُنعت من قبل. وهو كان استخدم ذلك الخليط الجديد في صنع سيارة لفورد عرفت بالطراز "ن". لكنه كان عازما على استخدامه مجدداً على نحو أكثر طموحاً وبطريقة جديدة. وكان العمل جارياً لبلورة تلك الطريقة وراء ابواب موصدة في شركة فورد.

ومع أن المحرك ذا الاسطوانات الاربع في الطراز "ن" شكّل ابتكاراً مهماً للسيارة الاقتصادية، إلا أنه لم يكن بسيطاً. فقالب المحرك تألف من وحدتين، في كل منهما اسطوانتان، ثم أثبت الى علبة المرافق (٥). أما في الطراز "ت" فكانت فكرة فورد تقضي بجمع الطاقة في قالب واحد يضم الاسطوانات الاربع. وبعدما عمل سورنسن على معالجة الصعوبات العملية قدم فورد اقتراحاً آخر يقضي بقطع القالب من أعلى. وهكذا ولدت الصورة الاساسية للمحرّك الحديث ذي الاحتراق الداخلي: قالب واحد للاسطوانات وفوقه رأس اسطوانة منفصل ومثبت برتاج.

أراد هنري فورد جهازاً متيناً ومرناً لتعشيق التروس(٦). وعلى هذا الاساس صمّم جوزف غالامب، وهو مهندس موهوب، جهاز التعشيق "الكوكبي" الخفيف الوزن والطويل العمر. وكان نموذجاً بدائياً لمعشق التروس الاوتوماتيكي الذي تشغله ثلاث دواسات للقدمين: كابح، ودواسة تسيّر العربة الى الامام، وأخرى الى الوراء. والتنسيق بينها كان يقتضي اكتساب مهارة تتيح تحقيق عدد كبير من الأعمال البارعة مثل إخراج السيارة من حفرة في الطريق بالانتقال فجأة من الاندفاع اماماً الى التراجع خلفاً.

على مدى سنة كاملة كدّ هنري فورد مع معاونيه ليلا ونهاراً. وتذكر غالامب وسورنسن أن فورد كان محيطاً بكل التفاصيل: الكهرباء ونظام التحويل

(٥) Crankcase أو الكرنك.
(٦) Gears

وصندوق الاسطوانات واستخدام الفناديوم بكثرة. ولم يغب عن باله مرّة واحدة الهدف النهائي وهو: سيارة تجمع البساطة والذوق الرفيع.

عندما أنزلت السيارة الى السوق في العام ١٩٠٨ انهالت الطلبات على الشركة. وفي السنة التالية بيع أكثر من ١٠ آلاف منها بلغ ثمنها تسعة ملايين دولار.

والحقيقة ان فورد أنتج سيارة اثبتت انها اكثر من مجرّد وسيلة للانتقال. فهي زودت العالم نمطاً جديداً من الحياة.

ثبت في النهاية أن الطراز "ت" تطابق حقاً مع حاجات الشعب المتململ الذي كان يحاول أن يملأ قارة بكاملها. وافتتن بها المزارعون وأقبلوا على شرائها بأعداد كبيرة. والنوابض (الرفاصات) التي حملت الجزء الأعلى من العربة على محوري العجلات كانت مرنة بحيث تلاءمت تماماً مع طرق ذلك العصر الموحلة والملأى بالحجار والاخاديد.

عقب الحرب العالمية الاولى وصلت سيطرة فورد على سوق السيارات الى حدّ أن نصف السيارات في العالم كانت من الطراز "ت".

وحوّلت سيارة فورد ما كان ألعوبة في أيدي الاثرياء وحدهم حقاً مشروعاً للجمهور. وبدأت أغرب قصّة حب بين الانسان وسيارته.

●●● الباليه الآلي ●●●

كبقية السيارات المنتجة في أوائل هذا القرن كانت سيارات هنري فورد الاولى تجمع على مراحل منتظمة منطقيّة تتوخى الاقتصاد. وهي الطريقة نفسها التي كانت متّبعة في انتاج الآلات في الثمانينات والتسعينات من القرن الـ١٩: سلسلة من الأعمال المتعاقبة المنتظمة ذات فاعلية في توفير المال والوقت.

بعض المجدّدين امثال اسحق سنجر وسايروس هول ماكورميك وساموبل كولت كانوا ينتجون السلع بالجملة وفق نظام انتاج وُصف بـ"خط العمليات." فإنتاج ماكينة الخياطة مثلا أو الحاصدة او السلاح الناري، كان يقتضي تجميع الماكينات والعمال بحيث تنجز في كل مرحلة عملية خاصة على سلعة ناقصة، وهكذا، الى أن يتم صنع السلعة على النحو المطلوب. وبالنسبة الى السيارات، كانت فرق العمل تتولى أولا صنع المحرّك في مهود ثابتة داخل مشاغل خاصة، وعند الانتهاء كان المحرك ينقل الى مشغل آخر حيث يتجمّع العمال حوله فيعملون على تثبيت محاور الدواليب. وبعد ذلك يُنقل الهيكل المعدني مجدداً الى مشغل ثالث تتمّ فيه عمليّة التنجيد، وهكذا. وكان خط العمليات ينطوي على خطوات متدرجة ومحسوبة، لكنه لم يشهد تدفقاً مستمراً للسيارات.

من أجل انتاج "سيارة الشعب" التي حلم بها هنري فورد فانه لم يكتفِ بأن يكون مصنعه الأكبر في العالم، بل أراده الأفضل. فاختار له موقعاً جديداً: هايلند بارك، ٣٤ هكتاراً من الأرض في ضواحي ديترويت. وأثبتت الايام لاحقاً ان فورد ومهندسه المعماري ألبرت كاهن كانا شقيقين بالروح، وانتج عملهما معاً بناء فريداً مهوّاً يدخله نور الشمس من نوافذ

بلغت مساحتها ٤٦٥٠ متراً مربعاً فينير أرضه الفسيحة.

لكن الوقت لم يطل قبل أن تجد الشركة نفسها عاجزة عن تلبية جميع الطلبات التي تضاعف عددها خلال سنة من بدء الانتاج في المصنع عام ١٩١٠. وتعيّن البحث في سبل تعجيل الانتاج.

وهكذا ولد أول نظام تجميع متحرّك في العالم. كان ذلك في ربيع ١٩١٣ في دائرة المغنيط (٧). وقبل ذلك التاريخ كان عامل التجميع في تلك الدائرة يعمل على طاولة وحوله عدّته الكاملة من قطع المغناطيس ومسامير الربط والملازم. وكان بعد تسع ساعات عملا يومياً يجمع نحو ٤٠ جهاز مغنيط. أما في النظام الجديد فلقد أوكل الى كل عامل تجميع عمل او اثنين فقط من الاعمال المطلوبة. فكان أحدهم يثبّت قطعة مغناطيس أو عزقة، مثلا، ثم تمرر المجموعة كلها الى جاره. وكان انجاز جهاز مغنيط واحد يتطلب ٢٠ دقيقة في النظام القديم، وهذا الوقت انخفض في النظام الحديث الى ١٣ دقيقة و١٠ ثوان. وبعدما أبدل الرّف الذي كان على مستوى الخصر بحزام مرتفع مجهز بمحرك حدّد السرعة المطلوبة، انخفض الوقت مجدداً الى خمس دقائق فقط.

بالنسبة الى المحرّك، كان فورد ابتكر نظاماً متعاقباً يؤمن تدفقاً مستمراً للقطع. أما في النظام الحديث فوضع على حزام ميكانيكي. وهكذا فعل بالمحول أيضاً. اما الهيكل فكان يمر في نظام تجميع أخير خفض الوقت المطلوب لانجازه من ١٢ ساعة ونصف الى ٩٣ دقيقة.

خلال اشهر قليلة تحوّلت هايلند بارك شبه باليه آلي كبير يضجّ بحركة لا تهدأ. وفي وصفها قال فورد بفرح عارم: كل قطعة في الشركة تتحرك. لندع الحزام الآلي يتولى السير عنا. وإذا اختصرنا عشر خطوات يومياً لكل من العمال الاثني عشر ألفاً فمعنى ذلك توفير ٨٠ كيلومتراً من الحركة المهدرة."

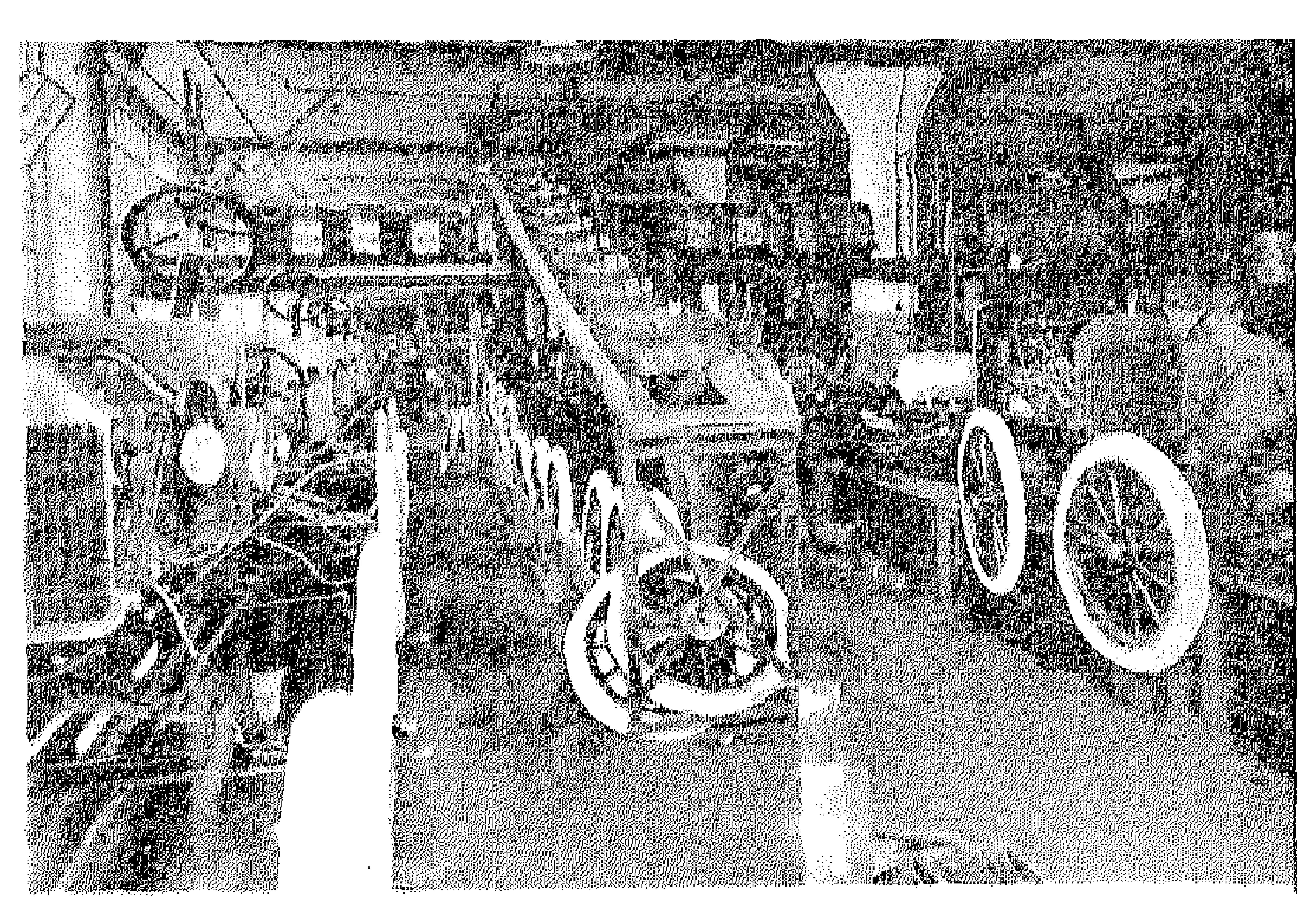
أنتجت الشركة ٧٨٤٤٠ سيّارة من الطراز "ت" بين العامين ١٩١١ و١٩١٢، بواسطة ٦٨٦٧ عاملا. وعندما تضاعف الانتاج في السنة التالية تضاعف معه عدد العمّال. لكن تضاعف الانتاج في ١٩١٣ - ١٩١٤ لم ترافقه زيادة في عدد العمال. ففي الحملة التي شنّها فورد لانتاج "سيارة الشعب"، عثر على مفتاح عملاق افضى به الى عالم سحري جديد.

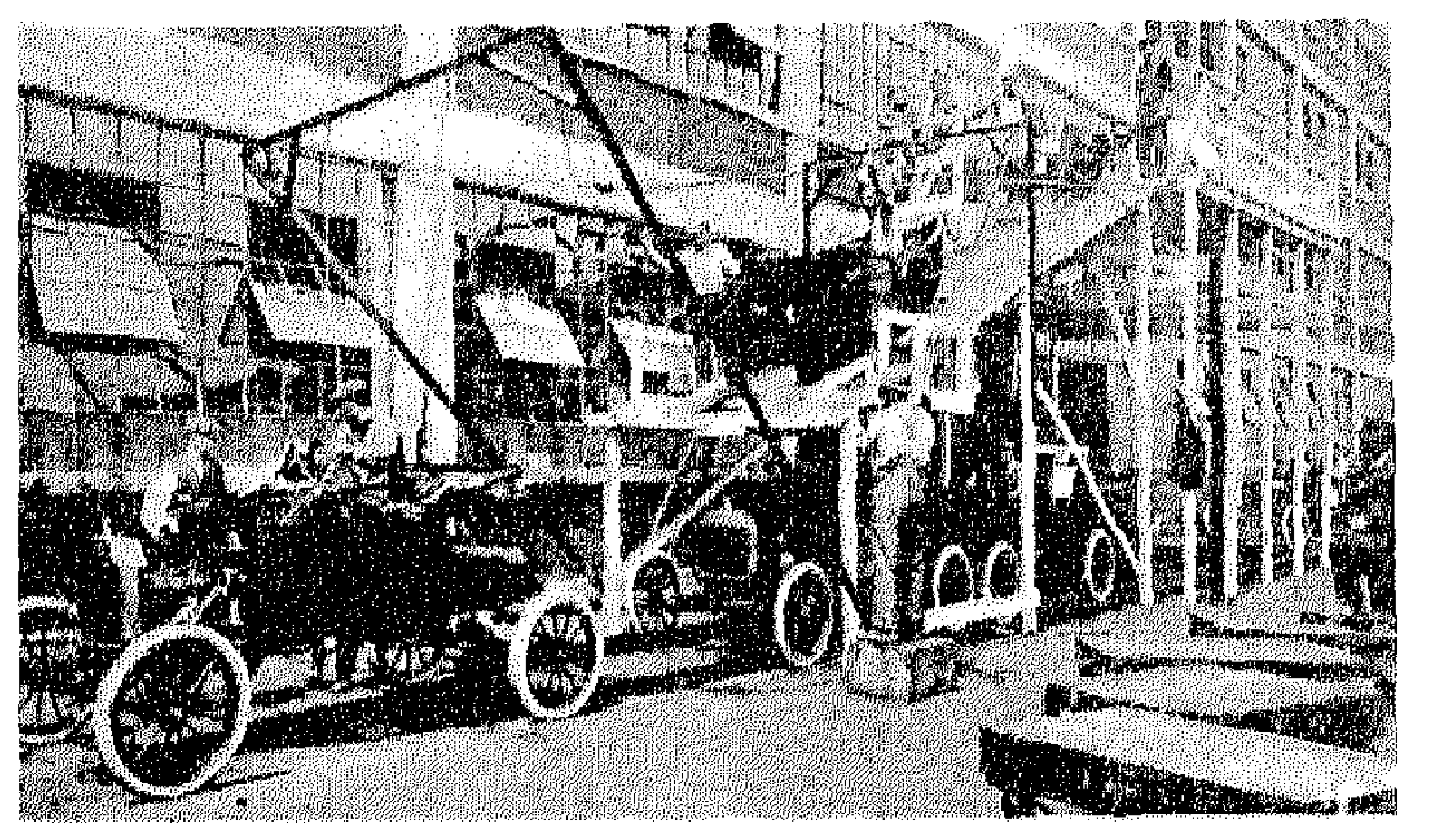
●●● فلسفة جديدة ●●●

في يوليو (تموز) ١٩١٣ احتفل هنري فورد بعيد مولده الخمسين. وحدَته هذه المناسبة على مراجعة انجازاته وتقويم اولوياته. وهو كان أمضى ذلك الصيف يعمل على استنباط طرق لتطوير نظام التجميع. ووسط ذلك كلّه تسنى له ان ينعم بعطلة كان لها في ما بعد معنى كبير في حياته.

أتت فرصة العمر عندما أقام فورد صداقة غير عادية مع جون باروز المؤلف والشاعر وتلميذ الاديبين الامريكيين الشهيرين هنري ديفيد ثورو ورالف والدو إمرسون. كان باروز في السادسة

(٧) المغنيط (magneto) جهاز كهربائي لاحداث الشرر في محرك داخلي الاحتراق.





(فوق) خط التجميع لانتاج المشعاع (الرادياتور) والعجلات للطراز "ت".
تحت: بدن السيارة يوصل بهيكلها (الشاسي).

والسبعين شيخ الامريكيين المنادين بالمذهب الطبيعي (٨). وهو زار آل فورد قبيل عيد مولد هنري، ودعا الزوجين الى مساتشوستس ليرشفا من ينبوع الفلسفة المتعالية (٩) الذي لا ينضب. وقال هنري في ما بعد: "لقد علّمني أن اتذوق إمرسون."

كتاب أزرق هزيل وجد بين مخلفات فورد بعد وفاته هو مفتاح لغز ذلك الوتر الحسّاس الذي تحرّك داخل صانع السيارات عندما تعرّف الى فكر إمرسون. وكتاب الجيب ذاك يضم مجموعة مقالات إمرسون، وعلى غلافه الداخلي البالي دوّن هنري فورد بخطّه الدقيق العنكبوتي أرقام بعض الصفحات وملاحظاته حولها.

كان الفيلسوف إمرسون عبّر قبل مولد فورد بعشرين سنة عن ايمانه بأن الآلات "أفعال جديدة ضرورية" متناغمة في جوهرها مع الطبيعة. فالخطوط الحادّة في فأس سكان الحدود، وتكنولوجيا القاطرة

---

(٨) المذهب الطبيعي يقول بأن النواميس العلمية مؤهلة لتعليل جميع الظواهر.

(٩) الفلسفة المتعالية تقوّل بأن اكتشاف الحقيقة يتم بدراسة عمليات الفكر لا من طريق التجربة أو الخبرة.

Photos: The Bettmann Archive

البخارية، ما هي إلا أمثلة عن المكننة التي أدنت الامريكيين من الالغاز الطبيعيّة في قارتهم. وبدا مناسباً آنذاك أن تضاف سيارة "ت" الى القائمة.

كان أمرسون يؤمن كذلك بأن من واجب الابطال الذين حباهم الله نعمة الفوز أن يمدّوا يد العون الى من هم أقل حظاً من عباد الله الذين لم يكتشفوا السبيل الى الافادة من طاقاتهم الكامنة. وبنهاية العام ١٩١٣ وبدء العام ١٩١٤ آلى فورد على نفسه أن يصبح من هؤلاء الابطال.

●●● ناصر المعاقين ●●●

روى هنري فورد في ما بعد كيف أنه قبيل عيد الميلاد كان يسير في المصنع برفقة ابنه ادسل الذي بلغ العشرين من عمره وبدأ العمل مع والده. فالتقيا رجلين قذرين يتعاركان بضراوة والعرق يتصبب منهما والكدمات والخدوش تملأ جسديهما. هال هنري أن يكون ابنه شاهداً على عنف وانحطاط كهذين، وراح يفكّر في الاسباب التي تحول الناس من اشخاص وديعين حسّاسين الى أوغاد. واتخذ تفكيره وجهة جديدة. وهو شرح الامر لرجل الدين ساموبل ماركيس: "هناك ألوف من الرجال في المصنع لا يعيشون كما يجب. أعطهم دخلا محترماً فيعيشون حياة لائقة، لا بل سيسعدهم ذلك. ما يحتاجون اليه هو فرصة للتقدم في الحياة."

في يناير (كانون الثاني) من العام ١٩١٤ قرّر فورد والمديرون المساعدون في الشركة رفع أجور العمّال أكثر من ضعفين دفعة واحدة وأصبح أجر العامل خمسة دولارات يومياً وهو رقم لم يسمع به أحد من قبل.

وجُعل الحدّ الادنى الجديد أجرة يوم عمل من ثماني ساعات. ومن أجل ذلك أبدلت نوبتا العمل التي تمتد كل منهما تسع ساعات بنوبات متواصلة بلا انقطاع تدوم كل منها ثماني ساعات. وهكذا زاد انتاج الشركة وانخفضت ساعات العمل.

أما الرقم السحري – خمسة دولارات – فتوصل المقررون اليه باضافة علاوة "اقتسام أرباح" الى الأجر الاساسي، واشترطوا لها أن يكون العامل امضى ستة أشهر في الخدمة "وان يعيش حياة مستقيمة ومتّزنة ورصينة."

والخبر كما شاع أغفل هذه التعقيدات. وأبرزت الصحف في عناوينها الكبيرة نبأ الخمسة الدولارات يومياً. وزيادة الاجور تلك كانت من الضخامة بحيث بدت مستحيلة. واستقبل رسامو الكاريكاتور النبأ بخيال جامح فصوَّروا عمّال المصنع عائدين الى بيوتهم بعد يوم عمل في سيارات فخمة يقودها سائقون خصوصيون. وندّدت صحيفة الـ"نيويورك تايمس" بالخبر ووصفته بانه تدبير "مثالي يستحيل تطبيقه." أما صحيفة "وول ستريت جورنال" فاتهمت فورد بارتكاب أخطاء اقتصادية فادحة، بل ربما "جرائم شائنة،" فهو أدخل مبادىء روحية ميداناً غريباً لا يتقبلها ولا تنتمي اليه.

ربما تأثر فورد بإمرسون الذي كتب أن ربّ العمل العاقل يجب أن يسعى الى رفع مستوى العمال وحسّهم السليم ورؤيتهم المستقبلية ونمط حياتهم. والتمييز الدقيق بين الأجر الاساسي وعلاوة اقتسام

الارباح هو سرّ تلك الهندسة الاجتماعية. والعامل في مصانع فورد لم يكن ليستفيد من العلاوة الا اذا أثبت أنه سيدخرها او يستثمرها بطريقة مفيدة تعود بالنفع عليه وعلى عائلته.

من أجل ذلك أحدث فورد دائرة جديدة سمّاها "الدائرة الاجتماعية" مهمتها التحقق من تقيُّد العامل بالشروط المطلوبة. وكانت الدائرة ترسل موظفين في زيارات ميدانية، وإذا لزم الامر كان هؤلاء يطرحون أسئلة على زوجة العامل وجيرانه للتأكد من أنه لا يبذّر حصته من أرباح فورد ولا يبدّدها على حياة اللهو والملذات.

في البدء استثنيت النساء العاملات من الافادة من علاوة الارباح. وكان فورد يزهو بذلك قائلا: "نتوقع من الشابات أن يتزوجن." لكن ذلك الاستبعاد سرعان ما صُحِّح، واستخدم فورد النساء اكثر مما فعل معظم أرباب العمل في ديترويت.

تقدّمية فورد برزت أكثر بالنسبة الى المعاقين جسدياً. فبعدما اصبح أجر الخمسة الدولارات سارياً، أصدر مكتب التوظيف في الشركة تعليمات تقضي باعتبار الامراض المعدية وحدها سبباً لعدم التوظيف. وفي العام ١٩١٩ كان في الشركة ٩٥٦٣ عاملا وعاملة من ذوي العاهات الجسدية من أصل ٤٤٥٦٩. وكان الجميع يتقاضون الاجر الكامل نفسه. قلة من هؤلاء كانت قادرة على تدبّر عمل خارج هايلند بارك.

وسياسة هنري فورد حيال السود سبقت عصرها كذلك. ففي أوائل ١٩٢٠ كان بين عمّال الشركة اكثر من خمسة آلاف أسود، وما لبث عددهم أن تضاعف فبلغت نسبتهم في العام ١٩٢٦ عُشر العدد الاجمالي للعمال.

بتأثير من باروز وإمرسون، مقرون بشهيّة مفتوحة الى الربح وحظ حسن، وجد هنري فورد مجموعة من القوانين الاقتصادية المهمة. فأجر الخمسة الدولارات يومياً الذي ما لبث منافسوه أن عملوا به، شكّل الحل الأمثل لاحدى أهم المشاكل الاقتصادية، وهي ايجاد السوق للانتاج. فمن سيشتري جميع الاشياء التي بات في امكان المقاولين وأرباب الصناعة ان ينتجوها؟

وكان أن وُلِدَت الثورة الروسية، بعد ثلاث سنوات، قوّة متحركة جديدة بدّلت وجه التاريخ. إلا ان هنري فورد كان أظهر بالبرهان في هايلند بارك أن العامل ليس بالضرورة عدواً لرب العمل في المؤسسات الكبيرة. ففي وسعه أن يصبح من المساهمين وحملة الاسهم من خلال اقتسام الارباح وتقاضي أجر مرتفع.

●●● دكان الصحة ●●●

ذات مرّة قال هنري فورد للأب ماركيس: "انني في وضع غريب. فكل ما أشتهيه أناله. لكنني لا أبغي الاشياء التي يشتريها المال. ما اريده هو أن أعيش حياة تجعل العالم مكاناً أفضل لانني عشت فيه."

وماركيس الذي تخلّى عن أبرشيته في ديترويت عام ١٩١٥ كي يعمل في الدائرة الاجتماعية أصبح وثيق الصلة بهنري فورد وتعرّف الى نواح شتى من نفسيته المعقّدة. وهو الذي قال في وصف مزاياه

ودوافعه انها "من أرفع وأنبل ما اجتمع في انسان واحد." لكنه في الوقت ذاته رأى الجانب الآخر من شخصيّته: الغضب والحسد وتدبير المكائد. وهو كتب: "تدور داخله حرب لا تنتهي. حرب بين المثل العليا ودوافع مختلطة ومتباينة تباين الليل والنهار، حتى ليخيِّل اليك أحياناً ان داخله شخصيتين تتنازعان من أجل أن تسيطر إحداهما على الاخرى."

فتّش ماركيس عن تفسيرات لتلك التحولات المذهلة في شخصية فورد التي كانت تدور أمام عينيه. واستنتج: كأنما مخترع نظام التجميع لم يتوصل بعد الى تجميع أجزاء نفسه.

إحدى نزوات فورد السعيدة انشاء قرية غرينفيلد في ديربورن: ٢٠٠ هكتار من حجر الاردواز والآجر الزهري وألواح الخشب. والقرية هي تحية إجلال وإكبار من فورد الى زمن في بلاده استهواه فحاول استرجاعه: زمن الشموع والاسترخاء، زمن ساهم هو أكثر من سواه في تدميره. وبدءاً بالعشرينات تمّ نقل مجموعات كاملة من البيوت القديمة العائدة الى القرون السابع عشر والثامن عشر والتاسع عشر من أنحاء مختلفة في البلاد، وأقيمت جنباً الى جنب في ناحية من ميشيغان. أما الشوارع ففرشت بالحصى وأنيرت بقناديل تضاء بالغاز. وتمّ تكريس المكان في احتفال خاص عام ١٩٢٩، فكان أول حديقة رائدة ذات موضوع معين.

بنى فورد "مستشفى هنري فورد" في ديترويت حيث أرسى مبادىء إصلاحية. إذ كان نزيل المستشفى بعد المعاينة الأوليّة يمر بثلاثة أطباء اختصاصيين أو أربعة. وهذا النوع من المعاينة النظامية المتسلسلة كان نادراً في ذلك الوقت.

وكان يحلو لفورد أن يقول: "ذلك هو دكاني حيث آمل أن يتعافى الناس في أسرع وقت ممكن وتصلح أجزاؤهم المصابة."

وموّل فورد أبحاثاً حول فول الصويا لكونه، من جهة، طعاماً، ومن جهة ثانية مقوماً أساسياً لصناعة البلاستيك. وأقام "صناعات قروية" في الجنوب الشرقي من ميشيغان: طواحين مائية جميلة تضم مشاغل صغيرة. وهو كان يقدم باندفاع على أي عمل يستهويه.

●●● فورد اللاسامي ●●●

كان فورد أحياناً يخطىء التقدير. وهو صرّح بأنه يمقت الحرب. وفي العام ١٩١٥ استأجر الباخرة الاسكندينافية - الامريكية "أوسكار ٢" وأبحر مع مجموعة من الرجال يفكّرون مثله ووجهتهم أوروبا بغية انهاء الحرب الدائرة هناك. بدا له مفهوم السلام فكرة بسيطة. والبعثة التي تميّزت بالسذاجة وسوء الرؤيا والمثالية انتهت الى خيبة واخفاق ذريع بعدما كلّفت فورد أكثر من نصف مليون دولار.

وعلّق عالِم الطبيعة جون باروز على الموضوع: "ان قلب السيد فورد أكبر من رأسه. فخير له أن يحاول استعجال الربيع من أن يحاول استعجال السلام الآن."

على أن قلب فورد لم يكن دائماً في موضعه الصحيح. وكان لشخصيته جانب آخر عرفه الأب ماركيس. فهو كان، مثلاً، ضد الساميَّة، واشترى في العام ١٩١٨

صحيفة أسبوعية (١٠) كانت تصدر في ديربورن. وهو كان من دعاة الاعتدال وضبط النفس ومنح المرأة حقوقها ومن أنصار القانون الامريكي الذي صدر في العام ١٩٢٠ وظل سارياً الى ١٩٣٣ وحرّم انتاج المشروبات الروحية ونقلها وبيعها. وكان يرتاب في الأعمال التجارية الكبرى وفي رجال المصارف ورجال المال، ولاسيما اليهود منهم، ونقل عنه قوله لأحد الصحافيين عام ١٩٢١: "اليهودي مجرّد بائع متجول، تاجر لا ينتج." وظلّت صحيفته تتطرق الى الموضوع نفسه في كل أعدادها، وهو التأثير السيىء الذي يحدثه اليهود في السياسة والحياة العامة في امريكا، وفي عالم المال وطرق المعيشة والأخلاق عموماً.

تعود بذور معتقدات فورد هذه الى مبادىء "حزب الشعب الامريكي" التي تشرّبها وهو فتى في المزرعة والقائمة على الارتياب في رجال المال والوسطاء، وكانت في ذلك الوقت شائعة بين الطبقات الاجتماعية. ولما كانت الصحيفة توزّع في ألمانيا، فقد قرأ أدولف هتلر المقالات وأعجبته. وكانت النتيجة أن حمّل فورد علامة فارقة فبات الامريكي الوحيد الذي أتى هتلر على ذكره في كتابه "كفاحي"(١١) باطراء واستحسان.

ونزعة فورد اللاسامية كانت دائماً ذات طابع مجرّد لا شخصي. ولشدّ ما كانت دهشته عندما أعاد اليه الحاخام ليو فرانكلين سيارة "ت" كان أهداها اليه.

في العشرينات ظهرت عشوائية فورد أكثر. فاختلف مع بعض مساعديه وأصدقائه القدماء وصرفهم من الشركة وشنّ حروباً شرسة على الأقلية من حملة الاسهم وضيّق عليهم حتى اجبرهم على بيعه حصصهم. واثناء الضائقة الاقتصادية في الثلاثينات ساءت علاقاته بالعمّال فغدت حرباً مرّة وأحياناً دموية. لكن شخصيته لم تترك أثراً مأسوياً مدمراً كما تركت في علاقته بابنه.

●●● ولد في الظل ●●●

حصل إدسل براينت فورد على سيارته الخاصة وهو في السن العاشرة. وفي غياب قانون يحدّد السن الدنيا للقيادة كان ادسل يقود سيارته من البيت الى المدرسة. وهو كان تلميذاً نجيباً تعوّد أن يغادر المدرسة الى المصنع مباشرة حيث يلقي بحقيبة كتبه جانباً وينصرف الى مراقبة أحدث التطورات. وكان الموظفون المكتبيون يشاهدون هنري فورد بعد ظهر كل يوم يدخل مكاتبهم ليتفقّد أعمالهم عن كثب، فيبتسم عندما تقع عيناه على حقيبة ولده ويسرع الخطى ليلحق به.

كان ادسل شديد الولع والاعجاب بوالده. وكان هنري متعلقاً بابنه الوحيد. ولم يشك أحد في أن إدسل سيعمل مع والده في المستقبل. وكان علاماته في المدرسة تؤهله لدخول الجامعة، إلا أن والده الذي تخلى عن الدراسة وهو في السن السادسة عشرة لم يكن له كبير ثقة في التعليم العالي. لذلك انصرف ادسل الى العمل حالما أنهى دراسته الثانوية. وهو أصبح في العام ١٩١٥ امين السر في

(١٠) Independent

(١١) Mein Kampf

الشركة، وكان في الحادية والعشرين من عمره.

في المصنع كان الجميع ينادونه "السيد ادسل." وكان هادئاً متواضعاً لم يحاول قط أن يستغل وضعه. وكان يعامل مساعدي والده باحترام. ولم يكنّ له أحد سوى المحبة.

لكن ادسل لم يكن مستقل الرأي. كان كريماً ومهذباً ورقيقاً، وعلى الصعيد الشخصي كان اكثر انسانية من أبيه. وهو ملك كل مقوّمات النجاح الا واحدة، وهي الأهم: استقلال الرأي. كان عاجزاً عن مقاومة ارادة والده حتى في المسائل المتعلقة بالمبادىء التي آمن بها وأحبّها. تلك كانت الصفة المأسوية التي رافقته طوال شبابه.

كان إدسل فورد في الخامسة والعشرين حين أصبح رئيساً لشركة فورد للسيارات في أول يناير (كانون الثاني) ١٩١٩، وهو منصب احتفظ به طوال حياته. لكن هنري فورد لم يستطع التنازل عن سيطرته، وإدسل لم يعرف كيف يفرض سيطرته. وكأي ممثل ناشىء يأتي دوره على المسرح بعد ممثل عملاق، وجد إدسل صعوبة في ملء دور والده وتأديته بجدارة فكان حله للمشكلة أن امتنع عن تأدية أي دور.

والمأساة أن هنري لم يفهم دوافع ابنه الى التهاون والقبول بالامر الواقع. وبدل أن يدرك ان استعداده للبقاء في الظل نابع من حبه الشديد لابيه واعجابه به، ظن انه يعاني نقصاً أساسياً وضعفاً في الشخصية.

وربما كان ذلك من وحي امرسون. ففي مقال كتبه الفيلسوف بعنوان "التعويض" مقطع ذكر فيه أن قوّة الشخصية لا تكتسب ما لم "يُلدغ الانسان ويُجرح ويُهاجَم بقسوة." وهو خلص الى الاستنتاج أن "من ينعم بوسادة من الافضليات يخلد الى النوم، ولن يتسنّى له أن يتعلّم شيئاً ما لم يُعذّب ويضطهد ويُهزم." ولفرط اعجاب فورد بهذا المقطع كان يعيد قراءته تكراراً وهو علّمه بخط يده.

في حلبة سباق السيارات في عام ١٩٣٣.
من اليسار: هنري فورد وولده ادل واثنان من ابنا إدسل: هنري الثاني وبنسون.

UPI / Bettmann Newsphotos

ووصف "وسادة الافضليات" انطبق تماماً على إدسل. وهذا ما جعل هنري فورد دائم التذمّر ودفعه الى الترداد: "الولد ضعيف الشخصية."

ولكي يخشنه ويقوّي عوده حاول هنري أن يطبّق على ابنه تعاليم إمرسون. وحوّل حياته دوّامة من التهجّم والتجريح. كان يعطيه بيد ليأخذ منه بالأخرى. وعندما طلب إدسل صنع مجموعة من أفران الفحم الجديدة في مصنع نهر روج الضخم الذي بُني أثناء الحرب العالمية الاولى، تظاهر والده بالموافقة في حين أسرّ الى أحد معاونيه: "حالما ينتهي إدسل من صنع هذه الافران سأحطّمها."

وبالفعل حطم هنري فورد الافران حالما أُنجزت. وكان في وسعه أن يناقش الامر مع ولده أو أن يلغي الطلب، إلا انه تعمّد لزوم الصمت وانتظر الى أن تم المشروع فانقض وحطمه، مما ضاعف ألم إدسل، كذلك "جرعة دوائه."

وقدّر للشاب جون ديفيس في دائرة المبيعات ان يذوق طعم هذا "الدواء" مباشرة في أوائل العشرينات. وكان اقنع إدسل في غياب والده بحاجة الشركة الى مكاتب جديدة لموظفيها بمن فيهم المحاسبون. ووضعت تصاميم البناء الجديد وكُلّف من ينفّذ المشروع.

عندما عاد هنري فورد من السفر كان العمل في المشروع جارياً. فشرح له إدسل حاجة الشركة الى مساحات إضافية فسأله: "مساحات لمن؟" وما ان ذكر إدسل دائرة المحاسبة التي لم تكن تحظى إلا بالقليل من عطف هنري فورد، حتى ثار هذا واندفع خارجاً من الغرفة.

وفي صباح اليوم التالي وصل ديفيس الى عمله ليجد موظفي دائرة الحسابات في المرأب مضطربين. فمكاتبهم المكتظّة كانت في الطبقة الرابعة من البناء القديم، لكن عمّال الصيانة أتوا في الليل وافرغوها من كل محتوياتها فبدت عارية من كل أثاث. وفي وقت لاحق من ذلك النهار عَلم أن دائرة الحسابات أُلغيت وأن جميع موظفيها، رجالا ونساء ممن خدموا الشركة باخلاص وتفان معظم حياتهم، صرفوا من الخدمة.

وفي وقت متقدم من ذلك الصباح عرّج هنري فورد على ابنه وقال له مبتسماً: "إن كنت فعلا في حاجة الى مساحات، فهناك الكثير منها في الطبقة الرابعة."

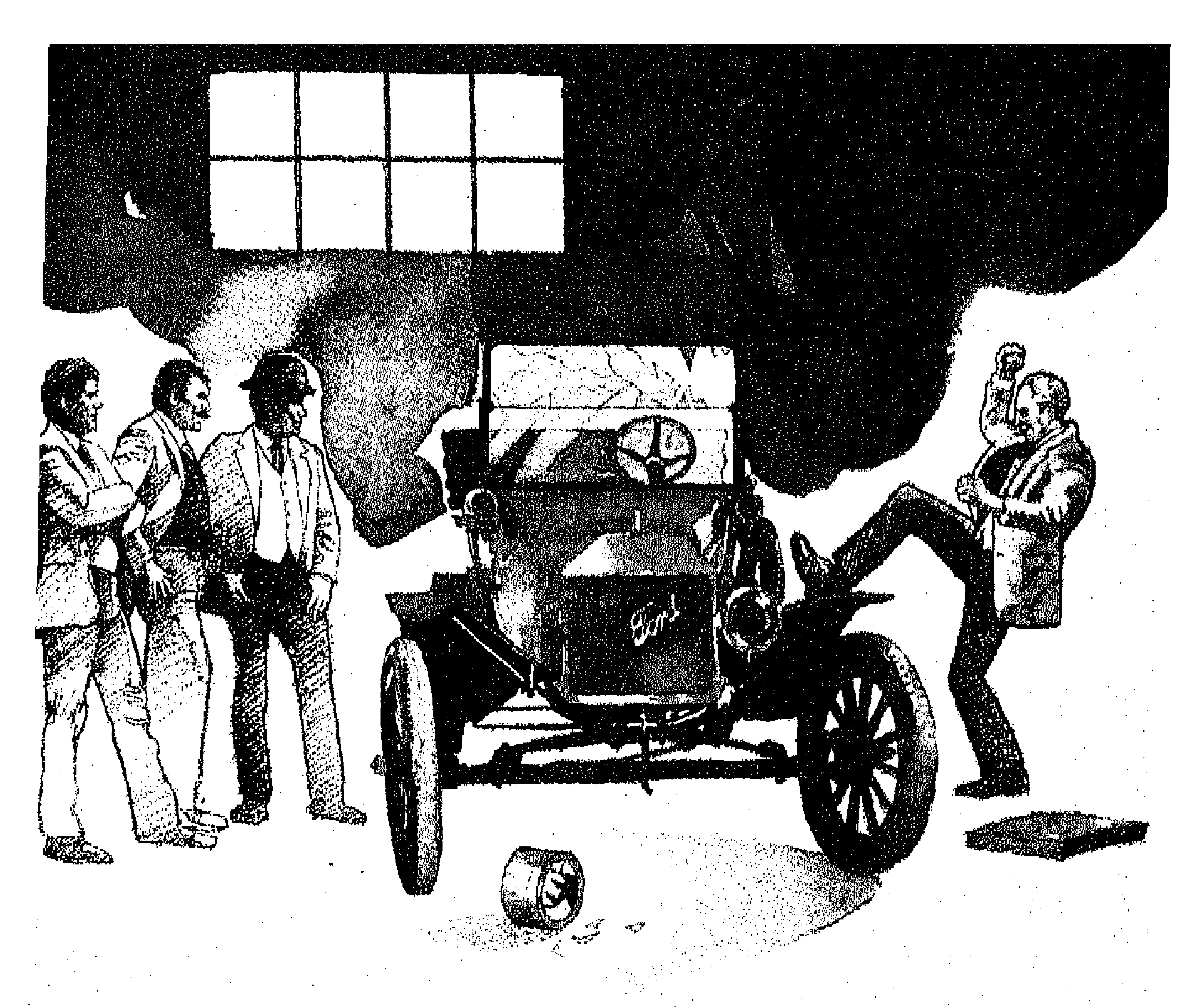
••• فوضى مزاجيّة •••

بعد الحرب في العام ١٩١٩ عادت شركة فورد الى الانتاج بطاقتها الكاملة وأنزلت الى السوق طرازاً محسناً من سيارة "ت" زوّد مفتاحاً كهربائياً للمحرك(١٣) يُدار ذاتياً. وفي الاشهر الاثني عشر التالية أنتج فورد من السيارات أعداداً لم يسبق أن انتجها. إلا أن الازدهار لم يطل، وتحوّل ركوداً في صيف ١٩٢٠.

لعصر النفقات، خفض فورد عدد الموظفين الاداريين في الشركة من ١٠٧٤ الى ٥٢٨. وعلى أثر ذلك التدبير وتدابير أخرى، خرجت الشركة من نكسة ما بعد الحرب أنحل وأشد منافسة من أي وقت مضى.

التدابير التي اتخذها هنري فورد

(١٣) Electric Self — Starter



جاءت على حساب أثمن مصادر القوة في الشركة، وان يكن هذا المصدر غير ملموس. فالادارة بين ١٩١٩ و١٩٢١ فقدت عدداً من الموظفين الكبار أصحاب الخبرة والحكمة، واستحال على الشركة ملء الفراغ الذي تركوه. ورحيل وليم كندسن ألحق بالشركة خسارة فادحة، فهو كان اليد اليمنى لفورد الذي قال فيه ذات مرة انه "أفضل رجل انتاج في الولايات المتحدة." وقد ترك كندسن الشركة ليؤدي دوراً حيوياً في شركة "جنرال موتورز" على حساب فورد. ومن "الخطايا" التي اقترفها أنه تجرأ مرّة وعبّر عن شكّه في صواب اعتماد هنري فورد المستمر على سيارة "ت" وقال له إن الوقت حان، بعد ١٢ سنة، للتفكير في بديل منها.

أول اقتراح جدّي بإدخال بعض التعديلات على الطراز "ت" أبدي وعمر هذا الطراز لم يتجاوز الاربع السنوات. ففي العام ١٩١٢، لدى عودته من رحلة الى اوروبا مع كلارا وإدسل، اكتشف ان "ضباط" هايلند بارك نشطوا في غيابه لاخراج نسخة جديدة منقّحة ومطوّرة من سيّارة "ت". وهم عرضوا النموذج الجديد - سيارة منخفضة طليت باللك الأحمر اللمّاع - في أحد مرائب الشركة حيث شاهدها هنري فورد.

والذي حدث بعد ذلك وصفه أحد الشهود العيان: "كانت يداه في جيبيه.

Illustration: Bob Crofut

وراح يدور حول السيارة ثلاث مرات او اربعاً، يتفحّصها بدقّة كبيرة. كان للسيارة أربعة أبواب وسقف قابل للطي. أخيراً توقف بجانب الباب الايسر وأخرج يديه من جيبيه وأمسك الباب ثم "بانغ!" اقتلعه من مكانه! يا الهي! كيف فعل ذلك؟ لا أدري!"

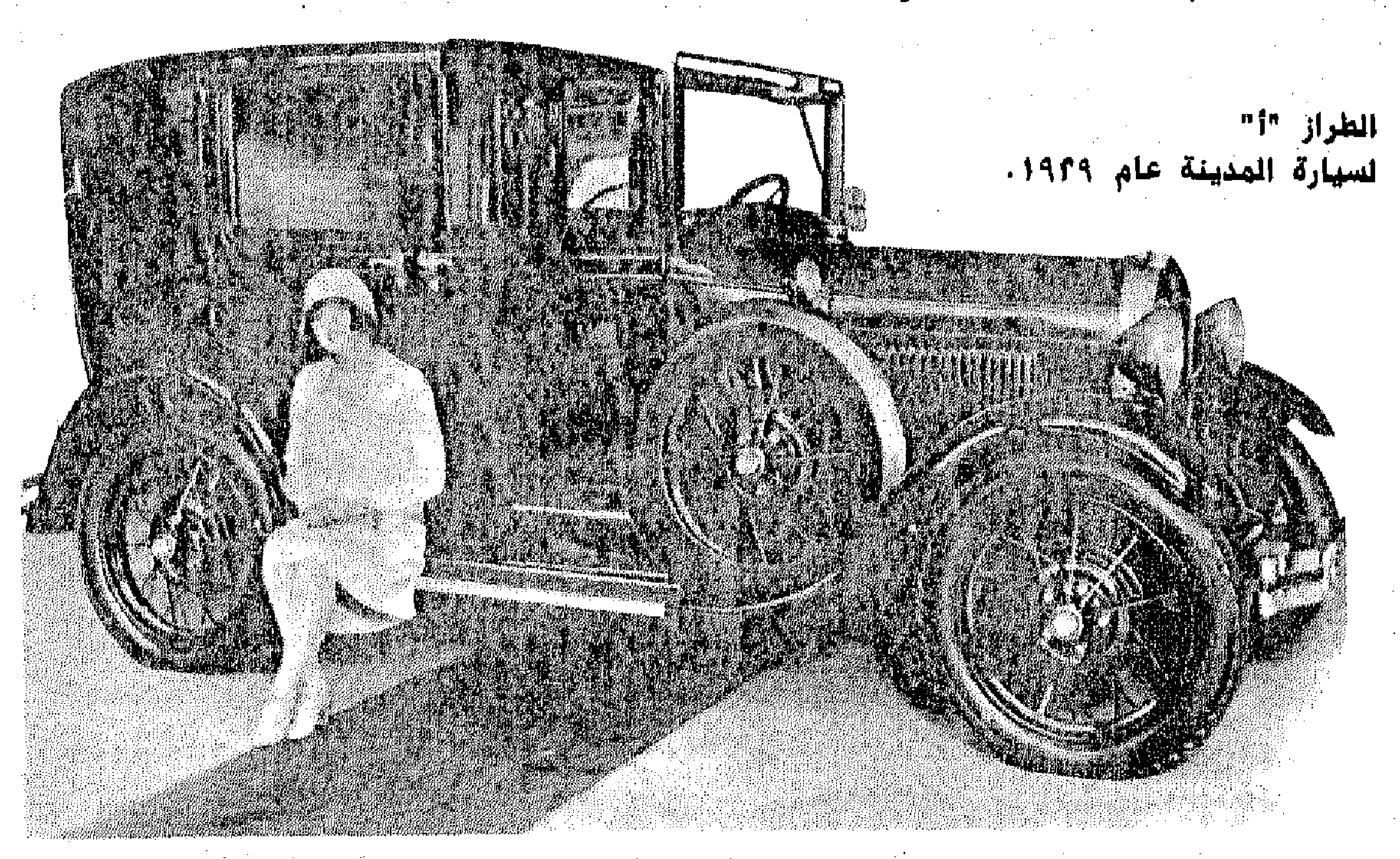
وتابع الشاهد كلامه: "بقفزة واحدة أصبح بجانب الباب الايمن، ثم "بانغ!" اقتلعه هو الآخر وأتبعه بحاجب الريح. ثم قفز الى المقعد الخلفي وانهال على السقف ضرباً بعقب حذائه. وعندما هدأت ثورته كانت السيارة أصبحت حطاماً."

كانت سيارة "ت" من تصميم هنري فورد وصنعه. ولم يكن مستغرباً البتّة أن يتعلق بها. لكنها على رغم التحسينات الشكلية والهندسية التي أدخلت عليها باستمرار، بدت عتيقة الطراز. وهي التي بقيت لسنوات طويلة تفوق سيارة "شيفروليه" في نسبة المبيعات. غير أن شركة "جنرال موتورز" ما لبثت أن استقطبت السوق الشعبية وانتزعت الاولوية. الا أن تعلّق فورد بتحفته أصبح شبه مَرَضيّ.

اعتاد هنري فورد أن يتناول طعام الغداء كل يوم في تمام الساعة الثانية عشرة. ودرج المديرون التنفيذيون الذين يقع عليهم الاختيار لتناول الغداء معه، على التجمّع في الثانية عشرة الا خمس دقائق في غرفة الطعام الخاصة حيث يروحون يتحدثون في أمور بسيطة في انتظار موعد وصول هنري فورد.

●●● الطراز "أ" ●●●

كان هنري فورد يمقت الاجتماعات الرسمية. لذلك كان وقت الغداء المناسبة الملائمة لاتخاذ القرارات المهمّة في سياسة الشركة. ونظراً الى "الغارات"



الطراز "أ"
لسيارة المدينة عام ١٩٢٩.

The Bettmann Archive

والاختراقات الكثيرة التي نجحت "جنرال موتورز" في شنّها على مبيعات فورد، فمن الطبيعي ان يدور حديث الفداء حول مستقبل سيارة "ت".

غير ان معاوني فورد نادراً ما تطرقوا الى ذلك الموضوع. والواقع أن تشارلز سورنسن، المنافس الأقوى لكندسن داخل هرم السلطة في شركة فورد، كان حكيماً بعيد النظر وتجنب الخوض في الموضوع. وحذا المديرون الاخرون حذوه. فأحد الاسباب التي ادّت الى ابعاد كندسن كان اقتراحه ادخال تغييرات. ولم يكن أحد ليجرؤ على مثل ذلك الحديث. وحده إدسل كان له من الاعتبار ما يخوله أن يتكلم في الموضوع.

وذات يوم أتى إدسل على موضوع الكابح الهيدروليكي، وهو اختراع أثبت آنذاك تفوّقه على الكابح القديم من حيث الفاعلية والسلامة واعتمدته سيارات عدة. وأشار الى حاجة سيارة "ت" الى بعض التعديلات. ثم أضاف أنه ربما كان مستحسناً إخراج طراز جديد تماماً من سيارات فورد.

فكان ردّ والده انفعالياً: "إدسل، إخرس أنت!" ثم اندفع خارجاً من الغرفة.

أخيراً اقتنع هنري فورد بأن شركته كانت فعلا في حاجة الى طراز جديد من السيارات. وفي العام ١٩٢٧ أنزل الى السوق سيارة "أ". وهو اختار لها هذا الاسم باعتبار أنها شكّلت ثورة في التصميم ولذا وجب اعطاؤها أول حروف الابجدية وكأنها الأولى في عالم السيارات.

أحرزت سيارة "أ" انتصاراً هائلا. وهي تضمّنت جميع التحسينات التي كانت معروفة آنذاك وبيعت بسعر ٤٩٥ دولاراً أي أرخص بمئة دولار من مثيلاتها من سيارات "جنرال موتورز." إلا أن الأمل في أن يشكّل إدسل النواة لادارة جديدة شابّة تكون البديل العقلاني من الفوضى المزاجية التي مثّلها هنري فورد - هذا الامل تلاشى الى الابد.

●●● الرجل القوي ●●●

ازداد وضع إدسل سوءاً مع تنامي سلطة هاري بينيت. وكان من مصلحة هذا، كذلك من مصلحة الذين حاولوا أن يحطّوا من قدره، أن يروجوا اشاعات تزعم أن بينيت من اصل خشن وعنيف في حين أنه في الحقيقة بدأ مرحلة شبابه كطالب في جامعة آن آربور الهادئة في ميشيغان حيث كان زوج أمه أستاذاً للهندسة.

الأمر المؤكد أن هاري بينيت لم يكن يعرف شيئاً عن السيارات. فهو لم يكن ميكانيكياً ولا مهندساً ولا مصمماً. والذي ساعده على التقدّم ملاحظة أبداها هنري فورد أثناء حديثه عن بعض مشاريعه، وفيها أن عدم خبرة هاري بينيت في صنع السيارات هو المؤهل الذي يحتاج اليه ليبلغ القمّة.

كانت لشركة فورد شرطتها الخاصة التي عُرفت باسم "دائرة الخدمات." وفي وقت ما في العشرينات تمكّن هاري بينيت من إحكام سيطرته على تلك الهيئة وجعلها، بعد حملة تطهير، جيشه الخاص. ووظّف فيها عددا من لاعبي كرة القدم المتقاعدين وقطّاع الطرق.

أحب بينيت أن يتكلّم بعنف ويتصرّف


AP / Wide World Photos

هاري بينيت سنة ١٩٤١.

بعنف. وهو نصب هدفاً فوق إحدى الخزائن الحديد الخضراء في مكتبه، وكان من عادته أن يستل مسدساً من أحد أدراج طاولته ويروح يتمرّن على الرماية. ولتعزيز صورة العنف هذه دعم تمثيليته باقتناء أسود ونمور تركها تجوب ميدان الرماية الذي اقامه بالقرب من آن آربور. وكان أحياناً يصطحب وحوشه الى العمل ويسير بها في أرجاء مصنع نهر روج ظاهراً مظهر الابن القوي الذي يتوق هنري فورد اليه.

في منتصف الثلاثينات كان بينيت أقام شبكة من الاتصالات بين الشركة وعدد من رجال العصابات. وهذا التحالف الآثم ظهرت نتائجه في المعركة الشرسة التي خاضها فورد ضد الاتحادات العمالية. ففي ٢٦ مايو (ايار) ١٩٣٧ حدثت أولى المواجهات الجديرة بالذكر بين اتحاد عمّال السيارات وشركة فورد، حين حاول بعض أعضاء الاتحاد توزيع منشورات في مصنع روج. وكان أن تعرّض زعيم العمال والتر روثر وثلاثة رجال آخرين للضرب على أيدي مجرمين استأجرهم بينيت. وهكذا مني الاتحاديون بهزيمة نكراء.

في ابريل (نيسان) ١٩٤١ بلغت محاولات "عمّال السيارات المتحدين" ذروتها لادخال فورد في الاتحاد، فامتنع ١٥٠٠ عامل في مصنع روج عن العمل. وعندما اندلعت الأزمة كان إدسل في عطلة في فلوريدا، فعاد للحال الى ديربورن. لكن والده أمره بالابتعاد عن المشكلة وترك الأمر الى بينيت الذي رفض حتى مناقشة الشروط التي رفعها الاتحاد للوصول الى تسوية.

●●● إدسل النازف ●●●

تشبّث إدسل بفكرة مؤداها ان الطريقة الوحيدة للخروج من الأزمة هي المفاوضة، واضطر والده في النهاية الى الاذعان. وعاود العمال الانتاج في انتظار المفاوضات حول عقد عمل شامل. لم يشترك هنري فورد في المحادثات، إلا أن ردّ فعله الاول على الشروط الاخيرة التي تمّ الاتفاق عليها والتي أطلعه عليها بينيت في ١٨ يونيو (حزيران)، كان الرفض. وهو وصفها بانها "استسلام مذل." وعندما عاد الى بيته ذلك النهار طلبت منه كلارا تقريراً مفصلا عن موضوع الاتحاد. وهي كانت تعلم أن ادسل يفضّل التوصّل الى اتفاق ما وأنه شديد الاستياء من تأثير بينيت السلبي على والده.

وفي إحدى المناسبات صرخت كلارا في

وجه تشارلز سورنسن: "من هو بينيت هذا صاحب تلك السطوة على زوجي وذلك التأثير المدمّر على صحة ابني؟"

كانت كلارا توصلت الى قرار حول الاتحاد. فرأت انه حصل ما فيه الكفاية من العنف وإراقة الدم وأعلنت انه إذا لم يوافق هنري فورد على ابرام العقد فإنها ستهجره.

وفي وقت لاحق قال فورد: "ماذا كان يسعني أن أفعل؟ لا تنتقص أبداً من قوة المرأة."

لم يكن الامر في الحقيقة بتلك البساطة. فالحرب العالمية الثانية اندلعت في أوروبا عام ١٩٣٩، وكانت الولايات المتحدة تستعد لدخولها. وهي دخلتها فعلا في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤١ على اثر الهجوم الياباني على قاعدة بحرية امريكيةٍ في بيرل هاربر في هاواي. وكان فورد وقّع عقوداً دفاعية مع الدولة التي لوحت بفسخها ما لم تغيّر الشركة سياستها العمالية. من جهة ثانية تحرّك مجدداً ذلك "الشيطان" الذي يهوى المفاجآت والساكن داخل هنري فورد، فاتصل ببينيت وأمره بتوقيع العقد. وفي اليوم التالي أصبح فورد عضواً في الاتحاد وباتت أجوره الاعلى في تلك الصناعة.

العبارة التي افتتح بها هاري بينيت سيرته الذاتية لها مدلول كبير. فهو كتب: "في السنوات الثلاثين التي عملت مع هنري (فورد)، أصبحت صديقه الحميم وأقرب اليه حتى من ابنه." ومع أن بينيت خسر المعركة الشرسة التي قادها لابعاد الاتحاد عن شركة فورد، إلا أن هنري فورد استساغ تلك المعركة جداً، فهي اتاحت له أن يعرف الشعور بأن يكون للمرء "ابن" صلب خشن وقوي، يخطط ويرسم ويدبّر المكائد ويخوض الى جانب أبيه حرباً شعواء ضد العالم بأسره ويفعل كل ما لم يقدر إدسل على فعله أو يرغب فيه.

الجميع علموا أن إدسل كان مثخناً بالجروح وأن "روحه تنزف" على حدّ تعبير والترِ روثر الذي يتذكره "كرجل شريف مترفّع يهتم لسواه." ويضيف: "شعرت بالأسى من اجله."

●●● قلب مكسور ●●●

بعد غزو بيرل هاربر واعلان أمريكا الحرب في العام ١٩٤١، بدأ التعب والارهاق يظهران على وجه إدسل. وهو كان قبل ذلك يبدو معافى وبصحة جيّدة. وفي أوائل ١٩٤٢ بدا شاحباً مهزوماً. وفي يناير (كانون الثاني) خضع لجراحة تقرّح في المعدة وراح معاونوه ينقلون اليه أكواب الحليب من مطعم الشركة من دون انقطاع. إلا أن مشاكل إدسل لم تقتصر على قروح المعدة، وربما كان في وسع الاطباء أن يحدّوا من انتشار السرطان لو اكتشفوه في وقت مبكر. فعندما خضع إدسل للجراحة تبيّن أن المرض استشرى خارج المعدة وبلغ الكبد.

في أوائل ١٩٤٣ كانت لادسل مواجهة أخرى مع بينيت خرج منها خاسراً كالعادة. وهو أخبر تشارلز سورنسن باكياً: "افضل ما يمكنني أن افعله هو أن اقدّم استقالتي. في أي حال صحتي لا تسمح لي بالمتابعة." لكن سورنسن جعله يعدل عن موقفه. إلا أن الامر لم يطل به، فما ان

حلّ شهر مايو (أيار) حتى لزم إدسل الفراش وقد أسقط في أيدي الاطباء الذي وقفوا عاجزين عن مساعدته. وعندما بلغ هنري فورد أن ابنه يحتضر رفض التصديق، وقال ان الاطباء في المستشفى الذي يملكه يجب أن يعيدوا الى ادسل صحّته.

كان هنري فورد على خطأ لأن إدسل ما لبث ان توفي يوم ٢٦ مايو (أيار) قبل أن يبلغ الخمسين من عمره بخمسة أشهر.

لم يكن من السهل تحديد سبب الوفاة: سرطان المعدة؟ سرطان في الكبد؟ قرحة؟ ولعل تشخيص أصدقاء إدسل الخلّص هو الاقرب الى الحقيقة، وهم عرفوا كيف تداخل الحبّ والرفض في حياته.

قالوا ان ادسل براينت فورد مات بقلب مكسور.

على اثر وفاة إدسل اصيبت ارملته اليانور بذهول واضطراب. ويتذكر ابنهما الاصغر وليم كلاي كيف كانت تنهار في البيت وتستسلم لنوبات مفاجئة من البكاء. ثم أتت الضربة القاضية عندما حان وقت تعيين خلف لادسل في رئاسة الشركة وأراد هنري فورد أن يعيّن هاري بينيت.

بدأت اليانور فورد تتشاجر مع حميها. واتهاماتها له جعلته يعرض معاملته لابنه. وهو سأل بينيت ذات يوم: "اتظن يا هاري أنني فعلا قسوت على إدسل؟"

فأجابه بينيت مسايراً: "قسوت عليه؟ لا. عاملته من غير عدل؟ نعم. ولو كنت أنا مكانه لغضبت." فقال هنري: "هذا بالضبط ما وددت أن يفعل! أردته أن يغضب!"

بعد تعيين مجلس الادارة تقرر أن يتولى هنري فورد نفسه رئاسة الشركة. ولكن في وقت بين العامين ١٩٤٤ و١٩٤٥ خلصت كلارا وإليانور فورد الى أن الشركة لن تكون مكانا أميناً لهنري الثاني، ابن إدسل البكر، حتى يتسلم الرئاسة من جدّه. وقد تكون كلارا تمكنت في النهاية من تحقيق ما بدا مستحيلا. وهي عملت طوال صيف ١٩٤٥ على إقناع زوجها بالتخلي عن السلطة ليس لهاري بينيت بل لمن تختاره العائلة.

●●● "جدي قتل أبي" ●●●

في ٣٠ سبتمبر (أيلول) استدعي هنري فورد الثاني الى إحدى القاعات المظلمة في فيرلين مقر عائلة فورد. وأشار اليه جدّه أن يجلس وأبلغه استعداده للتنحي وتكليفه هو رئاسة الشركة.

يتذكر هنري فورد الثاني ذلك النهار: "أجبته بأنني اقبل عرضه شرط أن تطلق يداي لاحداث أي تغيير أراه مناسباً. وهو لم يسحب عرضه."

في اليوم التالي أبلغ هنري فورد الثاني هاري بينيت استغناء الشركة عن خدماته. وفي وقت لاحق من ذلك النهار عاد الرئيس الجديد لشركة فورد في سيارته الى فيرلين ليبلغ جدّه التدبير الاداري الأول في عهده. ويتذكر: "كنت على يقين أنه سيقطع رأسي."

ولكن من غريب المصادفات أن هنري فورد الاكبر لم يبد أي اهتمام للنبأ وتمتم: "حسناً، لقد عاد هاري الآن الى حيث بدأ."

وفي رأي أحد المديرين التنفيذيين: "لم تكن الشركة التي تسلمها هنري فورد الثاني في طور احتضار، بل كانت ميتة، وحتى رميماً."

إلا أن الشاب أعاد اليها الحياة. فأتى بعدد من ضباط الجو السابقين الموهوبين الذين عُرفوا بلقب "الاولاد الشطّار" ووضعهم في امرة نائب الرئيس الجديد ارنست بريتش، وهو مدير صلب استماله من شركة "جنرال موتورز."

لم يأت هنري الثاني نفسه بأي مهارات مالية للشركة. وهو لم يكن ذلك المفاوض المالي الموهوب الذي يبرم الصفقات بدهاء ومقدرة. ولم يدّعِ يوماً أنه خبير ميكانيكي. لكنه عمل بتنسيق منظّم مع بريتش. ويتذكر معاونوه آنذاك عزمه الاكيد على النجاح في العمل واندفاعه وحيويته. وتحفزه لاثبات شيء ما.

جوان بوغاس أرملة جون بوغاس الذي أصبح أقرب المقربين الى هنري الثاني وحافظ سرّه، تتذكر الامسيات في السبعينات التي صرفها الرجلان جالسين يستعيدان الايام الخوالي والمعارك ضد هاري بينيت. كانا رفيقي سلاح حَلَتْ لهما العودة الى ربع قرن مضى واسترجاع المغامرات والاثارات والمخاطر التي عرفاها.

وذات مرّة سأل بوغاس فجأة: "هنري، لماذا فعلتها؟ لماذا لم تنصرف الى اللعب؟"

ولا تزال جوان بوغاس تتذكر الاتقاد والقوة في جواب ذلك الرجل الذي لم يسمح قط لعواطفه بالظهور. وهو قال: "في عقلي أن جدّي قتل أبي. أعرف أنه مات بالسرطان، لكن ذلك حدث بسبب ما فعله به جدي."

في السنوات التي تلت العام ١٩٤٥ عرف ولي العهد الذي لم يأخذه أحد على محمل الجد، كيف يثأر على طريقته الخاصة. وهو أثبت جدارته.

●●● في ضوء الشموع ●●●

ربما اقتنع هنري فورد في أعماقه بأنه لن يعيش أبداً، لكنه بالتأكيد توقّع أن يعمّر ليبلغ المئة. وفي معظم سبعيناته حافظ على وعيه وحيويته على رغم بعض الغيمات السود التي أخذت تطول كلّما تقدّم به العمر. وأصبح أحياناً يظهر منطوياً على نفسه، فارغاً ومشوّش التفكير.

وفي اعتقاد هاري بينيت ان السبب موت إدسل. وهو كتب: "بعد وفاة إدسل لم يعد سوى رجل مسن مرهق يرغب في العيش بسلام."

نهار الاثنين في ٧ ابريل (نيسان) ١٩٤٧ كان الطقس ممطراً كالعادة في ميشيغان. وكان نهر روج آخذاً في الارتفاع. وبسبب الفيضان تعين عند بزوغ الفجر، اغلاق المحطة الخاصة التي تزوّد فيرلين الكهرباء.

اقترحت روزا باهلر، خادمة كلارا فورد، أن تذهب العائلة الى فندق ديربورن لتناول الفطور. إلا أن هنري فورد وجد الفكرة سخيفة: "بحق السماء! لدينا مواقد! في ايرلندا واسكوتلندا يطهون كل شيء على المواقد!"

أضرمت روزا النار في جميع مواقد

المنزل. وعندما نزل فورد استدعى سائقه وطلب منه ان يأخذه في جولة على ديربورن ليستطلع ما أحدثته الفيضانات من أضرار. كانت النار تهدر في جميع مواقد المنزل ذلك الليل وتبعث في أرجائه ضوءاً مترجرجاً عززته الشموع.

قال فورد: "سأنام جيداً هذه الليلة. وسنأوي الى الفراش باكراً."

في وقت متقدم من ذلك المساء استيقظت الخادمة على صوت كلارا وهي تقول: "اظنّ أن السيد فورد متوعك جدا." واستدعي طبيب. وعندمـا وصل في منتصف الليل كان صانع السيارات قد مات. هكذا ترك هنري فورد العالم: في ضوء الشموع والنار حوله، تماما كما دخله قبل ثلاث وثمانين سنة.

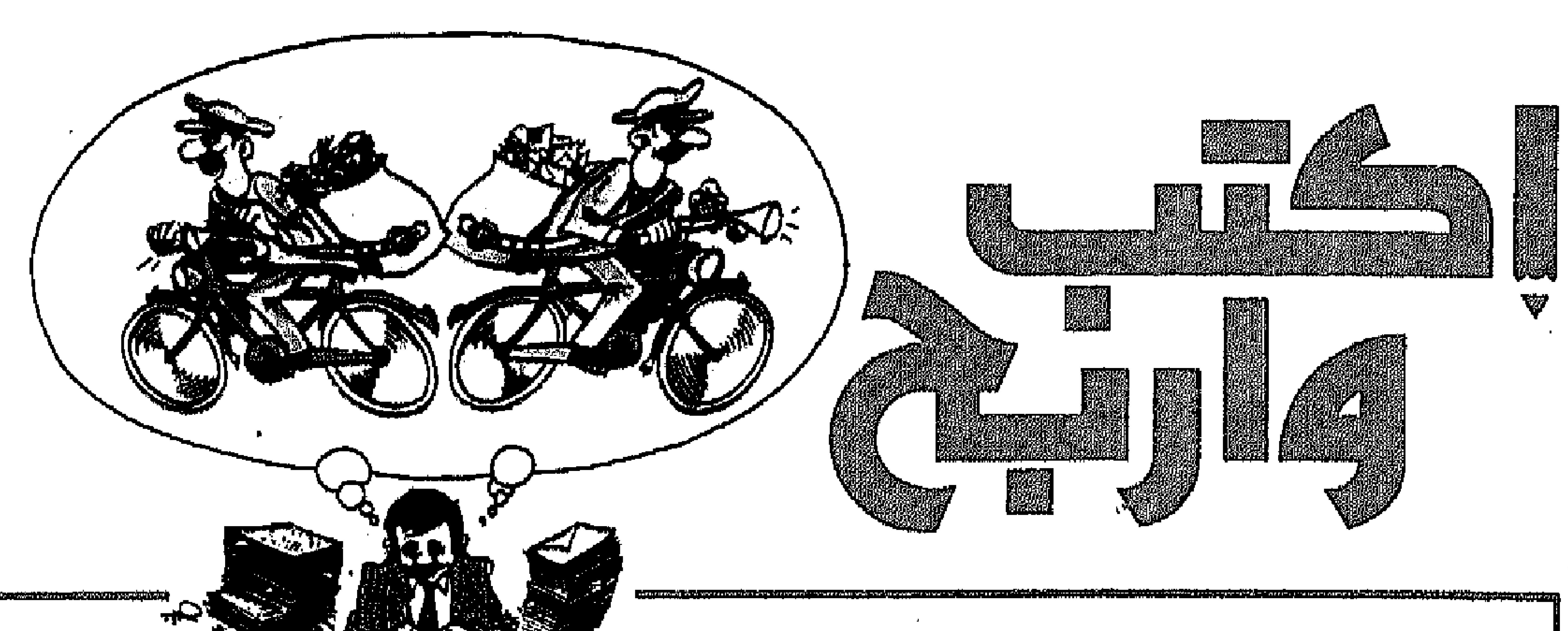
روبرت لاسي

ترجمة د. باسمة سكرية عيد



من فاته الخيال حُرم جناحين يحلق بهما. محمد علي، بطل العالم السابق في الملاكمة

اكتب واربح



هل لديك نكتة، هل صادفت في حياتك العائلية او المهنية حادثا طريفا، هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في ان تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلما وورقة واكتب ما لديك وارسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب ان تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، اما اذا كانت منشورة فيجب ان تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

تأملات معاصرة: مقاطع اصلية او من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة افكار: أقوال مأثورة للاعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على الا يتجاوز القول المأثور السطرين.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

المقالات: يرحب "المختار" بالمقالات التي تتحدث عن تجارب شخصية مر بها آخرون معروفون من القراء مع ذكر الاسماء والوقائع والمراجع. يدفع ٣٥٠ دولاراً عن الموضوع الذي ينشر في المجلة.

الشروط

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- في حال ورود مادتين متشابهتين من قارئين مختلفين ينظر في المادة التي تصل اولا، حسب خاتم البريد.
- ذكر المصدر العربي شرط اساسي لقبول اي مادة. ونعني بالمصدر، خصوصا في "حديقة افكار"، الكتاب الذي نُقل عنه: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر، الصفحة او نسخة مصورة اذا امكن.
- تحاشي المواد المترجمة او المستقاة من مصادر اجنبية.
- لا تعاد النصوص الى اصحابها، سواء نشرت او لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، مركز ميرنا شالوحي، بولفار سن الفيل، ص.ب ٥٥٣٤٨، المتن الشمالي، لبنان.



"سوسنات الصيف" للتشيلي فرناندو تورم